العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الفكر والإبداع

شهر رجب
شهر شعبان
شهر رمضان
شهر شوال
شهر ذي القعدة
شهر ذي الحجة

Al-Sada
Cgltgral Qgavterly Jogrnal For Hegira Events
Issged by the al _abbas holey shrine Department of Intellectgal and
Cgltgral Affairs Division of thogght and creativity

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العلي العظيم
سورة الزلزلة: الآية/ ٧.

الإشراف العام
السيد عقيل عبدالحسين الياسري

رئيس التّحرير
صباح نعيم الصافي

مدير التّحرير
محمد الأسدي

هيأة التّحرير
رضوان عبد الهادي
حيدر فائق هادي
عباس صباح مرشد
حيدر الدفاعي
محمد يوسف

المراجعة اللغوية
محمد رضا جاسم

المشاركون
الشيخ عبد الرزاق فرج الله الأسدي
الشيخ فوزي آل سيف
الأستاذ يوسف مدن
الباحثة هيفاء حسين نعمة

التصميم و الإخراج
حسين عقيل

التنفيذ الطباعي
دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

للاشتراك

تستقبل مجلة الصدى المشاركات (البحوث والمقالات) باللغة العربية، ووفق المحاور التي تغطي أحداث السنة الهجرية وتتناول السيرة العطرة للنبي الأكرم ﷺ، وأهل بيته عليهم السلام.

ترسل المشاركات على العنوان الآتي:
العراق / كربلاء المقدسة / مجمع الكفيل الثقافي / شارع الاسكان / خلف متنزه الحسين عليه السلام الكبير

التواصل مع المجلة:

alصلى الله عليه وآله adda@alkafeel.net
info@alkfeel.net

رقم الايداع في دار الكتب و الوثائق العراقية
٢١٩٤ لسنة ٢٠١٦م

في البدء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأعظم محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، إلى قيام يوم الدين.

تعددت مواقف الأئمة عليهم السلام تجاه الظروف والأحداث التي واجهتهم، وكان لكل إمام موقف وحكم وسلوك خاص في التعامل، وكل ظرف عاشه إمام ذلك الزمان يختلف مع إمام آخر، فقد تميّز كل إمام بموقف خاصّ في مواجهة ذلك الواقع الذي عاش فيه، ولعلّ السبب واضح، فقد تميّز كلّ زمن من أزمنة الأئمة عليهم السلام بوجود فكر أو مواجهات هدفها الرجوع بالناس الى زمن الجاهليّة أو الحصول على دنيا فانية، فقد واجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فئة من الناس أرادت أن تجتهد بدين الله تعالى بعيداً عن القرآن الكريم وخط المعصوم عليه السلام فكانت النتيجة استشهاد مولاتنا الزهراء عليها السلام، ومواجهة كثير من المعارك والحروب التي لها بداية وليس لها نهاية، أمّا الإمام المجتبى عليه السلام فقد عاش ظرفاً لولا تلك الحكمة المحمّدية لكانت النتيجة قتل جميع من تبقى من الفئة المخلصة التي كان الأئمة عليهم السلام يبنون بها حتى يستطيعوا أن يُقدّموها أضاحي في واقعة كربلاء الخالدة ليسقوا كلّ الرّسائل الإلهية بتلك الدّماء الزّاكية، فاستطاع الإمام الحسين عليه السلام بدمه الطاهر وتلك الدّماء أن يخلّدوا رسالة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وأن يحملها إمام معصوم بعد إمام معصوم آخر الى أن تصل إلى مهدي آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف، وبين إمام وإمام كثير من المحطّات الفكرية والتاريخية والعبر والعظات، والدروس العملية التي تنير دنيانا وتُصلح آخرتنا بكلّ خير.

إنَّ حياة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام هي حياة غنيّة بالمعارف والعلوم والتجارب

فقد واجهوا الظّروف والمنعطفات المختلفة التي تختلف من زمن الى زمن آخر، ولكنّها تشترك أنَّها تمرّ بكلّ الأزمنة القادمة، ومن هنا ينبغي أن تكون حياتهم نبراساً يضيء لنا ظلمات كل عصر؛ حتى تصل البشرية الى ذلك العصر الذي سيملؤه صاحبه بالعدل والقسط كما مُلئ بالظلم والجور، وهذا السير والتّسليم والبقاء والمرابطة في هذا الخط يحتاج منَّا الاهتمام بالفرائض، والمستحبات، واجتناب المحرّمات والمكروهات؛ حتى تُبنى وتُهذّب النفس، وقد هيّأ الله تعالى لذلك كلّ ما نحتاجه من القوانين والأحكام والأماكن والأزمنة، فجعل العمل في بعض شهور السنة ثوابها وتأثيرها أكثر من غيرها من الأشهر، فشهر رمضان المبارك الثواب فيه مضاعف، بل حتى الأعمال المباحة لها ثواب خاصّ في هذا الشهر، وكذلك البِقاع فقد فضّل أرضًا دون أرض.

ومن هنا تأتي أهمية وضرورة دراسة سيرة الأئمّة عليهم السلام، وفلسفة الأحكام وخواص الأماكن والأزمنة، وهذا الدور هو الدور المستهدف من مجلة الصدى التي تهتمّ بعرض سيرة المعصومين عليهم السلام وما يتعلق بهم من أحداث ومناسبات.. فكل مناسبة يمكن الحصول منها على العديد من الإضاءات العلمية والفكرية التي من خلالها يمكن أن نُغيّر أنفسنا، وأن نستضيء بنورها لنصل إلى برّ الأمان، وأن نحظى برضا المعصومين صلوات الله عليهم، وخاصّة رضا صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومن الله تعالى نستمد التوفيق.. إنَّه سميع الدعاء.

المحتوى

شــهر رجــب

سياسة الإمام الباقر عليه السلام مع ملوك عصره ١١
من سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام ٢٧
من وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم ٤٣

شــهر شعبان

الإمام زين العابدين عليه السلام وبناء العقيدة ٥٩
العباس بن عليي عليه السلام معارف ومواقف ٧٣
دور الإمام المهدي عجل الله فرجه الغيبة الكبرى ٨٣

شــهر رمـضان

من بركات الأسحار ٩٧
الحاجات الإنسانية في تراث الإمام الحسن عليه السلام ١١١
بدر ومستوى الأمة ١٣٣
حق الله تعالى في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام ١٥٣

شــهر شــوال

الإمام الصادق عليه السلام والصدقات ١٧٥

شــهر ذي القعدة.

ولاية العهد وبيعة المأمون الإجبار في قبول الولاية ١٩٥

شــهر ذي الحجة

القيم التربوية والأخلاقية من دعاء عرفة ٢٢١

القصيدة

وقفة على قبور الأئمّة في البقيع ٢٣٩

شهر رجب

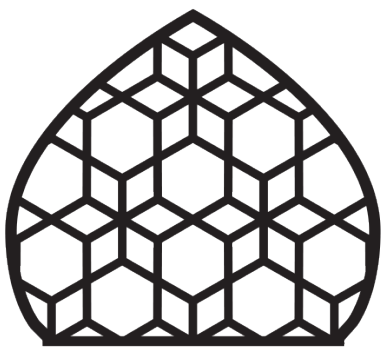

- سياسة الإمام الباقر عليه السلام مع ملوك عصره
- من سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام
- من وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم

سياسة الإمام الباقر عليه السلام مع ملوك عصره

السيد صباح جواد

بعد هلاك يزيد بن معاوية، وبعد أن أشرفت دولة بني أبي سفيان على الزوال، آلت الخلافة إلى بعض الملوك المارقين الذين عاصروا الإمام الباقر عليه السلام، وكان أوّلهم:

١ ـ مروان بن الحكم:

آلت الخلافة بعد يزيد بن معاوية إلى الوزغ ابن الوزغ مروان بن الحكم، ذلك الذي جمع كل موبقة ورذيلة، فكان عدوّاً لله ولرسوله وللمسلمين، وفيما يلي بعض ملامح خصاله وشؤونه:

أ: لعن النبي صلى الله عليه وآله له:

عن عبد الله بن الزبير وهو يطوف بالكعبة: «ورب هذه البنية لعن رسول الله صلى الله عليه وآله الحكم وما ولد»[١]..

ومرّ الحكم بن أبي العاص على النبي صلى الله عليه وآله فقال: «ويل لأمّتي مما في صلب هذا»[٢].

ب: طرد أبيه من قبل النبي صلى الله عليه وآله:

لقد كان الحكم ابن أبي العاص من أحقد الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله وأكثرهم عداوة وإيذاءً له، شأنه شأن أبي لهب، وكان يسخر من النبي صلى الله عليه وآله فكان يمر خلفه فيغمز به، ويحكيه، ويخلج بأنفه وفمه، ودعا عليه النبي صلى الله عليه وآله وقال: اللهم اجعل به وزغاً (أي ارتعاشاً) فرجف بمكانه، وارتعش[٣].

وبلغ من تأثر النبي صلى الله عليه وآله منه بأن أمر بنفيه من يثرب، وظل طيلة خلافة أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وآله وعمر وقد أصابهم الجوع والفاقة والحرمان والذل.. حتى جاء عثمان وأعاده إلى يثرب، ووهبهم الثراء العريض وجعلهم وزراءه وحاشيته.

ج: نزعاته وصفاته:

لقد كان مروان حسوداً، يقول مالك بن هبير السكوني، إلى الحصين بن نمير: والله لئن أستخلف مروان

(١) تاريخ مدينة دمشق -ابن عساكر- ج ٥٧/ ص ٢٧١.

(٢) تاريخ الإسلام -الذهبي- ج ٣/ ص ٣٦٨.

(٣) الحدائق الناضرة - المحقق البحراني - ج ٤ / ص/ ١٩٦.

ليحسدك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها[1].

وكان ناكراً للمعروف والإحسان، ومن صفاته الغدر ونكث العهد، كما حصل مع أمير المؤمنين عليه السلام حينما بايعه وغدر ونكث البيعة.

وكان مندفقاً بالباطل وانطلاقه في كل دعوة ضلال، حتى لقّب «خيط الباطل»... وجاء في (أسد الغابة) قول الشاعر يهجوه:

لعمرك ما أدري وإني لسائل حليلة مضروب القفا كيف يصنع

لحى الله قوماً أمّروا «خيط باطل» على الناس يعطي ما يشاء ويمنع

وقد عرف عنه ولعه بسبّ أمير المؤمنين عليه السلام كل ليلة على منبره، وليس غريباً أن يسب عليا عليه السلام من قبل أمثال مروان بن الحكم عدو الله وعدو رسوله.

حكومة مروان

تولّى مروان بن الحكم الحكومة سنة ٦٤ هـ بعد تنازل معاوية بن يزيد عنها فارًّا عن حكم ورثه عن أبيه بغير حق.

في تاريخ ابن الأثير ذكر: أنَّ الحصين هو الذي رشّحه للخلافة بعد حكاية كاذبة عن منام مزعوم قد رآه الحصين بأنّ قنديلاً معلق في السماء وأن من يلي الخلافة يتناوله فلم يتناوله أحد إلا مروان، وخصّ ذلك على أهل الشام فاستجابوا له وانبرى روح بن زنباع فخطب في أهل الشام قائلاً: يا أهل الشام هذا مروان بن الحكم شيخ قريش، والطالب بدم عثمان، والمقاتل لعلي بن أبي طالب يوم الجمل، ويوم صفّين، فبايعوا الكبير، واستنيبوا للصغير، ثم لعمرو بن سعيد. فبايعوا لمروان بن الحكم، ثم لخالد بن يزيد، ثم لعمرو بن سعيد[2].

موت مروان

لم يظل مروان بن الحكم طويلاً... فقد كانت خلافته كلعقة الكلب أنفه.. على حدّ تعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[3].

٢: عبد الملك بن مروان:

بعد أن هلك مروان بن الحكم ولي بعده ابنه عبد الملك بن مروان الذي جددت له البيعة بدمشق ومصر... وقد كان يتظاهر بالنسك والعبادة حتى بشر بالخلافة، وكان بيده المصحف فأطبقه قائلاً: هذا فراق بيني

---

(١) تأريخ ابن الأثير ٣/ ٣٣٧.

(٢) تاريخ اليعقوب/ اليعقوبي/ ج ٢/ / ص/ ٢٥٦

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ج٢ ص٥٣.

وبينك[1].

وكان حقاً مثل ما قال، فكان صورة من أبيه في الانحراف والفساد والتردي الخلقي.

صفاته السيئة:

ومن صفاته التي ما عرفت فيها أي نزعة شريفة أو خصلة كريمة فهي، الجبروت، حيث كان جباراً لا يبالي ما صنع، وكان فاتكاً لا يعرف الرحمة والعدل.وقال بعد قتله لابن الزبير: «لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه»[2].

٢: الغدر

ذكر السيوطي في تاريخ الخلفاء: أنَّه نكث العهد وغدر بعمرو بن سعيد الأشدق حيث أعطاه الأمان على أن تكون الخلافة له من بعده إلا أنّه خان بعهده فغدر به وقتله[3].

٣:القسوة والجفاء:

وقد ذكر المؤرخون: بأنَّه بالغ بإراقة الدماء وسفك الدماء بغير حق... فقد قالت له أم الدرداء: بلغني أنَّك شربت الطلي يعني الخمر بعد العبادة والنسك.

فقال لها غير متأثم: «اي والله والدماء شربتها»[4].

٤: البخل:

لقد عرف عنه البخل الشديد حتى سميّ (رشح الحجارة) لشدة شحه وبخله.

٥: نقل الحج إلى بيت المقدس:

وقد نقل الحج إلى بيت المقدس بدل بيت الله الحرام وذلك لخوف اتصال ابن الزبير بأهل الشام متعلّلاً برواية ابن شهاب الزهري التي رواها عن النبي ﷺ أنَّه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس»[5].

٦: انتقاصه لسلفه:

لقد انتقص عبد الملك بن مروان سلفه من حكام بني أمية، حيث قال: «إنّي والله ما أنا بالخليفة المستضعف

---

(١) حاشية رد المحتار لابن عابدين ج١/ ص٧٠ .

(٢) تأريخ الخلفاء للسيوطي / ص ٢١٩ .

(٣) حاشية رد المحتار لابن عابدين/ ج١/ ص٧٠ .

(٤) محاضرات الأدباء / ١٧٢.

(٥) المعجم الكبير للطبراني (١٢ / ٣٣٧) ح ١٣٢٨٣، وفيه (لا تشد) وعلق عليه: قال في مجمع (الزوائد) ٤ / ٤، بعد أن نسبه إلى الأوسط: ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار أيضا.

يعني عثمان ..

ولا بالخليفة المداهن يعني معاوية ..

ولا بالخليفة المأفون[1] يعني يزيد ..

وعلّق ابن أبي الحديد على قوله هذا: «هؤلاء سلفه وأئمته، وبشفعتهم قام ذلك المقام، وبتقدمهم وتأسيسهم نال تلك الرياسة، ولولا العادة المتقدمة، والأجناد المجندة، والصنائع القائمة، لكان أبعد خلق الله من ذلك المقام، وأقربهم إلى الهلكة إن رام ذلك الشرف»[2].

الإمام الباقر عليه السلام وعبد الملك

وقد حاول عبد الملك كراراً لإيذاء الإمام الباقر عليه السلام فإنّه أمر عامله على المدينة باعتقال الإمام عليه السلام وإرساله إليه مخفوراً.

وتردد عامله في إجابته ورأي أنَّ من الحكمة إغلاق ما أمر به.. فأجابه بما يلي:

«ليس كتابي هذا خلافاً عليك، ولا ردّاً لأمرك، ولكن رأيت أن أراجعك في الكتاب نصيحة وشفقة عليك، فإنَّ الرجل الذي أردته ليس على وجه الأرض اليوم أعف منه، ولا أزهد، ولا أورع منه، وأنَّه ليقرأ في محرابه فيجتمع الطير والسباع إليه تعجّباً لصوته، وإن قراءته لتشبه مزامير آل داود، وإنَّه لمن أعلم الناس، وأرأف الناس، وأشدّ الناس اجتهاداً وعبادة، فكرهت لأمير المؤمنين التعرض له، فإنَّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم...».

فلمّا وافت هذه الرسالة عبد الملك عدل عن رأيه في اعتقال الإمام الباقر عليه السلام ورأى الصواب فيما قاله عامله[3].

الإمام عليه السلام يحرّر النقد الإسلامي

في كتاب (حياة الحيوان) للدميري ذكر بأنَّ من سك النقود في الدولة الإسلامية هو الإمام الباقر عليه السلام حينما أشار على عبد الملك، ذلك؛ كي يتحرر النقد الإسلامي من تبعة الروم، فامتثل عبد الملك لذلك وظل التعامل بالسكة التي صممها الإمام عليه السلام حتى زمن العبّاسيين[4].

---

(١) المأفون: الضعيف الرأي.

(٢) شرح نهج البلاغة / ج١٥ / ص ٣٠١ / ابن ابي الحديد.

(٣) الدر النظيم: ١٨٨، ضياء العالمين الجزء الثاني في أحوال الإمام الباقر عليه السلام.

(٤) حياة الحيوان للدميري:ج١/ ص٦٤٦٣.

ويذكر ابن كثير: إنَّ الذي قام بهذه العملية هو الإمام السّجاد زين العابدين عليه السلام.[1]

موت عبد الملك:

ومرض عبد الملك بن مروان مرضه الذي مات فيه، وكان يضرب بيده على رأسه ويقول: «وددت أنّي اكتسبت قوتي يوماً بيوم، واشتغلت بعبادة ربّي عزوجل وطاعته»[2].

٣: الوليد بن عبد الملك:

الوليد بن عبد الملك ولي الخلافة بعد هلاك أبيه، وذكر المؤرخون أنّه كان جباراً ظالماً لم تكن فيه أي صفات النبل.

وقال المؤرخون: أنّه كثير النكاح والطلاق يقال إنّه تزوج ثلاثاً وستين امرأة غير الإماء.

وحدثت في زمنه أحداث جِسام مثل قتل سعيد بن جبير على يد واليه الطاغية الحجّاج.

وكانت مدّة خلافته تسع سنين وسبعة أشهر[3].

٤ :سليمان بن عبد الملك:

سليمان بن عبد الملك بويع بعد هلاك أخيه الوليد سنة (٩٦) هـ، وكان شديد الإعجاب بنفسه لكنه لم يدم طويلاً في حكمه، بل هلك سنة ٩٩ هـ.

٥: عمر بن عبد العزيز:

يعتبر البعض عمر بن عبد العزيز مفخرة آل آمية.

فقد تقلّد الخلافة سنة (٩٩) هـ، وقالوا بأنَّه عرف بالعدل والاتزان وساس المسلمين سياسة رشيدة بالنسبة إلى من سبقه من بني أميّة، وهو الذي رفع السّب عن أمير المؤمنين علي عليه السلام.

وفي هذا السياق مدحه الشعراء وغيرهم فقال أحدهم:

ولّيت فلم تشتم عليّاً ولم تخف بذياً ولم تتبع مقالة مجرم

ومن أعمال عمر بن عبد العزيز الذي ميزته على غيره هي إعادة بعض حقوق آل علي عليه السلام... وأجزل لهم العطاء. فقد كتب إلى أحد عمّاله يقول: «إذا أتاك كتابي هذا، فأقسم في ولد علي من فاطمة عليها السلام عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم»[4].

---

(١) البداية والنهاية: ج٩ / ص٦٨.

(٢) البداية والنهاية – ابن كثير/ ج ٩ / ص ٨٢.

(٣) انظر تاريخ ابن الأثير: ج٤ ص١٣٨.

(٤) السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام/ محمد بيومي/ ص/ ٦٥ .

وكذا فعل عمر بن عبد العزيز بالنسبة الى فدك فأمر بردّ فدك إلى أصحابها من آل الرسول ﷺ.

« لا يختلف عندنا حساب عمر بن عبد العزيز عن حساب غيره من الخلفاء الذين تبوءوا منصب الخلافة وهو منصب مقصور على أصحابه الشرعيين من أئمّة أهل البيت عليهم السلام حسب عقيدتنا نحن الشيعة الاثنا عشرية. فالجلوس في هذا المكان بحدّ ذاته يُعدّ ذنباً عظيماً وإثماً كبيراً تهون عنده الذّنوب الأخرى جميعها، بل يُعدّ اغتصاب الخلافة الشرعية من أصحابها الشرعيين أسّ الذنوب الذي دارت عليه رحى الكبائر والموبقات إلى يوم القيامة.

وهذا الكلام لا يتم فهمه فهماً متكاملاً إلا إذا رجعنا إلى مباحث الإمامة الإلهية ودورها في ترسيخ القيم والمبادئ الصحيحة في المجتمع، وأيضاً عرفنا دور الإمام المعصوم في قيادة الأمة والسير بها إلى سبل الهداية والرشاد... وأن هذا المنصب – أي منصب الإمامة – إنّما هو منصب إلهي جَعْلي يتكفّل باختيار الإمام المولى سبحانه وتعالى ولا يكون للناس دخل فيه. إلاّ أنَّ لعمر بن عبد العزيز بعض المواقف التي كانت موضع التقدير. وأمّا من يعتبره خليفة راشداً عادلاً فهو لا يكون إلاّ بحسب مبانيه في الخلافة التي تخالف مباني الشيعة الإمامية في الموضوع»[1].

موته

توفي عمر بن عبد العزيز بعد مرض ألم به، وقيل سُم من قبل الأمويين سنة (١٠١ هـ)

٦: يزيد بن عبد الملك:

ولي بعد عمر بن عبد العزيز: يزيد بن عبد الملك، وقالوا إنَّه سار على هدي وسيرة سلفه عمر بن عبد العزيز ولمدة أربعين يوماً. فشقّ ذلك على بني أميّة فجاءوه بأربعين شيخاً فشهدوا عنده بأنّه ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب فعدل عن سياسة عمر، وساس الناس سياسة عنف وجبروت وكتب مرسوماً إلى عمّاله جاء فيه:

(أمّا بعد فإنَّ عمر بن عبد العزيز كان مغروراً، فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده، وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى أخصبوا أم أجدبوا، أحبّوا أم كرهوا، حيوا أم ماتوا)[2].

وكان يزيد بن عبد الملك جاهلاً، وحاقداً على العلماء.. فكان يحتقرهم.

وكان ماجناً مُسرفاً في اللهو... فذكر ابن الأثير عشقه لحبابة، وروى أنَّه خرج معها إلى الأردن يتنزهان فرماها بحبّة عنب فدخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت، فتركها ثلاثة أيام لم يدفنها حتى أنتنت وهو

---

(١) مركز الابحاث العقائدية.

(٢) كتاب العقد الفريد / ص١٨٨ –

يشمّها ويقبّلها وينظر إليها ويبكي، فكلم في أمرها حتى أذن في دفنها وعاد إلى مقرّه كئيباً حزيناً.

ويقول المسعودي: إنّه أقام على قبرها وهو يقول:

فإن تسل عنك النفس أو تدع الهوى فبالبأس تسلو النّفس لا بالتجلد

وهلك سنة (١٠٥) هـ بعد حياة ملأت لهواً ودعارة ومجونًا.

٧: هشام بن عبد الملك

بويع هشام بن عبد الملك في اليوم الذي هلك فيه أخوه يزيد سنة (١٠٥) هـ وهو أحول بني أمية وفيه يقول الشاعر:

يقلب رأساً لم يكن رأس سيّد وعين له حولاء باد عيوبها

ومن خصاله البذيئة أنَّه كان حقوداً على ذوي الأحساب العريقة، ومبغضاً لكلّ شريف.

وله صفة متميزة ذكرها الجاحظ في كتاب البخلاء حيث كان شديد البخل، فكان يقول: ضع الدّرهم على الدّرهم يكون مالاً، وقد جمع من المال ما لم يجمعه خليفة قبله.

وفي البخلاء أيضاً يروي عنه: إنَّه دخل بستانًا له فيها فاكهة فجعل أصحابه يأكلون من ثمرها، فأوعز إلى غلامه بقلع الأشجار وزراعة الزيتون لئلا يأكل منه أحد.

وذكره اليعقوبي بأنَّه بخيل فظ شديد القسوة، بعيد الرّحمة، طويل اللسان، وكان شديد البغض للعلويين.

وهو الذي قتل الشهيد زيد بن علي (رضوان الله عليه).

وقد تعرّض الإمام الباقر عليه السلام بعد زمنه لأشد المحن والويلات.

احتجاج الإمام عليه السلام مع هشام:

عن الشريف أبو محمد بسنده عن عبد الرحمن بن عبد الله الزهري قال: حج هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متكئاً على يد سالم مولاه، ومحمد بن علي الباقر عليه السلام جالس في المسجد..

فقال له سالم: هذا يا أمير المؤمنين محمد بن علي.

فقال هشام: المفتون به أهل العراق؟

قال: نعم.

قال: اذهب إليه فقل له يقول لك أمير المؤمنين: ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟

قال له أبو جعفر عليه السلام: «يحشر الناس على مثل قرص النقي[1]، فيها أنهار متفجرة، يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب».

قال: فرأى هشام أنه قد ظفر به فقال: الله أكبر، اذهب فقل له: ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ؟.

فقال أبو جعفر عليه السلام: هم في النار أشغل ولم يشغلوا عن أن قالوا: (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله)[2].

فسكت هشام لا يرجع كلاماً[3].

ويمكن إجمال الوضع السياسي العام في عصر الإمام الباقر عليه السلام

أنَّه شهد تنازعًا داخليًّا فأصبحت الحياة السياسية في ذلك العصر تجتاحها كثير من الفتن والاضطرابات التي عمت بين الناس في البلاد، وبدأت أحداث مفجعة أدّت إلى فقدان الأمن وانتشار الخوف. ثم تطوّرت هذه الأحداث فقامت ثورات دامية ذهب ضحيّتها آلاف الأبرياء وهذا بلا ريب نتيجة السياسة الأموية الخاطئة التي كان كل همّها تحقيق أهدافها الخاصة ومآربها الشخصية بعيداً عن مصالح شعوبها العامة.

نتج عن ذلك وجود أحزاب سياسية كل منها يسعى لتحقيق غاياته ونشر مبادئه التي تتعارض مع الأحزاب الأخرى. ومن هذه الأحزاب:

١ـ الحزب الأموي:

فقد وصل الى الحكم بالخداع والتضليل. فبعد أن قتل الخليفة بدأ الأمويون يطالبون بدعم عثمان وذلك للاستيلاء على كرسي الحكم والظفر بخيرات البلاد وأموال بيت مال المسلمين فاعتمدوا لذلك سياسة الملوك الظالمين مقلدين القياصرة والأكاسرة بعيدين كل البعد عن مبادئ الدين الإسلامي العادل والقويم. فكان همّهم الدنيا بمباهجها وأفراحها وملذّاتها معتمدين سياسة الترغيب والترهيب.

وفي كلّ عصر نجد وعّاظ السلاطين الذي يميلون مع أهوائهم ومصالحهم ويبعيون آخرتهم بدنياهم.فلقد خدعوا أهل الشام فأوهموهم أنَّهم أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وألصقهم به نسباً وحسباً، وسارت مقولتهم هذه على الشّاميين واعتقدوا بذلك اعتقاداً راسخاً، ولم تستبن له الحقيقة على وجهها الصحيح إلا بعد انقلاب الحكم الأموي ومجيء الحكم العبّاسي.

وبدأ الوضع في الحديث بشكله السافر واتخذه الحكام وسيلة لخدمة أغراضهم السياسية [4].

كما كان شعراء البلاد الأموي يتسابقون في مدح الملوك الأمويين والثناء عليهم ليكسبوا الجوائز السنية، وقد

---

(١) النقيّ: الخبز الحواري. النهاية: ج٥ ص١١٢.

(٢) سورة الأعراف: ٥٠.

(٣) بحار الأنوار / ج ٤٦ / ص/ ٣٣٢.

(٤) نقد الحديث في علم الرواية وعلم الدراية / ج١ / ص٣٧٠.

أجزلوا لهم العطاء ووهبوهم أعرض الثّراء لأنَّ الشعر في ذلك العصر كان من أقوى وسائل الإعلام. فالشعراء كانوا صحفي عصرهم.

٢: الحزب الزبيري:

يرى هذا الحزب أنَّ أسرة الزّبير هي أولى من غيرها بالحكم، ويأتي على رأس هذه الأسرة عبد الله بن الزبير، فأمّه صفيّة عمّة النبي ﷺ وكان أحد المرشحين السنة للخلافة حسب برنامج الشورى الذي وضعه عمر بن الخطاب، فهو إذن أقرب من غيره من الرسول وأحقّ بالخلافة.

٣: الخوارج:

آمن الخوارج بالمساواة المطلقة بين المسلمين وأنَّ إمارة المؤمنين ليست من وجهة نظرهم مشروطة بشرط أو مقصورة على أسرة بعينها أو قبيلة من القبائل العربية. كما آمنوا بضرورة الثورة على كل حكم قائم في البلاد الإسلامية إذا لم يحمل مبادءهم وأفكارهم أما دعاتهم فكثيرون منهم عمران بن حطّان وقطري بن الفجاءة والطّرمّاح والجميع يتحاشون الموت على الفراش في ساحة القتال.

٤: الشّيعة:

وقد انضمّ إلى هذا الحزب كبار الصحابة الأجلاء وأعلام الإسلام الأتقياء أمثال سلمان الفارسي، والمقداد، وعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري وغيرهم من الذين ساهموا في بناء الإسلام، وإقامة صروحه المباركة. آمن هذا الحزب إيماناً راسخاً في أنَّ أهل البيت أحقّ بالخلافة، وأولى بها من غيرهم؛ لأنَّهم سفينة النجاة وأمن العباد حسبما يقول الرسول الأعظم ﷺ في أحاديث موثوقة عند الجميع منها هذا الحديث الذي سار على كل شفة ولسان: (إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي)[1] بالإضافة إلى مواهبهم العظيمة وعلومهم الوفيرة التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم الطاهرين المعصومين. فعلي بن أبي طالب عليه السلام كان أحق المسلمين بالخلافة لفضله وعلمه واستقامته وعدله وقوّة شخصيته وسابقته في الإسلام ونص الرسول ﷺ عليه.

وكان لسانهم الناطق في عصر الإمام الباقر عليه السلام شعراء مخلصين منهم كُثَيِّرُ عزة، والسيد الحميري، والكميت بن زيد الأسدي، يقول كُثَيِّرُ:

---

(١) مصادر السنة التي أوردت حديث الثقلين كتاب الله وعترتي هي:
- (ج٥ ص٣٢٩ ط / دار الفكر - بيروت).
- مسند أحمد: ج٣ / ص١٤ - ١٧ - ج٤ / ص٢٦٧ - ٢٧١ - ج٥ / ١٨٢ - ج٥ / ١٨٩.
-سنن الدارمي ج٢ / ٤٣٢.
-المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٣ / ١١٠ - ج٣ ص١٤٨.
- السنن الكبرى للبيهقي ج٢ / ١٤٨ - ج٧ / ٢٠ - ج١٠ / ص١١٤.
-مجمع الزوائد ج٩ / ١٦٢ - المصنف لابن أبي شيبة ج٧ / ص٤١٨.

ألا إن الأئــمة من قريش ولاة الحــق أربعة سواء

عليٌّ والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس بهم خفـاء

فسبط سبـط إيمان وبِــر وســـبط غَيّبَته كَرْبلاء

وسبط لاتــراه العين حتى يقود الخيلَ يتبعها اللواءُ

تغيبَ لايُرَى فيهم زماناً برَضْوَي عنده عسل وماءُ[1]

غير أنَّ هناك من الشعراء من قد ضحّوا تضحية كبرى في سبيل تشيّعهم لآل البيت، فلم يرضوا بمجرد العاطفة نحوهم وإظهار الأسى لما حلّ بهم، وإنَّما خاصموا من خاصمهم وشهروا عليهم سلاح القول ألسنة حداداً مع مجادلة ومحاجة، وفي مقدّمة هؤلاء الشعراء، الكميت بن زيد الأسدي الذي يهاجم بني أمية بكلّ جرأة وعنف فيقول:

فَقُلْ لبَني أُمَيَّةَ حَيْثُ حَلّوا وَإِنْ خِفْتَ المُهَنَّدَ والقَطيعا

أَجاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعْتموهُ وَأَشْبَعَ مَنْ بِجَوْرِكمُ أُجيعا

بِمَرْضِيّ السِّياسَةِ هاشِمِيٍّ يَكونُ حَيّاً لِأُمَّتِهِ رَبيعــا[2]

وكان الكميت علويّ المذهب يُدافع بكلّ قواه عن الفكر الشّيعي بأعظم الحجج وأوضح الدّليل. وفوق حملته على الأمويين يعمد إلى الانتصار لأهل البيت عن طريق المناظرة والمحاجة والإقناع، وكأنّه متأثّر بالمعتزلة تأثّراً بالغاً. ونراه يسفّه حقّ بني أمية في الخلافة ويقرّر حقّ الهاشميين فيها فيقول:

وقالوا ورثناها أبانا وأمـــــــنا وما ورثتهم ذاك أم ولا أب

يرون لهم فضلاً على الناس واجباً سفاهاً وحق الهاشميين أوجب

ولكن مواريث ابن آمـــــنة الذي بـــه دان شرقي لكم ومغرِّب

وتستخلف الأموات غيرك كلـــهم وتعتب لو كنا على الحق نعتب

يقولون لم يورث، ولولا تـــراثه لقد شركت فيه بكيلٌ وأرحب[3]

والحق يقال أن الكميت كان المحامي الذلق المتمكن بالحجة المفحمة وهو كما قال شوقي ضيف: (طرفة نفيسة من طرف العصر الأموي ولون أدبي جديد في تاريخ الأدب العربي)[4].

---

(١) الأغاني/ ج٩/ ص١٤-١٥.

(٢) المصدر نفسه/ ج٥/ ص٢٧١.

(٣) الهاشميات ص٣٦.

(٤) التطور والتجديد في الشعر الأموي ص٣١٧.

وبعد هذا الجور والظلم الذي عصف بالأمة الإسلامية تفجر بركان ثورات عديدة انطلقت به الشعوب الإسلامية في مختلف المناطق كالمارد الجبار بعد أن عانت الخطوب والأهوال من الحكم الأموي. فأعلنت العصيان المسلح في ثورات متلاحقة أصاب لهيبها جبروت الحكم الأموي وطغيانه من أهم هذه الثورات التي حدثت في عصر الإمام الباقر عليه السلام نذكر:

١: ثورة المدينة

وهي أفجع ثورة في الإسلام بعد كارثة كربلاء، سمّاها المؤرّخون بواقعة(الحرة) انتهكت فيها جميع الحرمات، واستباح الجيش الأموي الآثم نفوس المسلمين وأعراضهم وأموالهم.

أما سبب هذه الثورة فهو أنَّ بقايا الصحابة من خيار المسلمين وجدوا في عهد يزيد الجور الشّامل والسلطان الظالم، فقد اقترف جميع الموبقات وانتهك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله بإبادته عترته الطاهرة وسبيه ذراريه من المدينة إلى الشام. عند ذلك رأوا الخروج عليه واجباً شرعيًّا. أدلى بذلك عبد الله بن حنظلة أحد زعماء الثورة فقال: (والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمي بالحجارة من السماء.. إنَّ رجلاً ينكح الأمهات والبنات ويشرب الخمر ويدع الصلاة والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءً حسناً)[1].

٢: ثورة التّوّابين

ندم الشيعة الكوفيون على ما اقترفوه من إثم عظيم في خذلانهم لسيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في حين أنَّهم هم الذين كاتبوه ودعوه بالقدوم إلى الكوفة عن طريق الرسائل والوفود. فقد رؤوا أن لا كفّارة لهم سوى إعلان الثّورة على حكومة يزيد، والمطالبة بدم الإمام الحسين عليه السلام. كان زعيم التّوّابين سليمان بن صرد الخزاعي الذي أناطوا به القيادة العسكرية والسياسية ومراسلة المناطق الشيعية في العراق وخارجه. جمع التّوابون التبرعات والأموال وأحاطوا أمرهم بكثير من السّرّ والكتمان. ولما هلك الطاغية الفاسد يزيد أعلن التّوّابون ثورتهم العارمة في سنة ٦٥هـ وكان عددهم فيما يقول المؤرخون أربعة آلاف. وكان شعارهم:

(يا لثارات الحسين) ولأول مرّة دوى هذا النّداء في سماء الكوفة فكان كالصاعقة على رؤوس المجرمين.

جرت أعنف المعارك بين التّوّابين وجنود أهل الشام في مكان يُدعى (عين الوردة) أبدى فيها التّوّابون بسالة وصموداً يعجز عنه الوصف. استشهد في هذه المعركة الضارية قادة التّوّابين مثل: سليمان بن صرد، والمسيب بن نجية، وعبد الله بن سعد وغيرهم.. وأدركوا عند ذلك أن لا قدرة لهم على مقابلة أهل الشام، فتركوا ساحة القتال وعادوا إلى غلس الليل إلى الكوفة ومضى كلّ جنديّ إلى بلده وانتهت بذلك معركة التوابين بعد أن

(١) قد ذكر هذه الخُطبةَ ابنُ الأثير في الكامل ٣: ١١٧، وابن حجر في الصواعق المُحرقة: ١٣٢، وأخرج الخبرَ عن الواقدي مِن طُرق عديدة وقال: وخرج على يزيد غيرُ واحد، ولم يُبارك الله في عُمُره. وذكر الخبرَ ـ أيضاً ـ ابنُ سعد في الطبقات ٥: ٤٧.

أدخلت الفرح إلى قلوب أهل البيت وألقت الرعب في نفوس المجرمين السّفّاحين.

٣: ثورة المختار

كان المختار على جانب كبير من التقوى، يقول المؤرّخون أنَّه كان يكثر من الصوم شكراً لله تعالى لأنّه وفّقه للأخذ بثأر العترة الطاهرة وإبادة الأرجاس من أتباع الأمويين.

ساد الرّعب في قلوب أولئك المجرمين الذين قتلوا سيّد الشهداء وريحانة الرسول الأعظم ﷺ الإمام الحسين عليه السلام. لقد فرّ بعضهم إلى عبد الملك بن مروان فقال له: (إنِّي هربت إليك من العراب) فصاح عبد الملك: (كذبت ليس لنا هربت، ولكن هربت من دم الحسين وخفت على دمك فلجأت إلينا)[١].

شرع المختار إلى تنفيذ حكم الإعدام بلا هوادة بكل من اشترك في قتل سيد شباب أهل الجنة فقتل المجرم الخبيث ابن مرجانة في معركة ضارية انتصر فيها على جيوش الشام التي كان يقودها ابن زياد، ثم تتبع قتلة الحسين عليه السلام فقتل، عمر بن سعد مع ولده حفص، وبعث برؤوسهم إلى يثرب لأهل البيت. مما أدخل الفرح إلى قلوبهم[٢].

قال الإمام الصادق عليه السلام: (ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت حتى بعث لنا المختار برؤوس الذي قتلوا الإمام الحسين عليه السلام. ثم أرسل المـختار بعشرين ألف دينـار إلى الإمام زين العابدين ليبني بها دور بني عقيل التي هدمها أوغاد بني أمية [٣].

كان المختار حسنة من حسنات عصره ومن مفاخر الأمة الإسلامية بتقواه في الدين، وقد شفى الله بثورته صدور المؤمنين بقضائه على تلك الزمرة الخائنة. ثورته التي استهدف بها القضايا المصيرية للأمة الإسلامية من نشر المساواة والعدالة الاجتماعية بين الناس وإعادة سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسياسته المشرقة بين المسلمين خاصة وغير المسلمين عامة.

٤: ثورة ابن الزبير

لم تكن ثورة ابن الزبير كغيرها من الثورات السابقة ذلك أنَّها كانت تهدف لمصلحة شخصية وليس لصالح الأمة وإسعادها فقد هدفت إلى نقل الخلافة إلى آل الزبير الذين لم يفكروا قط في غير مصلحتهم. دليلنا على ذلك ما قاله عبد الله بن عمر لزوجته حينما ألحّت عليه لمبايعة الزبيريين. فقال لها:

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ص١٠٣.

(٢) رجال الكشي.

(٣) سفينة البحار ج١ ص٤٣٥.

(أما رأيت بغلات معاوية التي كان يحج عليها الشهباء؟ فإنَّ ابن الزبير ما يريد غيرهنَّ)[1].

لقد كان ابن الزبير يبغي بثورته الملك والسلطان، ولا يبغي وجه الله ومصلحة الأمة الإسلامية. وقد أغرى الناس البسطاء فتسلح بالنسك والعبادة ليجذب السذج. وفيه قال أمير المؤمنين: (ينصب حبالة الدين لاصطفاء الدنيا)[2].

عرف بعدائه لآل النبي ﷺ وحقده عليهم كأشد ما يكون الحقد، حتى أنَّه ترك الصلاة على النبي في خطبه فقال: (إنّ له أهل سوء يشرأبّون لذكره، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به)[3] من الطّبيعي أن يخفق بثورته بعد أن بلي بالشح والاستبداد بالرّأي والعجب بنفسه بعد أن أخذت جيوش الحجاج تكيل له الضّربات وهو معتصم ببيت الله الحرام الذي لم يرعَ له الحجّاج السّفّاك حرمة وخرج أكثر أصحابه يطلبون الأمان، وبقي ابن الزبير إلى أن قتله الحجّاج وصلبه.

لقد أثّرت الحياة السياسية وما سادها من قلق واضطرابات على الحياة العلمية تأثيراً سلبيّاً واضحاً ظهرت معالمه بكثير من الجمود والخمول في عصر الإمام الباقر عليه السلام. فالتّيارات السياسية التي حرفت الناس وتهالكت البيوتات الرفيعة على الظفر بالحكم والطاقات البشرية والمالية استهلكت جميعها في حروب طاحنة ومذهلة، والنكبات الفظيعة التي مُنيت فيها الأمّة وجرت عليها أفدح الخسائر المادية والبشرية. كل ذلك أثّر على الحركة العلمية وجعلها تتردى ضموراً وانحلالاً.

دور مشرق هام لأعظم إمام:

تميّز الإمام الباقر عليه السلام بمواهب عظيمة وطاقات هائلة وعبقريات ضخمة من العلم شملت جميع أنواع العلوم وشتّى المعارف من فقه وعلم كلام وحديث وفلسفة وحكم إنسانية عالية، وآداب أبدية سامية، مضافاً إلى علم خاص زوّد به بأخبار عن أحداث قبل وقوعها، ثم تحقّقت على مسرح الحياة.

ومع سعة مدى علومه وكثرة ما انتهل العلماء من نمير معارفه فإنّه كان يشعر في نفسه ضيقاً وحرجاً لكثرة ما عنده من العلوم التي لم يجد لنشرها سبيلاً. وكثيراً ما كان يصعد الحسرات ويقول:

(لو وجدت لعلمي الذي أتاني الله عز وجل لنشرت التوحيد والإسلام والدين والشرايع... وكيف لي بذلك، ولم يجد جدي أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني فإنّ بين الجوانح علماً جمّاً...)[4].

---

(١) حياة الإمام الحسين للقرشي ج٢/ ص٣١٠.

(٢) شرح النهج ج٧ / ص٢٤.

(٣) اليعقوبي ج٣ / ص٨.

(٤) الخصال: ٦٤٥ / ٢٩، الاختصاص: ٢٨٣، بصائر الدرجات: ٣٠٥ / ١٢.

وقد أجمع المؤرّخون أنَّ الإمام الباقر عليه السلام كان من أغنى رجال الفكر والعلم في عصره في مواهبه الشخصية وقدراته العلمية، وأنّه ممن رفع منار العلم، وأبرز حقائقه، وأظهر كنوزه، لجميع من قصده من علماء عصره.

أطلّ الإمام الباقر عليه السلام على عالم مليء بالاضطرابات والفتن والأحداث الدامية. نظر إلى الحياة من حوله فوجدها قد فقدت جميع مقوّماتها، ولم تعد كما أرادها رب العالمين في وحدتها وتطورها في ميادين العلم والعطاء. لم يجد بدّاً الإمام عليه السلام أن يقوم بواجبه الشرعي لإعادة مجد الأمّة الإسلامية وردّها إلى الخط السليم وبناء كيانها الحضاري. ولا يتم ذلك إلا عن طريق منائر العلم وصروح الفكر، فانصرف عن كلّ تحرّك سياسي، واتجه صوب العلم وحده متفرغاً له في عزلته في المدينة المنورة، حصن الإسلام الأمين. وفي هذا الحصن المنيع كان يخف إليه العلماء من أعيان الأمّة وسائر الأقطار للاستفسار والشرح والتحصيل.

وكان ممن وفد إليه العالم الكبير جابر بن يزيد الجعفي ومحمد بن مسلم الطائفي، وأبو بصير المرادي، وأبو حمزة الثمالي ووفود علمية تترى جاءت لتأخذ عنه العلوم والمعارف. جاء في عيون الأخبار (وما قصد أحد من العلماء مدينة النبي صلى الله عليه وآله إلّا عرّج عليه يقصد الإمام الباقر ليأخذ عنه معالم الدين، وقد أخذ عنه أهل الفقه ظاهر الحلال والحرام [1].

وخلاصة القول: إنَّ العالم الإسلامي استمد من الإمام الباقر جميع مقوّمات نهوضه وارتقائه في المنهج الحضاري، ولم يقتصر المد الثقافي والحضاري على عصره، وإنَّما امتدّ إلى العصور التالية. وقد جاء عليه السلام ليكمل رسالة أهل البيت عليهم السلام في تطور الحياة العلمية في الإسلام.

والحق يقال إنَّ الحياة الثقافية في عصر الإمام مدينة لهذا الإمام العظيم الذي يُعد الباعث والقائد والناهض بها على امتداد التاريخ.

---

(١) عيون الأخبار ص٢١٣.

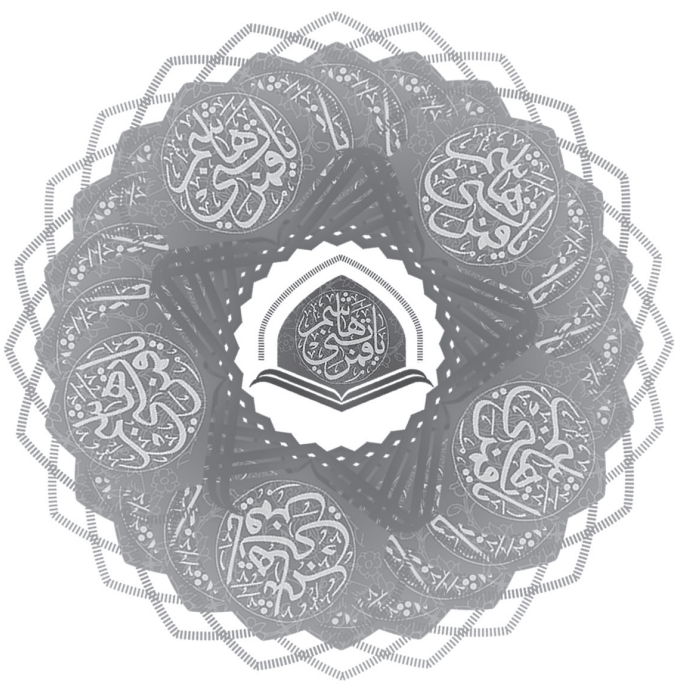

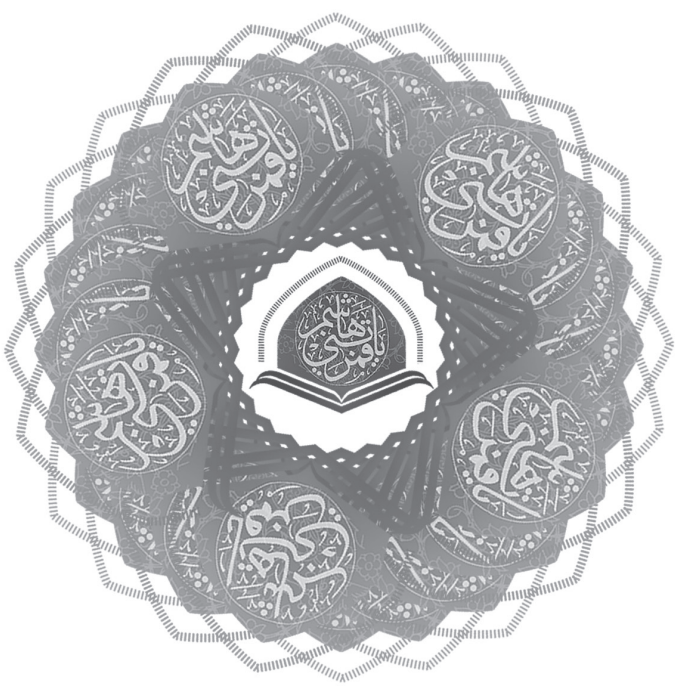

من سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام

الشيخ علي مظلوم

هو الإمام علي الهادي ابن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، من أهل بيت الرحمة، وشجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، ومفاتيح الحكمة، وسلالة النبيين، وصفوة المرسلين، وعترة خيرة رب العالمين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

كنيته عليه السلام

الكنية الشريفة: كنيته عليه السلام: أبو الحسن، ويُعرف بأبي الحسن الثالث، وما دمنا تطرقنا للكنية سنحاول أن نسلّط الضّوء على بعض فوائد ومعارف الكنى:

قال الجرجاني: الكنية: ما صدر بأب أو أم أو ابن أو بنت [1].

وقال الشيخ الرضي: الكنية هي: الأب، أو الأم، أو الابن، أو البنت، مضافات، نحو: أبوعمرو، وأم كلثوم، وابن آوى، وبنت وردان[2].

ومن أهداف الكنى التفاؤل والرجاء، أو اشتهار الشخص بخصلة معينة، أو اتصافه بصفة معينة، ومن فوائدها أيضاً التمييز بين الاشخاص بتعيين أحدهم بكنيته، بالدلالة عليه.

وكذلك التكريم للشخص، إظهار الاحترام للآخر، وفي الوقت نفسه تُعدّ وسيلة للتقرب وإظهار الحفاوة.

وفي العصر الحالي نرى بعض الناس يحرص على أن يُكنّي زميله أو مديره في العمل بالكنية التي يحبّها ما يخفف حدّة الرتابة داخل بيئة العمل ويجعل العلاقة بين جميع الأطراف تتّصف بنوع من الحميمية. لكن الكنية لها أثر بالغ في الحياة وتلعب دوراً مهمّاً في تضفير شبكة العلاقات الإنسانية، سواء بالنسبة للرجال أو النساء.

إنَّ التكنية بالكنية الحسنة هي من الأمور المستحبّة لعامّة المسلمين وقد ورد في القواعد الأخلاقية من طريق

---

(١) التعريفات: ٨١ .

(٢) شرح الكافية ٢/١٣٩ .

أهل البيت ﷺ أنَّه يُستحبّ للإنسان أن يُكنّي ابنه، وإن كان صغيرًا، وعلى هذا جرت سيرة أهل البيت ﷺ .

عن معمر بن خثيم، قال: قال لي أبو جعفر ﷺ: ما تكنى؟ قال: ما اكتنيت بعد ومالي من ولد ولا امرأة ولا جارية قال: فما يمنعك من ذلك؟ قال: قلت: حديث بلغنا عن علي ﷺ قال: من اكتنى وليس له أهل فهو أبو جعر[1] فقال أبو جعفر ﷺ: شوه ليس هذا من حديث علي ﷺ إنا لنكنّي أولادنا في صغرهم مخافة النبز[2] أن يلحق بهم[3].

وعن أبي عبد الله ﷺ قال: « من السنة والبر أن يُكنّى الرجل باسم ابنه»[4].

وكنية الإمام الهادي ﷺ أبو الحسن، وهذه الكنية اشترك فيها خمسة من الأئمة المعصومين ﷺ، وهم:

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أول أئمة أهل البيت ﷺ.

الإمام علي بن الحسين زين العابدين ﷺ رابع أئمة أهل البيت ﷺ.

الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ سابع أئمة أهل البيت ﷺ.

الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ ثامن أئمة أهل البيت ﷺ.

الإمام علي بن محمد الهادي ﷺ عاشر أئمة أهل البيت ﷺ.

و« للأئمة المعصومين ﷺ نوعان من الكنى:

النّوع الأوّل: الكُنى التي يعرفون بها بصورة عامة وهي الواردة في كتب التاريخ والسيرة، ففي هذه الكتب تكون كنية (أبو الحسن) مشتركة بين كلّ من الإمام أمير المؤمنين، و الإمام زين العابدين، والإمام موسى بن جعفر الكاظم، و الإمام علي بن موسى الرضا، و الإمام علي بن محمد الهادي ﷺ، والتمييز بينهم يكون بالقرينة.

النوع الثاني: الكنى التي يعرفون بها في كتب الحديث وبين الرواة والمحدثين، فأبو الحسن كنية تطلق على الإمام موسى بن جعفر الكاظم ﷺ إذا ذكرت مجردة و خالية عن أية إضافة (أبو الحسن) إلا إذا كانت هناك قرينة. وكذلك إذا ذكرت الكنية مقيّدة بالأول (أبو الحسن الأول) فالمقصود أيضاً هو الإمام الكاظم ﷺ. وكذلك إذا ذكرت الكنية مقيدة بالماضي (أبو الحسن الماضي) فالمقصود أيضاً هو الإمام الكاظم ﷺ. أما إذا ذكرت الكنية مقيّدة بالثاني (أبو الحسن الثاني) فالمقصود هو الإمام الرضا ﷺ.

وأما إذا ذكرت الكنية مُقيّدة بالثالث (أبو الحسن الثالث) فالمقصود هو الإمام علي الهادي ﷺ.

---

(١) الجعر: نجو كل ذات مخلب من السباع، المجعر: الدبر «الصحاح ٢ | ٦١٤، هامش المخطوط.

(٢) النبز: أي اللقب الذميم «هامش المخطوط».

(٣) وسائل الشيعة (الإسلامية) – الحر العاملي/ ج ١٥ / ص ١٢٩.

(٤) المصدر نفسه – ج ١٥ / ص/ ١٢٩.

وكذلك إذا ذكرت الكنية مقيّدة بالأخير (أبو الحسن الأخير) فالمقصود هو الإمام علي الهادي عليه السلام أيضاً. وقد تُذكر الكنية مطلقة (أبو الحسن) أي بدون قيد ويراد منها أحد الأئمّة الخمسة المذكورين عليهم السلام مع وجود القرينة.

الألقاب الطاهرة:

لقبه عليه السلام: الهادي، والنقي، والنجيب، والمرتضى، والعالم، والفقيه، والأمين، والمؤتمن، والطيب، والعسكري، والمتوكل.

أما الهادي: فقد كان عليه السلام عَلَماً لـهداية الناس نحو الخير والفضيلة والتقوى، فلُقّب بالهادي.

وأما النقي: فقد كان عليه السلام معصوماً كآبائه الطّاهرين عليهم السلام ومنزّهاً عن كلّ عيب وذنب، ونقيًّا من كلّ دنس، فلُقّب بالنقي.

وأما النّجيب: فقد كان عليه السلام الكريم الحسيب، فلُقّب بالنّجيب.

وأما المرتضى: فقد ارتضاه الله عزوجل ليكون حجّةً على عباده، وخليفةً لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فلُقّب بالمرتضى.

وأما العالم: فقد كان عليه السلام أعلم أهل زمانه، وهو العالم بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم وشرائع دينه، بعلم لدُنّي وبما ورثه من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبيه أمير المؤمنين عليه السلام وآبائه الطاهرين عليهم السلام، فلُقّب بالعالم.

وأما الفقيه: فقد كان عليه السلام فقيه عصره، العارف بالأحكام الواقعية من الحلال والحرام، فلُقّب بالفقيه.

وأما الأمين: فقد كان عليه السلام أميناً على شرع الله، فلُقّب بالأمين.

وأما المؤتمن: فقد كان عليه السلام مؤتمناً من قبل الباري عزوجل في إبلاغ رسالات الله، فلُقّب بالمؤتمن.

وأما الطيّب: فقد كان عليه السلام طيّباً وطاهراً من كلّ عيب ودنس، فلُقّب بالطيّب.

وأما العسكري: فقد كان عليه السلام تحت الإقامة الجبرية في ثكنة عسكرية بسامراء، فلُقّب بالعسكري، وعرف هو وابنه الإمام الحسن عليهما السلام بالعسكريين.

فإنَّ طغاة العبّاسيين أرادوا أن يكون الإمام عليه السلام تحت المراقبة الدّائمة في ذهابه وإيابه ولقاءاته وما أشبه. وهذا شأن الطغاة قديماً وحديثاً؛ فإنَّهم إذا خافوا من أحد فرضوا عليه الإقامة الجبرية في بيته، أو أسكنوه في معسكر ونحوه.

وربما كان سبب تلقيبه عليه السلام بالعسكري، الكرامة المرويّة عنه عليه السلام حيث أشار إلى الملائكة فملئوا الشرق والغرب وقال: « هذا عسكري»[1].

(١) وذلك أن الحاكم العباسي أمر العسكر وهم تسعون ألف فارس من الأتراك الساكنين بسر من رأى أن يملأ كل واحد مخلاة فرسه من الطين

إلى سائر ألقابه عليه السلام الشريفة.

وهناك فرق بين الاسم والكنية واللقب ينقسم العلم إلى اسم وكنية ولقب:

١- الاسم: ما يُسمّى به المولود عند ولادته .. وهو ما جعل علامة على المسمّى بدون إشعار بمدح أو ذم.

٢-الكنية: ماكان في أوّله «أب» أو «أم» وقال بعضهم أو «خال» أو «عم»، وقد تكون لقباً مثل «أبو الجود» و"أبو لهب".

أو تقول: كلّ مركّب إضافي في صدره «أب» أو «أم» كَـ «أبي الحسن» و"أم كلثوم".

وقد تكون الكنيةُ كنيةً ولقباً إذا كانت تدل على المدح مثل «أبو الجود» أو الذم مثل «أبو لهب» .فهي كنية بوصفها مصدّرة بِـ «أبو» .. وهي لقب باعتبار إشعارها بِالمدح أو الذم .. فهي كنية من وجه ولقب من وجه آخر .

٣- اللقب: ما جعل علما مشعراً بمدح أو ذم.

والد الإمام عليه السلام:

هو: الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام، وهو التاسع من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

والدة الإمام عليه السلام:

هي: سمانة المغربية، وهي أم ولد، وكانت من المؤمنات الصالحات، وكانت كثيرة العبادة وشديدة التقوى، ومتحلية بالفضائل والمكارم.

وقد جيء بها من بلاد المغرب، والظاهر أنَّها كانت نصرانية قبل أن تتشرّف بالإسلام.

وفي (المناقب): يقال إنَّ أمه المعروفة بالسيدة أم الفضل[1].

الولادة المباركة

وُلد الإمام علي الهادي عليه السلام يوم الجمعة في الثاني من شهر رجب سنة ٢١٢ هجرية، وقيل: ٢١٤ هـ، في المدينة المنورة.

وقال الكليني رحمه الله في (الكافي):

(إنَّه عليه السلام وُلد منتصف ذي الحجة ٢١٢ هـ، وروي أنّه وُلد في رجب سنة ٢١٤هـ)[2].

الأحمر، ويجعلوا بعضه على بعض في وسط برية واسعة هناك ففعلوا. فلما صار مثل جبل عظيم صعد فوقه واستدعى أبا الحسن عليه السلام واستصعده، وقال: استحضرتك لنظار خيولي. وقد كان أمرهم أن يلبسوا التجافيف، ويحملوا الأسلحة، وقد عرضوا بأحسن زينة، وأتم عدة، وأعظم هيبة؛ وكان غرضه أن يكسر قلب كل من يخرج عليه، وكان خوفه من أبي الحسن عليه السلام أن يأمر أحداً من أهل بيته أن يخرج عليه. فقال له أبو الحسن عليه السلام: «وهل تريد أن أعرض عليك عسكري؟». قال: نعم. فدعا الله سبحانه فإذا بين السماء والأرض من المشرق إلى المغرب ملائكة مدججون فغشي على الحاكم العباسي، فلما أفاق قال أبو الحسن عليه السلام: «نحن لا ننافسكم في الدنيا، نحن مشتغلون بأمر الآخرة، فلا عليك شيء مما تظن». راجع الخرائج والجرائح: ج١ ص٤١٤-٤١٥ ب١١.

(١) المناقب: ج٤ ص٤٠١.

(٢) المصدر نفسه: ح١/ ص٤٩٧.

وفي (كشف الغمة): (أما مولده عليه السلام ففي رجب من سنة مائتين وأربع عشرة للهجرة)[1].

وقال الشيخ المفيد رحمه الله: (كان مولده عليه السلام بصريًّا من مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للنصف من ذي الحجة سنة ٢١٢هـ)[2].

وفي (مناقب ابن شهرآشوب): (إنَّ صريا قرية أسّسها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على ثلاثة أميال من المدينة)[3].

ومن الأسرار المهمّة التي تقف وراء سر تعدّد الرّوايات في تحديد ولاداتهم وشهادتهم عليهم السلام هو الظلم والضغط الذي كان يتعرض له أتباع أهل البيت عليهم السلام، ومحاولة طمس الحقائق التي لها علاقة بأهل البيت عليهم السلام.

نشأتــه

نشأ الإمام الهادي عليه السلام في المدينة حيث بقى مع أبيهِ الإمام الجواد عليه السلام حتى استدعى الخليفة المعتصم العباسي الإمام الجواد بطريقة الاحضار وهكذا فإنَّ الإمام الجواد عليه السلام ترك الإمام الهادي في المدينة المنورة ولم يأتِ به معه، ففي هذه السفرة المشؤمة كانت منيته عليه السلام وكان عُمْر الإمام الهادي تسع سنوات وقد تولى الإمام الهادي الإمامة بعد استشهاد أبيه فأصبح إمامًا مفترض الطاعة تأخذ منه الأحكام.

الإمامة تنصيب إلهي

وردت نصوص عديدة على إمامة الإمام الهادي عليه السلام إضافة إلى النّصوص العامّة، ومن هذه النصوص الخاصّة:

عن الصقر بن أبي دلف، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرّضا عليه السلام يقول: «إنَّ الإمام بعدي ابني علي، أمره أمري، وقولـه قولي، وطاعته طاعتي، والإمامة بعده في ابنه الحسن»[4].

وعن إسماعيل بن مهران، قال: لما خرج أبو جعفر عليه السلام[5] من المدينة إلى بغداد في الدفعة الأولى من خرجتيه. قلت لـه عند خروجه: جُعلت فداك، إنّي أخاف عليك من هذا الوجه، فإلى مَن الأمر بعدك؟. قال: فكرّ بوجهه إليَّ ضاحكاً وقال: «ليس حيث ظننت في هذه السنة».

فلمّا استدعى به إلى المعتصم صرت إليه فقلت لـه: جعلت فداك، أنت خارج فإلى مَن هذا الأمر من بعدك؟.

---

(١) كشف الغمة: ج٢ / ص٣٧٤.

(٢) الإرشاد: ج٢ / ص٢٩٧.

(٣) المناقب: ج٤ / ص٣٨٢.

(٤) كمال الدين: ج٢ ص٣٧٨.

(٥) أي الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام.

فبكى عليه السلام حتى خضّبت لحيته ثم التفت إليَّ فقال: «في هذه يخاف عليَّ، الأمر من بعدي إلى ابني علي»[1].

قال العلامة المجلسي رحمه الله: (والأخبار في هذا الباب كثيرة جدًّا إن عملنا على إثباتها طال الكتاب، وفي إجماع العصابة على إمامة أبي الحسن وعدم من يدعيها سواه في وقته ممن يلتمس الأمر فيه غنى عن إيراد الأخبار بالنصوص على التّفصيل)[2].

وروى الحميري، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن أبيه: أنَّ أبا جعفر عليه السلام [3] لـمّا أراد الخروج من المدينة إلى العراق ومعاودتها، أجلس أبا الحسن[4] في حجره بعد النّص عليه وقال لـه: «ما الذي تحب أن أهدي إليك من طرائف العراق؟». فقال عليه السلام: «سيفاً كأنّه شعلة نار». ثم التفت إلى موسى ابنه وقال لـه: «ما تحب أنت؟». فقال: فرساً. فقال عليه السلام: «أشبهني أبو الحسن، وأشبه هذا أمّه»[5].

ولم يكن لدى الناس أيّ إشكالية في تولّي الإمام الهادي الإمامة رغم صغر سنّه وذلك لأكثر من سبب.

فمن المعلوم أنَّ منصب الإمامة كمنصب النّبوّة منصب إلهي، وأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي يختار ويعين الأئمة كما الأنبياء عليهم السلام، ولذلك لا يبقى للسنّ والعمر أي مدخلية في الاختيار، وأنَّ صفات الكمال من العلم والمعرفة والعصمة وغيرها هي السّمات التي يتحلّى بها المصطفون من عباده، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[6].

وكما اصطفى الله تعالى بعض أنبيائه وهم في سنّ مبكّرة كما في نبوّة عيسى بن مريم عليه السلام كذلك اصطفى بعض أئمّة أهل البيت عليهم السلام وهم في سنّ مبكّرة. وأوّل إمام مفترض الطّاعة تسلّم مقاليد الإمامة وهو في سنّ مبكرة جداً هو الإمام الجواد عليه السلام؛ إذ كان عمره ست سنوات وبضعة شهور، وهو الأمر الذي جعل بعض الشيعة -فضلاً عن غيرهم- في بادئ الأمر في حالة من الحيرة والارتباك والتشكيك في قدرة قيام إمام في سنّ مبكرة على النّهوض بواجبات الإمامة ومسؤولياتها.

وبعد ذلك الإمام الهادي عليه السلام، وقد استطاع الإمام الجواد عليه السلام أيضاً بما يملك من علم وحكمة ومعرفة أن يزيل الشّكوك من قلوب بعض الموالين فضلاً عن غيرهم، وقد أعلن بنفسه أنّه أعلم أهل زمانه مستعدًّا للإجابة على كلّ أسئلة العلماء فضلاً عن غيرهم.

---

(١) كشف الغمة: ج٢ ص٣٧٦-٣٧٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٢١.

(٣) أي الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام.

(٤) أي الإمام علي الهادي عليه السلام.

(٥) بحار الأنوار: ج٥٠ ص١٢٣.

(٦) سورة ال عمران/ الاية:٣٣.

وقد قام الإمام الجواد عليه السلام بنشاط واسع وجهد كبير لإثبات أهليّته للإمامة، وتبديد كلّ الشكوك والتساؤلات التي كانت تُثار حول إمامته بعد رحيل أبيه الإمام الرضا عليه السلام.

وهذا ما مهّد الأمر للإمام الهادي عليه السلام.

لقد تصدّت الرّوايات الواردة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام للإجابة عن هذا الأمر ضمن المفهوم القرآنيّ.

رُوي عن الإمام أبي جعفر الثاني عليه السلام عندما قيل له: «إنّهم يقولون في حداثة سنّك، فقال عليه السلام: إنّ الله تعالى أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان وهو صبيّ يرعى الغنم، فأنكر ذلك عبّاد بني إسرائيل وعلماؤهم، فأوحى الله إلى داود عليه السلام أن خُذ عصي المتكلّمين وعصا سليمان واجعلها في بيت واختم عليها بخواتيم القوم فإذا كان من الغد، فمن كانت عصاه قد أَورقت وأَثمرت فهو الخليفة، فأخبرهم داود، فقالوا: قد رضينا وسلّمنا».

وقد أجاب علماؤنا الأبرار بمثل ما ورد في هذه الروايات من أدلّة وحجج، فعن الشيخ المفيد رحمه الله أنّه قال: «على أنّ ما اشتبه عليهم من جهة سِنّ أبي جعفر عليه السلام فإنّه بيّن الفساد، وذلك أنّ كمال العقل لا يستنكر لحجج الله تعالى مع صغر السنّ، قال الله سبحانه: ﴿**قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا**﴾ (مريم: ٢٩-٣٠) فخبَّر عن المسيح عليه السلام بالكلام في المهد، وقال في قصّة يحيى عليه السلام: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا**﴾ (مريم: ١٢). وقد أجمع جمهور الشيعة مع سائر من خالفهم على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عليّاً عليه السلام وهو صغير السنّ ولم يدع الصبيان غيره، وباهَل بالحسن والحسين عليهما السلام وهما طفلان، ولم يُرَ مباهِلٌ قبله ولا بعده باهَل بالأطفال، وإذا كان الأمر على ما ذكرناه من تخصيص الله تعالى حجَجه على ما شرحناه، بطَل ما تعلّق به هؤلاء القوم».

لقد تضافرت وتعدّدت الروايات التي تفيد بأنَّ الإمام علي الرضا عليه السلام نصّ على إمامة ولده محمّد الجواد عليه السلام أكثر من مرّة.

ومن كراماته ومعجزات علمه أنّه تولّى الإمامة وهو فتى في التاسعة أو السابعة من عمره الشريف، فقد رُوي عن صفوان بن يحيى أنّه دخل ذات يوم على الإمام علي الرضا عليه السلام فسأله عن الخليفة الإمام من بعده، فأشار إلى ابنه الجواد عليه السلام، وهو قائم بين يديه وكان الجواد وقتئذٍ في الثالثة من عمره.

فقال صفوان: جعلت فداك ! هذا ابن ثلاث سنين !

فأجابه الإمام الرضا عليه السلام: « لقد قام عيسى عليه السلام بالحجّة وهو ابن ثلاث سنين».

وكان الإمام الرضا عليه السلام يخاطب ابنه الجواد عليه السلام بالإجلال والتعظيم، ولم يكن يذكره إلّا بكنيته فيقول: «كتب إليّ أبو جعفر» و «كنت أكتب إلى أبي جعفر عليه السلام»، وهو صبي صغير السن في مفاهيم الناس ومعاييرهم، وكان عليه السلام

يؤكّد هذا الكلام في حقّ ابنه ويكرّره دفعاً لتعجّب الناس من انتقال الخلافة إليه وهو قليل السنّ، فكان عليه السلام يقول:

« إنَّ الله تبارك وتعالى احتجّ بعيسى ابن مريم عليه السلام وهو ابن سنتين، وقام عيسى عليه السلام بالأمر وهو ابن ثلاث سنين، وأخبر سبحانه مثل ذلك في شأن يحيى عليه السلام حيث يقول تعالى عزّ من قائل: (صَبِيًّا) ، فيجوز أن يؤتى الرسول والإمام الحكم صبيّاً كما يؤتاه وهو في الأربعين».

وقد أمر الإمام الرضا عليه السلام أصحابه بالسلام على ابنه بالإمامة والتسليم له بالطاعة، وأكّد وشدّد ذلك، حتّى أنّه ذكر لسنان بن نافع: إنَّ ابنه هذا عليه السلام قد ورث ما ورثه هو عليه السلام من قبل آبائه عليهم السلام، وأنّه حجة الله تعالى من بعده.

ثمّ قال: « يا ابن نافع أسلِم وأذعن له بالطاعة، فروحه روحي، وروحي روح رسول الله صلى الله عليه وآله » !

وروي أيضاً أنَّ عمّ أبيه علي بن جعفر الصادق عليه السلام كان ذات يوم جالساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة المنوّرة ومعه أصحابه، إذ دخل عليه أبو جعفر الجواد عليه السلام، فوثب علي بن جعفر عليه السلام بلا حذاء ولا رداء، فقبّل يده وعظمه، فقال له أبو جعفر عليه السلام:

« يا عمّ: اجلس رحمك الله » ! فقال يا سيّدي، كيف أجلس وأنت قائم ؟!

فلمّا رجع إلى مجلسه جعل أصحابه يوبّخونه يقولون: أنت عمّ أبيه، وتفعل به هذا الفعل.

فقبض عليّ بن جعفر على لحيته وقال لهم: اسكتوا، إذا كان الله عزّ وجلّ لم يؤهّل هذه الشيبة وأهّل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه، أأُنكر فضله ؟! نعوذ بالله ممّا تقولون[1].

إذًا الإمامة قضيّة إلهية ومنشؤها منشأ سماويّ لا ترتبط باختيارات الناس ومقاييسهم المتعارفة عندهم.

وكذلك التجربة العملية التي تعرّض لها الإمام حيث إنَّه تم سؤاله أعقد الأسئلة وأجاب بل أفحم جميع السائلين بإجاباته، هو مارس مهمّات الإمامة طيلة حياته من دون تعثّر وهذا جعل الشيعة الحاضرة العامة تعتقد القضيّة في إمامة الإمام الهادي كما هي قضيّة الإمام الجواد. لذلك لم تكن هناك إشكالية في استقبال إمامة الإمام الهادي عليه السلام .

من احتجاجات الإمام الهادي عليه السلام

وروي أنّه قدم إلى المتوكل رجل نصراني فَجَر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم الحد عليه فأسلم فقال يحيى بن أكثم: قد هم إيمانه شركه وفعله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود وقال: بعضهم: يفعل به كذا وكذا فأمر المتوكل بالكتاب إلى أبي الحسن العسكري وسؤاله عن ذلك.

فلمّا قرأ الكتاب كتب: يضرب حتّى يموت.

---

(١) بحار الأنوار / ج ٤٧ / ص ٢٦٦.

فأنكر يحيى وأنكر فقهاء العسكر ذلك فقالوا: يا أمير المؤمنين سل عن هذا فإنّه شيء لم ينطق به كتاب ولم تجيء به سنة .

فكتب إليه: إنَّ فقهاء المسلمين قد أنكروا هذا، وقالوا: لم تجيء به سنة ولم ينطق به كتاب، فبيّن لنا لِمَ أوجبت عليه الضرب حتّى يموت؟

فكتب: بسم الله الرحمن الرّحيم (**فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ**)[1] (**فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُم لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا**)[2].

فأمر به المتوكّل فضرب حتّى مات[3].

عن ابن شهر آشوب: «قال المتوكّل لابن السكّيت: اسأل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي فسأله فقال: لم بعث الله موسى بالعصا، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وبعث محمّداً بالقرآن والسيف؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر، فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم وأثبت الحجّة عليهم، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله في زمان الغالب على أهله الطّب، فأتاهم من إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، فقهرهم وبهرهم، وبعث محمّداً بالقرآن والسيف في زمان الغالب على أهله السيف والشعر، فأتاهم من القرآن الزّاهر والسّيف القاهر ما بهر به شعرهم، وقهر سيفهم، وأثبت الحجّة عليهم.

فقال ابن السّكّيت: فما الحجّة الآن؟ قال: العقل يعرف به الكاذب على الله فيكذب. فقال يحيى بن أكثم: ما لابن السكيت ومناظرته، وإنَّما هو صاحب نحو وشعر ولغة، ورفع قرطاساً فيه مسائل. فأملى علي بن محمّد عليه السلام على ابن السكّيت جوابها وأمره أن يكتب: سألت عن قول الله تعالى (قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ)[4] فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف ولكنه أحب أن يعرف أمّته من الجن والإنس أنَّه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله ففهمه ذلك لئلا يختلف في إمامته وولايته من بعده، ولتأكيد الحجة على الخلق.

وأمّا سجود يعقوب لولده فإنَّ السجود لم يكن ليوسف وإنَّما كان ذلك من يعقوب وولده طاعة لله تعالى وتحيّة ليوسف، كما أنَّ السجود من الملائكة لم يكن لآدم، فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله تعالى

(١) المؤمنون: ٨٤.

(٢) المؤمنون: ٨٥ .

(٣) الاحتجاج: ٢/ ٢٥٨ .

(٤) سورة النمل: ٤٠.

باجتماع الشمل، ألم تر أنَّه يقول في شكره في ذلك الوقت (**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ**)[1] الآية. وأما قوله (**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ**) فإنَّ المخاطب بذلك رسول الله، ولم يكن في شكّ مما أنزل الله إليه ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث نبيّاً من الملائكة؟ ولِمَ لم يُفرّق بينه وبين الناس في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق، فأوحى الله إلى نبيّه: فاسأل الذين يقرأون الكتاب بمحضر من الجهلة هل بعث الله نبيًّا قبلك إلاّ وهو يأكل الطعام والشراب ولك بهم أسوة يا محمّد، وإنّما قال: (فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ)[2] ولم يكن، للنصفة كما قال: (فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَاوَأَبْنَاءكُمْ)[3] ولو قال: تعالوا نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونوا يجيبوا الى المباهلة، وقد علم الله أنَّ نبيه مؤدٍّ عنه رسالته وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي صلى الله عليه وآله بأنَّه صادق فيما يقول ولكن أحبّ أن ينصف من نفسه.

وأمّا قوله: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَة أَقْلاَمٌ)[4] الآية فهو كذلك لو أنَّ أشجار الدّنيا أقلام والبحر مداد يمدّه سبعة أبحر مداً حتى انفجرت الأرض عيوناً كما انفجرت في الطّوفان ما نفدت كلمات الله وهي: عين الكبريت، وعين اليمن، وعين برهوت، وعين الطبرية وحمة ماسبدان تدعى لسان وحمة افريقية تدعى سيلان، وعين باحوران، ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى.

وأما الجنة ففيها من المأكل والمشرب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين وأباح الله ذلك لآدم، والشجرة التي نهى الله آدم عنها وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد عهد الله إليهما أن لا ينظر الى من فضّله الله عليهما والى خلائقه بعين الحسد فنسي ولم يجد له عزماً.

وأما قوله: (أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً)[5] فإنَّ الله تعالى زوّج الذكران المطيعين، ومعاذ الله أن يكون الجليل العظيم عنى ما لبست على نفسك تطلب الرّخص لارتكاب المحارم (وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً)[6] إن لم يتب.

فأمّا شهادة امرأة وحدها التي جازت فهي القابلة التي جازت شهادتها مع الرضا، فإن لم يكن رضى فلا أقل من أمرأتين تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة، لأنَّ الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها.

---

(١) سورة يوسف: ١٠١.

(٢) سوره يونس: ٩٤.

(٣) سورة آل عمران: ٦١.

(٤) سورة لقمان: ٢٧.

(٥) سورة الشورى: ٥٠.

(٦) سورة الفرقان: ٦٨-٦٩.

فأما قول علي في الخنثى فهو كما قال: يرث من المبال وينظر إليه قوم عدول، يأخذ كل واحد منهم مرآة، وتقوم الخنثى خلفهم عريانة وينظرون الى المرآة فيرون الشيء ويحكمون عليه.

وأما الرجل الناظر الى الراعي وقد نزا على شاة، فإن عرفها ذبحها وأحرقها وإن لم يعرفها قسمها الإمام نصفين وساهم بينهما فإن وقع السهم على أحد القسمين، فقد أقسم النصف الآخر، ثم يفرق الذي وقع عليهم السهم نصفين ويقرع بينهما فلا يزال كذلك حتى تبقى اثنتان فيقرع بينهما فأيّتهما وقع السهم عليها ذبحت، وأحرقت، وقد نجا سايرهما وسهم الإمام سهم الله لا يخيب.

وأمّا صلاة الفجر والجهر فيها بالقراءة، لأنَّ النّبي كان يغلس بها فقراءتها من الليل.

وأما قول أميرالمؤمنين عليه السلام: بشّر قاتل ابن صفية بالنار، لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكان ممن خرج يوم النهروان، فلم يقتله أمير المؤمنين بالبصرة لأنَّه علم أنَّه يقتل في فتنة النّهروان.

وأمّا قولك: أنَّ عليًّا قاتل أهل صفّين مقبلين ومدبرين وأجهز على جريحهم وأنَّه يوم الجمل لم يتبع مولّياً ولم يجهز على جريحهم وكلّ من ألقى سيفه وسلاحه آمنه، فإنَّ أهل الجمل قتل إمامهم ولم يكن لهم فئة يرجعون إليها وإنَّما رجع القوم إلى منازلهم غير متحاربين ولا محتالين ولا متجسّسين ولا متبارزين، فقد رضوا بالكفّ عنهم، وكان الحكم فيه رفع السيف والكفّ عنهم إذ لم يطلبوا عليه أعواناً، وأهل صفّين يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام منتصب يجمع لهم السلاح من الرّماح والدّروع والسيوف، ويستعدّ لهم ويسني لهم العطاء ويهيّىء لهم الأموال ويعقب مريضهم، ويجبر كسيرهم، ويداوي جريحهم، ويحمل راجلهم، ويكسو حاسرهم ويردّهم فيرجعون الى محاربتهم وقتالهم. فإنَّ الحكم في أهل البصرة الكف عنهم لما ألقوا أسلحتهم إذ لم تكن لهم فئة يرجعون إليها، والحكم في أهل صفّين أن يتّبع مدبرهم ويجهز على جريحهم فلا يساوى بين الفريقين في الحكم، ولو لا أميرالمؤمنين وحكمه في أهل صفين والجمل لما عرف الحكم في عصاة أهل التوحيد فمن أبى ذلك عرض على السيف.

وأما الرجل الذي أقر باللواط فإنَّه أقر بذلك متبرعاً من نفسه، ولم تقم عليه بيّنة، ولا أخذه سلطان، وإذا كان الإمام الذي من الله أن يعاقب في الله فله أن يعفو في الله، أمّا سمعت الله يقول لسليمان (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَاب)[1] فبدأ بالمن قبل المنع.

فلما قرأ ابن أكثم قال للمتوكل: ما نحب أن نسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه، وأنّه لا يرد عليه شيء

---

(١) سورة ص: ٣٩.

بعدها الاّ دونها، وفي ظهور علمه تقوية للرافضة»[1].

وبعد هذه المناظرات أحسّت السّلطات الحاكمة بالخوف من التفاف الناس حول الإمام عليه السلام فشعروا بالخطر وأخذوا يكيدون المكائد بالإمام عليه السلام.

أولاد الإمام عليه السلام

خلّف الإمام علي الهادي عليه السلام من الأولاد: أربعة ذكور، وبنتاً واحدة، وهم:

١: الحسن العسكري عليه السلام وهو الإمام من بعده.

٢: الحسين.

٣: محمد، توفي في حياة أبيه، وهو السيد محمد عليه السلام أبو جعفر، المدفون في قضاء بلد، المعروف بسبع الدجيل.

٤: جعفر.

٥: بنت تسمى عليّة.

أما جعفر فهو الذي زعم البعض بأنه ادعى الإمامة بعد وفاة أخيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام وعرّفوه بجعفر الكذاب، ولم يكن كذلك، بل كان جعفر مؤمناً بإمامة أبيه وأخيه وابن أخيه المهدي المنتظر عليهم السلام. ولا يصح ما نُسب إلى جعفر بن الإمام الهادي عليه السلام، فإنها روايات ضعيفة سنداً أو دلالة، وربما كانت للتقية، ولا يصح أن يُنسب إليهم مثل هذه الأقوايل وبتلك الأسانيد، وإننا نعلم بأن حكام الجور من بني العباس وغيرهم كانوا يسعون في تشويه سمعة الأئمة (عليهم الصلاة والسلام) فكيف بأولادهم وذراريهم.

نعم إنهم إذا نقلوا فضائل أهل البيت عليهم السلام فإنها من باب: (والفضل ما شهدت به الأعداء) ومن باب إقرار العقلاء على أنفسهم جائز، كما أنه لا مانع من قول أهل الخبرة إذا لم يكن لـه ولا عليه على تفصيل مذكور في الأصول.

درر من كلمات الإمام عليه السلام

نحن الكلمات

قال الإمام علي الهادي عليه السلام في تفسير قولـه: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[2]: «نحن الكلمات التي لا تدرك فضائلنا ولا تستقصى»[3].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب/ ج4/ ص403.

(٢) سورة لقمان: ٢٧.

(٣) المناقب: ج٤ ص٤٠٤.

بقعة كربلاء

قال عليه السلام: «إن لله بقاعاً يحبّ أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه، والحير منها»[1].

حير مخفف الحائر، والمراد به حائر الإمام الحسين عليه السلام.

من اتقى الله

قال عليه السلام: «من اتقى الله يُتقى، ومن اطاع الله يُطاع، ومن أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوقين، ومن أسخط الخالق فلييقن أن يحل به سخط المخلوقين»[2].

لماذا اتخذه خليلا؟

قال عليه السلام: «إنَّما اتخذ الله إبراهيم عليه السلام خليلاً لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته»[3].

لا تأمن مكر الله

قال عليه السلام: «من أمن مكر الله وأليم أخذه تكبر حتى يحل به قضاؤه ونافذ أمره، ومن كان على بيّنة من ربه هانت به مصائب الدنيا ولو قرض ونشر»[4].

شكر النعم

قال عليه السلام: «الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر؛ لأنّ النعم متاع، والشكر نعم وعقبى»[5].

الدنيا والآخرة

قال عليه السلام: «إنَّ الله جعل الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً»[6].

الحلم والسفه

قال عليه السلام: «إنَّ الظالم الحالم يكاد أن يعفى على ظلمه بحلمه، وإنّ المحق السفيه يكاد أن يطفئ نور حقه بسفهه»[7].

---

(١) تحف العقول: ص٤٨٢.

(٢) المصدر نفسه: ص٤٨٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج٧ ص١٩٤.

(٤) تحف العقول: ص٤٨٣.

(٥) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٣٦٥.

(٦) المصدر نفسه: ج٧٥ ص٣٦٥.

(٧) تحف العقول: ص٤٨٣.

بين الود والطاعة

قال عليه السلام: «من جمع لك ودّه ورأيه فأجمع لـه طاعتك»[1].

لا تأمنه

قال عليه السلام: «من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره»[2].

الدنيا سوق

قال عليه السلام: «الدنيا سوق ربح فيها قوم وخسر آخرون»[3].

حفظ العهد

قال عليه السلام: «حفظ العهود من أخلاق المعبود»[4].

زيارة الإمام عليه السلام

وكان الإمام الهادي عليه السلام كآبائه الطاهرين عليهم السلام يؤكدون زيارة المشاهد المشرفة للنبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام بعد وفاتهم.

وفي حديث قال الإمام الهادي عليه السلام: «هذا الدعاء كثيراً أدعو الله به وقد سألت الله أن لا يخيب من دعا به في مشهدي بعدي وهو: يا عُدّتي عند العُدَد، ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسند، ويا واحدُ يا أحدُ، يا قل هو الله أحد، وأسألك اللهم بحقّ من خلقته من خلقك، ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً أن تصلي عليهم وتفعل بي كيت وكيت»[5].

وفي (مستدرك الوسائل) عن (كامل الزيارات) عن بعضهم عليه السلام قال: «إذا أردت زيارة قبر أبي الحسن علي بن محمد وأبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام تقول بعد الغسل إن وصلتَ إلى قبريهما، وإلاّ أومأتَ بالسلام من عند الباب الذي على الشارع، الشباك، تقول:

«السَّلامُ عَلَيْكُمَا يَا وَلِيَّيِ الله، السَّلامُ عَلَيْكُمَا يَا حُجَّتَيِ الله، السَّلامُ عَلَيْكُمَا يَا نُورَيِ الله فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ، السَّلامُ عَلَيْكُمَا يَا مَنْ بَدَا لله فِيكُمَا، أَتَيْتُكُمَا عَارِفاً بِحَقِّكُمَا، مُعَادِياً لأَعْدَائِكُمَا، مُوَالِياً لأَوْلِيَائِكُمَا، مُؤْمِناً بِمَا آمَنْتُمَا بِهِ، كَافِراً بِمَا كَفَرْتُمَا بِهِ، مُحَقِّقاً لِمَا حَقَّقْتُمَا، مُبْطِلاً لِمَا أَبْطَلْتُمَا، أَسْأَلُ الله رَبِّي وَرَبَّكُمَا أَنْ يَجْعَلَ حَظِّي مِنْ زِيَارَتِكُمَا الصَّلاةَ

---

(١) تحف العقول: ص٤٨٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٧٥/ ص٣٦٥.

(٣) المصدر نفسه: ج٧٥ / ص٣٦٦.

(٤) المصدر نفسه: ج٥٠ / ص١١٧.

(٥) المصدر نفسه: ج٥٠ / ص١٢٧-١٢٨.

عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنِي مُرَافَقَتَكُمَا فِي الْجِنَانِ، مَعَ آبَائِكُمَا الصَّالِحِينَ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُعْتِقَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ، وَيَرْزُقَنِي شَفَاعَتَكُمَا وَمُصَاحَبَتَكُمَا، وَلا يُفَرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا، وَلا يَسْلُبَنِي حُبَّكُمَا، وَحُبَّ آبَائِكُمَا الصَّالِحِينَ، وَلا يَجْعَلَهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْكُمَا وَمِنْ زِيَارَتِكُمَا، وَأَنْ يَحْشُرَنِي مَعَكُمَا فِي الْجَنَّةِ بِرَحْمَتِهِ، اللهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّهُمَا، وَتَوَفَّنِي عَلَى مِلَّتِهِمَا، وَالْعَنْ ظَالِمِي آلِ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ، وَانْتَقِمْ مِنْهُمُ، اللهُمَّ الْعَنِ الأَوَّلِينَ مِنْهُمْ وَالآخِرِينَ، وَضَاعِفْ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ الأَلِيمَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ عَجِلْ فَرَجَ وَلِيِّكَ وَابْنِ نَبِيِّكَ، وَاجْعَلْ فَرَجَنَا مَعَ فَرَجِهِمْ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»

وتجتهد في الدعاء لنفسك ولوالديك وتخير من الدعاء فإن وصلت إليهما عليهما السلام فصلّ عند قبرهما ركعتين، وإذا دخلت المسجد وصليت دعوت الله بما أحببت إنَّه قريب مجيب، وهذا المسجد إلى جانب الدار وفيه كانا يصليان»[1].

وفي وداعهما عليهما السلام:

تقف كوقوفك في أول دخولك وتقول:

«السَّلامُ عَلَيْكُمَا يَا وَلِيَّيِ الله، أَسْتَوْدِعُكُمَا الله، وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمَا السَّلامَ، آمَنَّا بِالله وَبِالرَّسُولِ وَبِمَا جِئْتُمَا بِهِ وَدَلَلْتُمَا عَلَيْهِ، اللهُمَّ اكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ».

ثم اسأل الله العود إليهما عليهما السلام وادع بما أحببت إن شاء الله.

(١) مستدرك الوسائل: ج١٠ / ص٣٦٤.

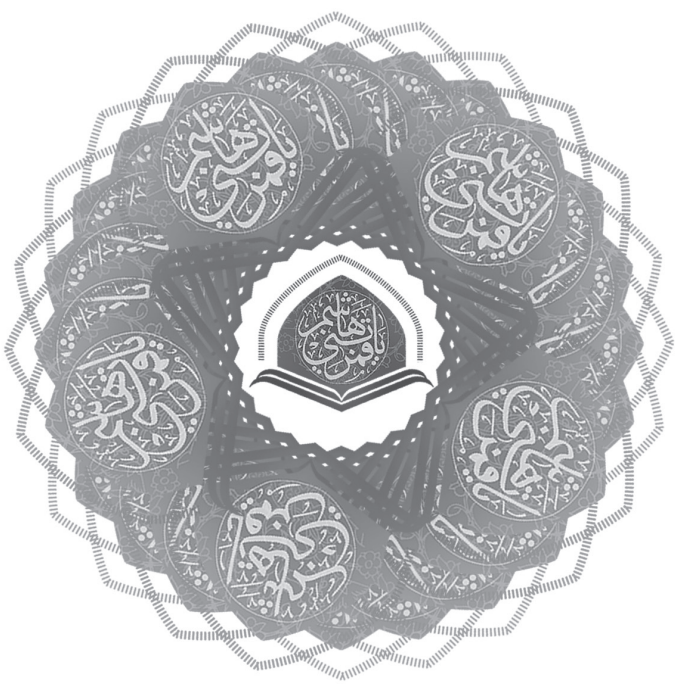

من وصية الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم

السيد أحمد الموسوي

قال الإمام الكاظم عليه السلام: " **إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَشَّرَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ فَبَشِّرْ عِبادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ وَأُولئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ.**

يَا هِشَامَ بْنَ الْحَكَمِ إِنَّ الله عَزَّ وَ جَلَّ أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ وَأَفْضَى إِلَيْهِمْ بِالْبَيَانِ وَدَلَّهُمْ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بِالْأَدِلَّاءِ فَقَالَ وَإِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ إِلَى قَوْلِهِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ.

يَا هِشَامُ قَدْ جَعَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّ لَهُمْ مُدَبِّراً فَقَالَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَقَالَ حم وَالْكِتابِ الْمُبِينِ.

إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ، وَقَالَ: وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ..."[1].

إنَّ هذا الحديث الشريف الرائع ينطوي على قواعد علمية وعلوم كثيرة انطوى عليها الكون، من الفلكيات، وعلم المواليد، والنفوس، والأخلاق، وتزكية النفس، وتنظيفها من الرذائل، والسياسة المدنية، والمواعظ، والنصائح، والزهد، وذم الدنيا، والرجوع إلى الله، وذم الكفر، وتأثيره على النشأة حتى تتغير فتصبح كالبهائم في عدم تعقلها، إلى آخر ما يحمل الحديث الشريف بين دفتيه من فصول خطابيّة كلها مشاهد لذوي العقول السليمة وأولي النُهى وشواهد الإيمان.

وكل ذلك تدعو الإنسان نحو الحياة العلمية والعملية ليحصل بها سعادته الأبدية قال تعالى: (**فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله...**) [2].

وهم الذين اجتنبوا أن يعبدوا الطاغوت، وأن يطيعوه ويطيعوا أمر الفراعنة والجبابرة، وأنابوا إلى الله فلهم

(١) الكافي / الشيخ الكليني/ ج ١ / ص ١٣.

(٢) سورة الزمر: ١٧-١٨.

البشرى.

وهذا وأنابوا إلى الله إشارة إلى أنَّ مجرد اجتناب عبادة الطاغوت وترك طاعته لا ينفع بل الذي ينفع هو النفي والإثبات معاً أي عبادة الله وطاعته، وترك عبادة غيره وطاعته فهناك تكون العبادة خالصة له ومخلصاً له الدين، وأحسن القول هو الذي له ربط ومساس بالعمل فيكون أهدى، وأرشد إلى الحق والحقيقة، وأنصح للإنسان.

والإنسان الشاعر الفهيم لا ريب أن يحب الحسن وينجذب إلى الجمال، فكلما زاد في نظره الحسن والجمال زاد إليهما انجذاباً، وبديهي أنَّه إذا كان هناك حسن وقبيح يرغب في الحسن ويتنفر عن القبيح، وإذا رأى حسناً، وأحسنا فيميل إلى الأحسن.

وتوظيفهم باتباعهم أحسن القول دال على أنَّهم يطلبون الحق، ويريدون الرشد، ويحبّون أن يصيبوا الواقع والحقيقة، ليكونوا كلّما دار الأمر بين الحق والباطل، والرّشد والغي يتّبعون الحق والرشد، ويجتنبون الباطل والغي، فليس لهم مطلوب إلاّ الحق، والرشد (أولئك الذين هداهم الله) فاتباعهم أحسن القول هو الهداية الإلهية، فطلب الحق والتّهيأة التّامة لاتباع الحق هي الهداية الإجمالية وإليها تنتهي الهدايات التفصيلية إلى المعارف الإلهية.

قوله ﷺ: (إن الله تعالى أكمل للناس الحجج بالعقول)، نعم لما تعلقت الإرادة الأزلية في خلق الكائنات، وكانت الغاية من خلق العباد أن يعرفوه جل وعز فيعبدوه، فنصب لهم الأدلّة والبراهين على معرفته، فأنارت أعلامها وأبلجت سبلها، وأشارت إلى ذلك بالآثار الدّالة على وجوده ووجوبه في الآفاق والأنفس، وفي كلّ شيء له آية تدل على أنّه واحد، ففي العقل كمال البرهان، وبه ينتهي إلى البديهيات، فهو الحجّة البالغة وكمال الحجة.

ولكن العقل ليس حجّة كاملة، إذ لو كان كذلك لما كانت الحاجة إلى الأنبياء والرسل، فإنَّ العقل مهما بلغ من السّمو والرّفعة فهو قاصر عن إدراك حقائق الأنبياء، وإن أدرك ظاهرها، لأنّه عاجز عن فهم ماهيّة الأشياء والحوادث، وماهيّة القوانين التي تتم بها تلك الظواهر.

والعقل يجهل حتى ماهيّة نفسه، فهو يعمل ولكن بحدود خاصّة ونشاط محدود، فهو لقصوره يحتاج إلى هاد ومرشد، ولذلك ألطف البديع الخبير البصير ببعثة الأنبياء والرسل، وأوصيائهم المعصومين، وأيّدهم بالأدلة والبراهين، والمعجزات التي يعجز العقل من إدراكها وفهم حقائقها، والأدلة ما بيّنها في كتابه الحكيم من دلائل الربوبية والوحدانية، أو ما أظهر من آثار صنعه وقدرته في الآفاق في الأنفس.

قوله ﷺ: (ونصر النبيين بالبيان) يعني بالفصاحة والبلاغة أو بالمعجزات والكرامات، وقدرتهم على تمام

كل حجة وجواب كل شبهة وإبانة كل حق على أحد بما يناسب حاله، وعلمهم بكل شيء كما قال عليه السلام: (وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب).

قوله ﷺ: (ودلّهم على ربوبيته بالأدلة) فقال: **(وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم)**[1]، يعني الإله الحق المستحق لعبادتكم هو واحد حقيقي لا شريك له في استحقاق العبادة، ووجوب وجوده ذاتي لا يشاركه في ذلك شيء، ولا شريك له في صفاته ووحدته الحقيقية، فـ (والهكم إله واحد) بجملته تفيد اختصاص الألوهيّة في الله عزّ اسمه وحده لا شريك له، ووحدته فيها وحدة يليق بساحة قدسه سبحانه وتعالى فحسب، وذلك أنَّ لفظ الواحد بحسب تفاهم العرف لا يدل على أزيد من مفهوم الوحدة العامة التي تقبل الانطباق على أنواع مختلفة لا يليق به تعالى وتقدس إلاّ بعضها، فهناك وحدة عددية، ووحدة نوعية، ووحدة جنسية وغير ذلك، فلو قيل: الله إله واحد... لم يكن فيه توحيد لأنَّ المشركين أيضاً يرون أنَّ تعالى إله واحد، كما أنَّ كلّ واحد من آلهتهم عندهم إله واحد، ولو قيل: وإلهكم واحد، لم يكن نصاً بالتوحيد لإمكان ذهاب الوهم إلى أنّه واحد في النوع وهو الألوهية... وأما: (وإلهكم إله واحد) فيثبت أنه إله واحد مقابل إلهين اثنين، وآلهة كثيرة.

بحث علمي في ضوء الآية الكريمة

على ضوء هذه الآية الكريمة **(وإلهكم إله واحد)**[2] نتعرف إلى برهان فطري، والآخر علمي، لأنَّ البحث عن الله والتعرف إلى الموجد أمر شغل به البشر وبني آدم منذ ظهوره على الكرة الأرضية ووجد في الكون، ولذلك اتجه متطلعاً في بحثه عنه حتى كأنَّما يدفعه إليه شعور خفي وانسياق نحو الوصول إليه بتأثير الفطرة الكامنة فيه، وهي تركزت في النّفس البشرية تتحرّى لأداء واجبها والقيام بوظيفتها منذ أن تنفتح مشاعر الإنسان وتستيقظ مداركه.

والفطرة ليست عقلاً محضاً، ولا عاطفة صرفاً بل هي مزيجة منهما، لايطغي أحدهما على الآخر، ولذلك كانت هي سليمة من كلّ شائبة، وهي تنشل أقرب السبل لمعرفة ربّها.

وعلى هذا كان الإسلام دين الفطرة ودعوته صريحة في ذلك، كما يشير إليه الحديث الشريف: (كل مولود يولد على الفطرة أي على دين الفطرة وهو الإسلام وإنّما أبواه يُهوّدانه وينصّرانه)[3] وممّا يفهم من قوله تعالى: **(وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا**

---

(١) سورة البقرة: ١٦٣.

(٢) سورة البقرة: ١٦٣.

(٣) بحار الأنوار: ج٣/ ص٢٨١.

يوم القيامة إنّا كنّا عن هذا غافلين)[1].

وإنّما أشهدهم على أنفسهم بما أودع في عقولهم الغريزية من البراهين المضيئة بأدّلتها على وحدانيّته، وركّب فيهم الغرائز العجيبة، فكيف يغفل الإنسان عن الله وفيه العقل المتطلع إلى الله المتشوّق إلى الوصول إليه.

ولعلّ قوله سبحانه وتعالى: **(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لايعلمون)**[2]، لمّا كان الإنسان بفطرته متطلّعاً لا يقنع من الحياة بمظاهرها كما تنقلها إليه حواسه، وينفعل بها شعوره، بل يتناولها بعقله، وينفذ إليه ببصيرته ليعرف حقائق الأشياء، ويعلم أنّه من أين جاء، وكيف وُجد وصار، وإلى مَن ينتهي.

إنّ معرفة الله سبحانه وتعالى كما يليق وينبغي هي محجوبة عن إدراك الإنسان إلاّ من طريق الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم المعصومين عليهم السلام، وخاتم الأنبياءووصيّه عليّ ﷺ كانا أعرف الناس بالله كما جاء عنه عليه السلام: (يا علي لايعرف الله حق المعرفة إلاّ أنا وأنت، ولا يعرفني إلاّ الله وأنت، ولا يعرفك إلاّ الله وأنا)[3].

فقال إمام المتقين وسيّد الوصييّن عليّ ﷺ :[4]

(ليس لأوّليته ابتداء وإلاّ لكان محدثا، وواجد الوجود ذاته لا تقبل العدم ويستحيل الجمع بينهما لأن الذات المحدَثة مسبوقة بالعدم ويحتاج إلى علّة تعطيه الوجود، وإلا لزم رجحان المرجوح بلا مرجح وهو محال

وقال ﷺ: وليس لأزليّته انقضاء لأنه لو جاز عليه العدم لكان لعدمه سبب، وكذلك وجوده كان متوّقفاً على غيره، والمتوقّف على غيره ممكن، وعلمنا أنَّ الممكن هو متساوي الطرفين فلا ترجيح لأحد طرفيه على الآخر إلاّ بمرجح، وإلاّ يلزم الترجيح بلا مرجح...

وقال أمير المؤمنين ﷺ: ولا يشبه الأشياء لأنَّ ما عداه إمّا جسم أو عرض أو مجرّد، فلو أشبه الجسم لكان مركّباً، وإذا تركّب لتقدم وجود كل جزء من أجزائه على وجود جملته التي هي ذاته، وكل جزء من أجزائه غير ذاته بالضرورة، فيكون وجود جملته محتاجاً إلى غيره، والواجب ما كان وجوده لذاته، ولا عرض، لأنَّ العرض يفتقر إلى محل، وقد علمنا أنّ المفتقر إلى غيره ممكن، ولو شابه غيره من المجردات لكان ممكناً لأنّ ما عداه من المجرّدات ممكن، وواجب الوجود ليس بممكن. وقد جعل المخلوقات ذوات حدود ليتميز هو سبحانه وتعالى عنها، إذ لا حدّ له جلّ وعزّ، لأنَّ المحدود مدرَك فيفتقر إلى علّته المدركة، والمفتقر ممكن. إنّه جلّ وعزّ متفرّد

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

(٣) راجع بحار الأنوار: ج٣٩ ص٨٤ .

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٣.

في وجوب الوجود، لأنّ لو تعدّد واجب الوجود لكان لكل من الواجبين تعيّن يخالف الآخر، وتمييز ما بينهما بالضرورة، وإلّا لم يكن هناك تعدّد، فيختلف العلم والإرادة باختلاف الذوات، فيتباين علمهما وإرادتهما، وهذا التخالف ذاتي فلا سبيل إلى التغيّر والتبدّل، فلو تعدّد الواجبون لتخالف أفعالهم بتخالف علومهم، ويستحيل معه الوفاق: **(لو كان فيهما آلهةً إلاّ الله لفسدتا)**[1]. هذه الكلمة الحكيمة برهان قطعي لا إقناعيّ كما توهّم بعض. قوله تعالى: (لا إله إلاّ هو الرحمن الرحيم)[2]تأكيد في التوحيد، ونفي لكلّ توهّم أو تأويل يمكن أن يتعلّق بقوله سبحانه وتعالى: (وإلهكم إله واحد)[3].

قوله تعالى: **(إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفُلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيى به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)**[4].

إنّ سياق هذه الآية يدل على أنّها مسوقة للدلالة والبرهنة على ما تضمّنته الآية السابقة (وإلهكم إله واحد) فإنّ هذه الآية تنحلّ بحسب المعنى إلى أنّ لكلّ شيء من هذه الأشياء المذكورة إلهاً، وأنّ إله الجميع واحد، وأنّ هذا الإله الواحد هو إلهكم، وأنّه رحمن مفيض للرحمة العامة، ورحيم يسوق إلى سعادة الآخرة، فهذه حقائق حقة.

وفي خلق السّماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار... الخ آيات دالة على تلك الحقائق عند قوم يعقلون، والآية تّبين نظام الكون والعالم العلوي والسفلي وارتباطهما وتعاشقهما واختلاف الليل والنهار، وكيف بدأ بالفُلك وثنى بعلم الطبيعة وجعلها منظمة كأنّها إنسان واحد، ونبات واحد، فترى كلّ كائن مستمداً من سواه.

إنّ السماوات التي أظلّتنا على ما فيها من بدائع الخلقة، والأرض التي أقلّتنا مع عجيب أمرها وما فيها من عجائب وغرائب، والتّحوّلات والتقلّبات كاختلاف الليل والنهار، والفُلك الجارية في البحار، والأمطار النازلة من السماء، والرياح الناقلة للسحاب، والسحاب المسخرة بين السماء والأرض، جميعها في نفسها مفتقرة إلى صانع وموجد، فلكلّ منها إله موحد، (هذا هو الحجّة الأولى).

ثم إنّ هذه الأجرام الجويّة المختلفة بالصغر، والكبر والبعد، والقرب وقد وُجد الواحد في الكبر ما يعادل الملايين من حجم الأرض وهو كرة يعادل قطرها ٩٠٠٠ ميلاً تقريباً، والمكتشف من المسافة بين جرمين علويين

(١) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٢) سورة البقرة: ١٦٣.

(٣) سورة البقرة: ١٦٣.

(٤) سورة البقرة: ١٦٣.

ما يقرب من ثلاثة ملايين سنة نوريّة، والسنة النوريّة من المسافة تعدل ٣٦٥×٦٠×٦٠×٣٠٠٠٠٠ كيلو متر تقريباً[١].

فانظر إلى هذه الأرقام التي تدهش العقول، وتبهت الفكر، واقض ما أنت قاض أيّها البشر في هذه العجائب والبدائع، وقل: سبحان الله بديع السماوات والأرض وخالقهما وصانعهما، وربّهما، وربّ ما بينهما وما فوقهما وما تحتهما، وربّ العرش العظيم.

فاختلاف الليل والنهار بقرب الشّمس وبعدهما في البروج الشماليّة، والجنوبيّة يدعو إلى اختلاف الحرارة والبرودة في الأقطار المتباينة، وهبوب الرّياح، فترى الأمطار تتساقط من السماء تبعاً لنواميس الحرارة والبرودة المسخرين لناموس الأفلاك، وسير الشّمس في البروج، فتنشأ عوالم النبات والحيوان والإنسان من تلك الأمطار والمياه النازلة من السماء، وتهبّ الرياح فتجري السُفن وتسير في البحار كما تسير السُحُب في الجو، ولكلّ قوانين في سيره، والسفن لن تتجاوز ما رسم لها الملّاحون، والسّحب لن تعدو طريقها المرسوم لها بالنّواميس الطبيعية رحمة للناس، فترى العالم على هذا النسق كرة واحدة يستمدّ الأسفل من الأعلى، وعليه أصبح هذا العالم كجسم واحد وقلب وأعضاء متحركة، وهل دورة المياه، والرياح المسخرات، ودورات الشموس والأقمار كما يدور الدم في أجسامنا؟.

نعم إنّه ﷺ يشير بقوله: (قد جعل الله ذلك دليلاً على معرفته...) إلى ما في آخر الآية من الدلائل على وجوده ووجوب وجوده، ووحدانيّته، والدلائل ثمانية:

١- خلق السماوات والأرض.

٢- اختلاف الليل والنهار.

٣- جريان الفُلك.

٤ -نزول المطر.

٥ -إحياء الأرض.

٦ -وجود أنواع الحيوان.

٧ -تصريف الرياح.

٨ -السحاب المسّخر بين السماء والأرض[٢].

---

(١) تفسير الميزان: ج١ ص٤٠٢ للعلاّمة الطباطبائي.

(٢) الشافي في شرح أصول الكافي: ج١/ ص٨٣ للشيخ عبد الحسين المظفر.

هذه أمور يفعل بعضها في بعض، وينفعل بعض منها عن بعض أينما كانت وكيفما كانت بالجاذبية العامة، وإفاضة النور والحرارة، وتحيى بذلك سنّة الحركة العامة، والزمان العمومي، وهذا نظام عام دائم تحت قانون ثابت حتى أنَّ النسبة العموميّة القاضية بالتغيّر في قوانين الحركة في العالم الجسماني لا تتجافى عن الاعتراف بأنّ التغيير العمومي أيضاً محكوم قانون آخر ثابت في التغيّر والتحوّل، ثم إنّ هذه الحركة والتحوّل العمومي تُتصور في كلّ جزء من أجزاء العالم بصورة خاصّة كما بين الشمس التي لعالمنا مع منظومتها، ثم تزيد ضيقاً في الدائرة كما في أرضنا مع ما يختصّ بها من الحوادث، والأجرام كالقمر، والليل والنهار، والرياح، والسُحُب، والأمطار، ثم تتضيّق الدائرة كما في المكوّنات الأرضيّة، من المعادن، والنبات، والحيوان، وسائر التراكيب... ثم تتضيّق الدائرة حتى تصل إلى العناصر، ثم إلى الذّرّات، وإلى أجزاء الذّرّات.. إلى آخر ما انتهى الفحص العلمي الميسور للإنسان إلى يومنا هذا، وهي الالكترون، والبروتون، ويوجد هناك نظير المنظومات الشّمسّية جرم مركزي، وأشياء تدور حولها دوران الكواكب على مداراتها التي حول شمسها[1].

ففي أيّ موقف من هذه المواقف ويكون الإنسان شاهداً لنظام عجيب ذي تحوّلات وتغيّرات، وتحيي بها سنّة إلهيّة لا تنفد عجائبه ولا تنتهي غرائبه، لا استثناء في جريها وإن كان واحداً، ولا اتفاق في طيّها وإن كان نادراً شارداً، ولايُدرك ساحلها ولا يُقطع مراحلها، وكلّما رُكّبت عدّة منها أخذاً من الدّقيق إلى الجليل تجدها عالماً واحداً ذا نظام واحد، وتدبير متّصل حتّى ينتهي الأمر إلى ما انتهى إليه توسّع العالم إلى اليوم بالحسّ المسلّح والمراصد الدقيقة، فالعالم شيء واحد، والتدبير متّصل، وجميع الأجزاء مسخّرة تحت نظام واحد وإن كثرت واختلفت أحكامها، وعنت الوجوه للحيّ القيّوم، فإله الكون الموجد له والمدبّر لأمره واحد.

إنَّ الإنسان الذي هو مخلوق من الأرض، ويعيش في الأرض، ويموت ويعود إلى الأرض لا يحتاج في حياته وعيشته وبقائه إلى أزيد من هذا النظام الكلّي الذي بهذا الكون المتّصل تدبيره، الواحد نظامه، فهذه الأجرام العلويّة في إنارتها وتسخينها وهذه الأرض في اختلاف ليلها ونهارها، ورياحها وسُحُبها وأمطارها، ومنافعها التي تجري في أقطارها من أرزاق وأمتعة هي التي يحتاج إليها الإنسان في حياته، وتعيشه فإلهها الموجد لها، والمدبّر لأمرها هو إله الإنسان، الموجد له والمدبّر لأمره...

قوله ﷻ: فقال تعالى: (وسخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون)[2].

---

(١) الميزان للعلامة الطباطبائي: ج1/ ص403.

(٢) سورة النحل: ١٢.

لمّا ذكر ﷻ الآية السابقة: وفيها: (**واختلاف الليل والنهار**) [1] دليلًا على أنّ إله الكون إله واحد لا إله إلا هو وحده لا شريك له، عقبها بهذه الآية: (**وسخّر لكم الليل والنهار...**) [2] وهذه الآية تذكر تسخير الله الليل والنهار لنفع عباده، وسخّر الليل والنّهار: أي ذلّلهما لمصالح الناس، لأنّ الزّمان يتولّد منهما فهما أجزاؤه، والزمّان ليس إلا حركة دورية غير مستقيمة للشمس ينشأ منها النهار، وكذلك الليل.

إنّك إذا نظرت إلى حركة الشّمس الظّاهريّة من المشرق إلى المغرب رأيت ما كان صباحاً في مكان هو نفسه ظهراً وعصراً ومغرباً وعشاءً، ونصف ليل عند مكان آخر، فالشمس في كلّ لحظة في غروب وشروق وزوال وضحى، ونصف ليل، وإذا نظرنا إلى حركة الشمس السّنويّة بحسب الظاهر، وهي تنقّلها في البروج الاثني عشر، وإنّها تبعد تارة وتقرب أخرى فتعطي أيّاماً على طول السنة، مختلفة باختلاف الأقطار، فأقصر الأيّام يكون ساعة أو أقل، وأطول الأيّام يكون نصف سنة، وأعدل الأيّام اثنا عشر ساعة.

إنّ الشمس نراها خاضعة لهذا النّظام ولهذه القدرة، إذا دارت الأرض حولها تنظم حركاتها بنظام تتبعه هذه الحكمة العجيبة، فالصيف عند الشمال شتاء عند أهل الجنوب، وإنّها لو بقيت في مكان واحد لاحترق المكان ولم يعش فيه ذو نفس وحياة، يقول سبحانه وتعالى: (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه)[3].

والذي يستدعي النّظر، ويبهر العقول هو تآلف ما في السماوات من طوائف، لكل منها ولمجموعها نظام، ومن النظام الشمس الذي يسير بسنن إلهية حكيمة يُعبر عنه بالجاذبية، ولولا هذا النظام لتصادمت الكواكب.

إنّه سبحانه وتعالى جعل للشمس والقمر بروجًا ومنازل وبذلك يُعلم حساب الأعمار، وقد أثبت علم الفلك أنّ للنجوم السيارات مدارات تجري فيها دائماً على نظام ثابت بحيث لو انحرفت عن تلك المدارات قليلاً لاختل نظام الكون كله، إنّ السُفُن الباخرة والفُلك الجارية في البحر بحاجة إلى النّجوم السّيّارة التي يلاحظها الملّاحون في سيرهم باتجاهها إلى الشمال أو إلى الجنوب: (**وعلامات وبالنجم هم يهتدون**)[4].

قوله ﷻ: وقال سبحانه وتعالى: (**هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً**)[5].

---

(١) سورة البقرة: ١٦٤.

(٢) سورة النحل: ١٢.

(٣) سورة القصص: ٧٢.

(٤) سورة النحل: ١٦.

(٥) سورة غافر: ٦٧.

آيات التوحيد توحيد الربوبيّة والألوهيّة بعدما بدأ بها في أوّل السورة قوله تعالى: (هو الذي يريكم آياته)[1] فقال تعالى: (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه...) أي جعل لأجلكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه من التعب الذي تحملتم وجه النهار في طلب الرزق، وجعل النهار مبصراً لتبتغوا فيه من فضل ربّكم وتكسبوا الرزق، وتُحصلوا العلم... (ذلكم الله ربّكم خالق كل شيء لا إله إلا هو...) [2] أي ذلكم الذي يدبّر أمر حياتكم ومعيشتكم بسكون في الليل وسعي في النهار هو الله سبحانه وتعالى ربكم المدبّر لأموركم كلّها.

(الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً) [3] أي أنّه سبحانه وتعالى أنعم عليكم بالاستقرار على الأرض تحت قبّة السّماء... وأحسن خلق صوركم وذلك أنّ الإنسان مجهّز من دقائق التجهيز في صورته بما يقدر به على الأعمال المتنوّعة العجيبة التي لا يقدر عليها غيره من الحيوان، وهو يلتذ من مزايا الحياة بما لا يتيسّر لغيره أبداً.

ورزقكم من الطّيبات: هي الأرزاق المتنوّعة التي تلائم بالطّبع طبيعة الإنسان من الحبوب، واللحوم، والفواكه.. (فتبارك الله رب العالمين): إنَّ الرّبوبيّة واحدة، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد مدّبر لأمر العالمين جمعاء كما هو مدّبر لأمر الإنسان...

(هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين...) له وحده حياة لايداخلها موت ولا يعترضها فناء، فهو تعالى وتقدّس حي بذاته، وغيره كائناً من كان وما كان حي بإحياء غيره له فلن يكون مستحقّ العبادة بذاته إلاّ من هو حيّ بذاته...

(هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة...) خلقهم من تراب لأن آدم وهو أبوهم وأصلهم خُلق من تراب، أو المراد بخلقهم من تراب هو تكون نطفتهم من البسائط الأرضية، ثم خلقهم من نطفة وهي ماء مهين دافق يخرج من بين الصلب والترائب، ثم من علقة وهي دم متجمّد، ثم يخرجهم من بطون أمّهاتهم طفلاً رضيعاً: (ثم لتبلغوا أشدّكم) أي ثم ينشئكم لتبلغوا من العمر زمان اشتداد القوى والغرائز...

فالآية **(هو الذي خلقكم من تراب...)** تصّور كيفية خلق الإنسان، والإنسان فصيلة من الحيوان فهو من جملة الدّواب، ولكن يمتاز على غيره من فصائل الحيوان بعقل وإدراك، وقد أضاءت الآية عن الأدلّة على وجوده واتقان صنع في الأنفس، وهي أكثر من أن تُحصى، وقد اتخذت جليًّا، وتمشّت مع العلم في اتساع نطاقها، ولذلك دلائل وجوده لا تكلّفنا إلاّ إلى نظرة واحدة بتفكير توجّهها إلى أيّ عضو شئنا من أعضائنا نجد البرهان

---

(١) سورة غافر: ١٣.

(٢) سورة غافر: ٦١.

(٣) سورة غافر: ٦٤.

ساطعاً ينطق عن مبدعه، وإتقان صنعه، لأنّ الإنسان فيما يبدو من نظمه وتنسيقه وإدراكه وإرادته، وبما يتضمّنه من ألفة وارتباط... يظهر أنَّه من أرقى الكائنات الحية.

والقرآن يوجّه الأنظار إلى ما حكته الآية وهو مصدر خلق الإنسان إنّه حق أن تعتري الناس الدّهشة عندما يقفون على تلك العناصر التي تحوّلت من التراب إلى عناصر التّغذية نباتاً فحيواناً، فكان منه الغذاء، ومن الغذاء تكوّنت النّطفة فعلقة فمضغة فعظام، فتكسى العظام لحماً... فيخرج طفلاً بشراً رضيعاً..

والأمر الأعجب الذي يُذهل العقول هو (الخلية) التي تكلفت بالحياة، وقد بلغت من الدقة لولا (المجهر) ميكروسكوب الذي يضاعف حجمها إلى عشرات الألوف لما كان من الممكن أن يشاهدها إنسان، ولو وقفنا على مراحل الجنين الذي يعيش في ذلك المحلّ الظلماني الضّيّق، ويكتب ما يعبأ به ليواجه العالم النّوراني الذي سينتقل إليه، ويرتحل من هذا العالم الذي يتدرّج به سائراً ببطئ[1].

والآية قد تعرّضت لأطوار حياة الإنسان منذ أن يطرق باب النشأ والوجود إلى آخر مرحلة يبلغها من حياته.

وبقي شيء يستدعي النّظر إليه، وأن لا يغفل عنه، إذا الحياة تستمد منه سيرها، وهو نظام الأطعمة والأشربة، وهضم الطعام وتحليله إلى عناصر مختلفة بمقياس وموازين، يذهب كلّ عنصر إلى حيث يؤدّي وظيفته عدا العنصر الذي لا يفيد فهو يطرد إلى الخارج، وهذا هو أعظم معمل (أتوماتيكي) في العالم.

كلام الشّيخ المظفّر

قال الشيخ عبد الحسين المظفّر في «الشافي»:

قال (كريس موريسون): لقد ألّفت كتباً في فيزيولوجيا الهضم، ولكن كلّ عام يأتي باكتشافات جديدة مدهشة في هذا الموضوع تجعله جديداً دائماً.. إنَّ المعمل الهضمي عمليّة عجيبة تذهل العقول وهي أنَّه كل شيء يؤكل يهضمه المعمل، ولا تُهضم المعدة نفسها.

قال ﷺ: وقوله تعالى: (**واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الأرض...**)[2] المراد باختلاف الليل والنهار هو اختلافهما في الطول والقصر اختلافاً منظماً باختلاف الفصول الأربعة الربيع والصيف والخريف والشتاء بحسب بقاع الأرض المختلفة، ويتكرّر بتكرّر السنين، يدبّر سبحانه وتعالى بذلك أقوات أهل الأرض، ويربّيهم بذلك تربية صالحة، قال سبحانه وتعالى: (**وقدر فيها أقواتها في أربعة أيّام سواءً**

---

(١) للمزيد يراجع الشافي في شرح أصول الكافي: ج١/ ص٨٥.

(٢) سورة الجاثية: ٤.

للسائلين)[1].

والمراد بالرزق الذي أنزله الله من السماء هو المطر تسمية السبب باسم المسبّب، أو لأنَّ المطر أيضاً رزق فإنَّ مياه الأرض من المطر، وإحياء الأرض بعد موتها هو إحياء ما فيها من النبات بما ينبت به ويأخذ بالنمو والرشد، ولا يخلو التعرّض للإحياء بعد الموت من تلويح إلى البعث والمعاد.

و(**تصريف الرياح**) هو تحويلها وإرسالها من جانب إلى جانب ومن سمت إلى سمت، ولتصريفها فوائد عامّة كثيرة، من أهمّها سوق السّحب إلى أقطار الأرض، وتلقيح النّباتات والأشجار، ودفع العفونات والرّوائح النّتنة.

(**آيات لقوم يعقلون**) أي الذين يميّزون بين الحق والباطل والحسن والقبيح بالعقل الذي أودعه الله سبحانه وتعالى فيهم.

وقد خصّ سبحانه وتعالى كل قبيل من الآيات بقوم خاص، فخُصت آية السماوات والأرض بالمؤمنين، وآية الإنسان وساير الحيوان بقوم يوقنون، وآية اختلاف الليل والنهار والأمطار وتصريف الرياح بقوم يعقلون.

ولعلّ الوجه في ذلك أنّ آية السماوات والأرض تدل بدلالة بسيطة على أنّهما لم توجدا أنفسهما بنفسهما ولا عن صدفة واتّفاق، بل لهما موجد أوجدهما مع مالهما من الآثار والأفعال التي يتحصّل منها النظام المحسوس المشهود، فخالقهما خالق الجميع، وربّ الكون والعالمين، والإنسان يدرك ذلك بفهمه البسيط، والمؤمنون بجميع طبقاتهم يفهمون ذلك ويستفيدون.

وأمّا آية خلق الإنسان وسائر الدّواب التي لها حياة وشعور فإنَّها من حيث أرواحها ونفوسها الحيّة الشاعرة من عالم وراء عالم المادة وهو المسمّى بالملكوت[2] وقد خصّ القرآن كمال إدراكه ومشاهدته بأهل اليقين كما قال تعالى: (**وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين**)[3].

وأمّا آية اختلاف الليل والنهار، والأمطار المحيية للأرض، وتصريف الرّياح، فإنَّها لتنوّع أقسامها وتعدّد جهاتها وارتباطها بالأرض والأرضيّات، وكثرة فوائدها ووفرة منافعها تحتاج إلى تعقّل فكري تفصيلي عميق ولا تُنال بالفهم البسيط، ولذلك خُصّت بقوم يعقلون؛ والآيات آيات للناس جمعاء ولكن لمّا كان المنتفع بها بعضهم فقد خُصّت بهم.

---

(١) سورة فصلت: ١٠.

(٢) راجع تفسير الميزان: ج١٨/ ص١٦٨.

(٣) سورة الانعام: ٧٥.

قوله عليه السلام: وقال تعالى: **(وجنات من أعناب وزرع...)**[1] هذه من سورة الرعد، وأول السورة قال تعالى: **(تلك آيات الكتاب والذي أُنزل إليك من ربّك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)**[2].

(الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبّر الأمر يُفصّل الآيات لعلّكم بلقاء ربّكم توقنون)[3].

(وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يُغشي الليل النهار إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)[4].

(وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون)[5].

إنّ السورة لبيان حقيقة ما نزل على النبي صلى الله عليه وآله من الكتاب، وإنَّه آية الرّسالة، وأنّ قولهم: **(لولا أنزل عليه آية من ربه)**[6] ومقصودهم أنَّ القرآن ليس بآية، كلام مردود، ولا ينبغي للنبي صلى الله عليه وآله أن يصغي إليه، ولا لهم أن يتفوّهوا به.

فإنَّ هذا القرآن النازل عليك حقّ لايخالطه باطل؛ فإنَّ الذي يشتمله من كلمة الدّعوة هو التوحيد الذي تدل عليه آيات الكون من رفع السماء بلا عمد، ومدّ الأرض، وتسخير الشّمس والقمر، وسائر ما يجري عليه عجائب تدبيره وغرائب تقديره سبحانه تبارك وتعالى.

ومن الحقائق الباهرة قوله تعالى في هذه السورة: **(أنزل من السماء ماءً)**[7] وقوله: (ألا بذكر الله تطمئّن القلوب)[8] وقوله: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب)[9] وقوله: **(فلله المكر جميعاً)**[10].

تلك آيات الكتاب، وما يتلوها من الآيات الثلاث هي تعدّ من الآيات الكونيّة من رفع السماوات بلا عمد، ومدّ الأرض، وتسخير الشمس والقمر، وغير ذلك دالّة على توحيد الله سبحانه الذي يفصح عنه القرآن

---

(١) سورة الرعد: ٤.
(٢) سورة الرعد: ١.
(٣) سورة الرعد: ٢.
(٤) سورة الرعد: ٣.
(٥) سورة الرعد: ٤.
(٦) سورة الرعد: ٧.
(٧) سورة الرعد: ١٧.
(٨) سورة الرعد: ٢٨.
(٩) سورة الرعد: ٣٩.
(١٠) سورة الرعد: ٤٢.

الحكيم، وتندب إليه الدّعوة الحقّة، وهي تذكر أنّ التّدبّر في تفصيلها، والتّفكّر فيها يورث اليقين بالمبدأ والمعاد، والعلم بأنّ ما أنزل إلى النبي ﷺ حقّ.

فهذه الآيات الكونيّة كلّها دالّة على أنّ الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له في ربوبيّته، والقرآن الذي أنزل إلى النبيّ ﷺ من ربّه حق لا يأتيه الباطل.

و(**الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها...**)[1] دليل قاطع وبرهان ساطع على أنّ لها خالقًا قادرًا وصانعًا قديرًا وموجدًا خبيرًا، فبقدرته رفع السّماوات فوقكم بغير عمد ترونها وتدركها أبصاركم، وهناك نظام جار، وشمس وقمر مسخّران.

(**والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم * والقمر قدّرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم**)[2] فلابدّ ممن يقوم على هذه الأمور، فيرفع السّماء وينظم النظام السّماوي ويسخّر الشّمس والقمر، ويدبّر الأمر، ويفصّل هذه الآيات لتوقنوا بلقاء الله ربّ العالمين، والقائم بهذه الأمور ليس إلّا الله القدير القهّار وحده لا شريك له.

إنّه سبحانه وتعالى بقدرته القاهرة رفع السماوات بغير عمد تُرى بالأبصار، ورفعها هو رفعاً فوق الأرض، بحيث تكون متسلّطة عليها، وترسل إليها أشعّتها، وتنزل عليها أمطارها، وصواعقها إذا أراد الله [والعياذ بالله] أن يهلك بها أهلها.

فهي مرفوعة على الأرض بغير عمد محسوسة يراها الإنسان ببصره، فعلى الإنسان أن يتفكّر ويتفطن لها رافعاً يحافظ عليها أن تتحوّل من مكانها، وممسك لها أن تزول من مستقرّها.

وذلك أنّ استقرار السّماوات في مستقرّها من غير عمد وإن لم يكن بأعجب من استقرار السماوات في مستقرّها، وكلتاهما بحاجة في ذلك إليه سبحانه وتعالى قائمتان مقامهما بقدرته وإرادته، ذلك من طريق أسباب مختصّة بهما بإذنه جلّ وعزّ، ولو كانت السماوات في رفعها معتمدة على عمد منصوبة لم تكن بذلك مستغنية غير محتاجة إليه سبحانه وتعالى.

بل على أيّ تقدير كانت هي محتاجة إليه تعالى، ومفتقرة إلى قدرته وإرادته، فالأشياء كلّها في جميع حالاتها مفتقرة إليه تعالى احتياجاً وافتقاراً مطلقاً، ولا يزولان عنها أبداً ولا في حال.

---

(١) سورة الرعد: ٢.

(٢) يس: ٣٨.

شهر شعبان

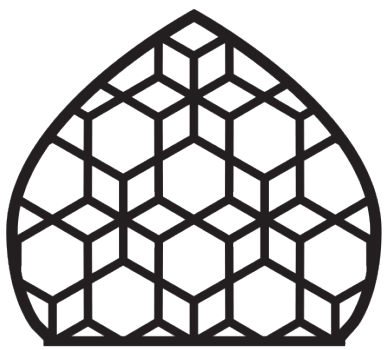

- الإمام زين العابدين عليه السلام وبناء العقيدة
- العباس بن علي عليه السلام معارف ومواقف
- دور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في الغيبة الكبرى

الإمام زين العابدين عليه السلام وبناء العقيدة

فاطمة المسعودي

إنَّ العقيدة التي يحملها الفرد يُمثّل الأصل لكلّ الأعمال التي سوف تصدر من الفرد، لذلك سيتم الحديث في نقطتين أساسيتين لبيان دور ومكانة العقيدة:

الأولى: عن بعض الخطوط العريضة المبدئية المهمّة فيما يرتبط بمسائل العقيدة.

النّقطة الثّانية: حول الأسس التي نبني عليها عقائدنا.

النّقطة الأولى: سيتم الحديث عن ثلاثة من الخطوط:

الخط الأوّل: تعريف العقائد لغة واصطلاحا

العُقْدَة بالضم موضع العَقْد وهو ما عُقِد عليه. والعُقْدة الصِّيْغَةُ. والعِقْدُ بالكسر القِلادة. وكلامٌ مُعَقَّد بالتَّشْديد أي مُغَمَّضٌ. واعْتَقَدَ كذا بقَلْبِه. وليس له مَعْقودٌ أي عَقْدُ رأَى. والمُعاقَدة المُعَاهَدة وتَعاقَد القَوْمُ فيما بينهم. والمَعاقد مواضع العَقْد. والعَقِيد المُعَاقِد[1].

أما اصطلاحا عبارة عن المبادئ والمرتكزات القلبية والتي تمثل المنطلق الأساس لأفكار الإنسان ورؤاه، وكذلك هي المنطلق الأساس لسلوك الانسان، وتطلعاته كلها ستبنى على أساس ما يعتقد، وذلك من قبيل الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والإيمان بالنبوة والأنبياء، وبالإمامة، وبالمعاد.

وهذه تشكل ركائز ومفاهيم لها محل معين وهو القلب، وسميت بالعقيدة من العقدة، وهي التي تكون بين طرفي الحبل أو بين طرفين يشد هذا بذاك ويربطا ربطا وثيقا بحيث يشكل الربط عقدة، فالطرف الأول هي هذه المبادئ، والطرف الثاني هو القلب، فيجب أن نحكم الربط بين هذه المبادئ وبين القلب، والإحكام من خلال الدليل المورث لليقين، والدليل هو الذي يربط بين تلك المبادئ و بين قلوبنا.

الخط الثاني: هو موقع العقائد من بين المعارف العامة التي تحكم الإنسان، فالعقائد لها أهمية كبيرة، ولكن سوف نركز على مكانتين للبعد العقائدي:

(١) مختار الصحاح/ ٢١١

الموقع الأول: أنها تشكل الغاية من الخلق؛ أي الغاية الأصلية من الخلق وهي المعتقدات، والذي يبنى على المعتقدات هي فروع تأتي بناء على العقيدة و المعارف، **عَنْ أَبِي عَبْدِ الله (عليه السلام) قَالَ خَرَجَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ (عليه السلام) عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ الْعِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ فَإِذَا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبَادَتِهِ عَنْ عِبَادَةِ مَنْ سِوَاهُ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا ابْنَ رَسُولِ الله بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي فَمَا مَعْرِفَةُ الله قَالَ مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامَهُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ**«[1]، **وعن جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَارَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَأَلْتُ الصَّادِقَ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ (ع) فَقُلْتُ لَهُ لِمَ خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ فَقَالَ إِنَّ الله تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ خَلْقَهُ عَبَثاً وَ لَمْ يَتْرُكْهُمْ سُدًى بَلْ خَلَقَهُمْ لِإِظْهَارِ قُدْرَتِهِ وَ لِيُكَلِّفَهُمْ طَاعَتَهُ فَيَسْتَوْجِبُوا بِذَلِكَ رِضْوَانَهُ وَ مَا خَلَقَهُمْ لِيَجْلِبَ مِنْهُمْ مَنْفَعَةً وَ لَا لِيَدْفَعَ بِهِمْ مَضَرَّةً بَلْ خَلَقَهُمْ لِيَنْفَعَهُمْ وَ يُوصِلَهُمْ إِلَى نَعِيمِ الْأَبَدِ**[2]

إذن العقائد موقعها أنّها الغاية.

الموقع الثاني: أنّها تُشكّل مورد القبول للعمل، فمن جاء الله بأعمال لا يوجد بضميمتها المعتقد لا ينظر الله -عز وجل- إلى ذلك العمل، فالعمل إذا لم تصحبه العقيدة لا يقبل ولو جاء بأعمال العباد كلهم، فذاك العمل لا يقبل إلا على أساس المعرفة، ولذا ورد في الأحاديث الشريفة عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث قال: إنّي نظرت في كتاب لعليّ صلوات الله عليه، فوجدت في الكتاب: إنّ قيمة كلّ امرئ وقدره معرفته، إنّ الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في دار الدنيا[3].

الخط الثالث: ضرورة تحصيل العقيدة، ومادامت العقيدة تُشكّل هذا الموقع الرّئيس والخطير؛ لذلك من الضرورة أن نحصل على العقيدة، ومادامت هي الأصل في التّكاليف فعلينا أن نسعى ونهتمّ لتحصيلها، وهنا تأتي طروح كثيرة حول التركيز على المواضيع الأخلاقية، والمواضيع التربوية، والمواضيع الاجتماعية، ومواضيع السيرة وهذه المواضيع كلّها مهمّة، ولكن ينبغي أن يكون هناك تركيز على طرح المواضيع العقائدية، ويجب أن نحصِّل على هذه العقائد عبر الاطلاع، وعبر الدرس، والطلب من الخطباء أن يتعرّضوا للعقائد؛ لأنّها تُشكّل موقعًا مهمًّا سواء فيما يرتبط بسائر المعارف أو فيما يرتبط بالعمل، ويقول العلماء أن منشأ الضرورة في تحصيل المعارف إنَّما هو منشأ عقلي بالدرجة الأولى، وممكن أن يعضد بالدّليل النّقلي، ولكن الأساس في الضرورة والمنشأ هو الأساس في تحصيل المعتقدات هو منشأ عقلي، لأنَّ العقل يقضي بوجوب شكر المُنعم، والإنسان يرى نفسه مخلوق وعنده هبة الوجود، فمن الذي خلقني ووهبني هذا الوجود وهذه النّعمة الكبيرة! فالعقل يقول: أنَّ

---

(١) علل الشرائع / ج١ / ص ٩ .

(٢) المصدر نفسه / ج١ / ص ٩ .

(٣) مستدرك الوسائل ١١/ ٢٠٣ .

هذه الهبة تستوجب شكرًا لمن قدّم لك الهدية، وعقلك يقضي بشكره، ومن لم يشكر من أهداه ووهبه شيئًا ذلك مستقبح عقلاً، فالعقل يدفعنا لتحصيل الحُسن في أداء حقّ شكر ذلك المنعم، فتبدأ عقولنا تحفّزنا للبحث عمن وهبنا وأعطانا، فإذا عرفناه عندها سنقوم بشكره، وشكره عبارة عن طاعته، وطاعته تكون بتكاليف، والتّكاليف لا تصل إلا عبر الأنبياء ﷺ، فيجب أن أعتقد بالأنبياء، وبعد الأنبياء هناك حفظة للتكاليف حتى لا تضيع وهم الأئمة فوجب الاعتقاد بالأئمة، وهناك يوم يجازى فيه الإنسان على التكاليف فيجب الاعتقاد بالمعاد، فالعقل يرى هذه السلسلة ووجوب تحصيلها؛ لأنَّها تُشكّل أسس المعارف.

النّقطة الثانية: ما هي الأسس التي نبني عليها عقائدنا؟

وهذا سؤال مهمّ جدًّا في ظل الفوضى الفكرية التي تعصف بكثير من عقول شبابنا، وخصوصًا حول قضايا المعتقدات، فهناك من ينفي بلا قيود وهناك من يثبت بلا قيود، وهناك صراع بين من ينفي ومن يثبت، وهناك خلاف على جزئيات في المعتقدات، وهناك صراع حول جزئيات المعتقد، فهل من الصحيح أن تبقى هذه الفوضى الفكرية فيما يرتبط بجانب المعتقد؟

وأن يتّخذ الإنسان المواقف حسب ما يشتهيه، أم أنّ العقيدة كأمر حسّاس ينبغي أن يكون لها أسس و منطلقات و ركائز أساسية نبني عليها معتقداتنا؟

هذا الأمر الخطير الذي نُسأل عنه عندما ندخل في قبورنا، وأول ما يُسأل عنه الإنسان هذه الأسئلة: مَن ربّك؟ ومَن نبيّك؟

ومن إمامك؟

وما دينك وما هي قبلتك ؟

هذه مسائل أولى تُعدّ الخط الأول في المعارف، وعلى الإنسان أن يسعى لتحصيل الأسس والركائز في ظل هذه الفوضى، وحتى يكون البناء بناءً صحيحًا سوف نركّز على ركائز ثلاث:

الركيزة الأولى: من المهمّ جدًّا أن نُحدّد مصدر التّلقي للعقائد ومنهج فهم العقائد، ومن أين نأخذ عقائدنا وما هو المنهج والأسلوب السليم الذي نُفكّر به لنصل إلى العقيدة؟

وهذه أبرز وأهم ركيزة، وهناك مصدران أساسيان للمعتقدات، وهذان المصدران يتفرّع منهما مصادر، ولن نتعرّض لهذه الفروع وسنأتي بجزء من هذه الفروع أثناء البحث لكن سنركّز على هذين المصدرين الأساسين.

المصدر الأول: العقل.

المصدر الثاني: النقل.

والمقصود بالعقل هو النور الذي وهبه الله لنا في عمق وجودنا وفي فطرتنا، حيث أودع الله في العقل منهجا إلهيا يوصلنا إلى الحقيقة، بشرط أن يبقى ذلك النور على فطرته ولم يلوّث بتربية خاطئة ولا بثقافة خاطئة ولا بتلوين خاطئ، أي يبقى على الفطرة السليمة، ولذلك ليس كلّ فكرة تمرّ هي من العقل الفطري، وليس كلّ رأي يمر هو من العقل الفطري، إنّما قد يكون من صنع الإنسان، فلو أخذ به الإنسان عبد نفسه، والمقصود بالعقل هو تلك اللطيفة الإلهية الصافية والمدربة من خلال البيئة السليمة، والمحافظ عليها من خلال النقاء الذي يعيشه العقل في ظروفه الطبيعية بحيث يبقى على سلامته، ويبقى على نقائه.

أما المقصود بالنقل هو القرآن الكريم وروايات المعصومين ﷺ كما نقرأ في الزيارة الجامعة «مَنْ أَرادَ الله بَدَأَ بِكُمْ وَمَنْ وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنْكُمْ وَمَنْ قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُمْ »[1]، وهذان المصدران هما المصدران الرئيسان في تلقي المعتقدات، ومن خلالهما نصل إلى النتائج المرجوة.

لو جئنا إلى المنهج الذي من خلاله نفكر تفكيرًا صحيحًا للوصول إلى حقائق العقل كمنهج للتفكير، وهل العقل حاكم وله مساحة مطلقة يقرّر ويستطيع أن يقرّر كلّ جزئية في العقائد أم لا ؟

وهل للقدرة مساحة واسعة وأهليّة مطلقة للحكم والبث في جميع الأمور أم لا؟

هذه النقطة جوهرية ومفترق طرق، ونحن نلاحظ اليوم كل عقيدة من العقائد تنفى باعتبارها تتعارض مع العقل، والعقل يرفضها، ومادام العقل يرفضها فهي ليست صحيحة، فإذن جُعل العقل هو الحاكم الأساس في الإثبات والنفي دون قيد ودون تفصيل، وهنا سؤال حول: هل العقل كمنهجية وكمصدر يُعدّ مطلقًا أم مقيّدًا ومحدودًا ؟

هناك ثلاثة من المدارس لها مشارب حول هذا الأمر:

المدرسة الأولى: هي المدرسة المعبّر عنها بمدرسة رفض العقل، وأنّ العقل لا دور له بتاتًا في إثبات أيّ حقيقة من الحقائق، ونحن نتعبد بما ورد في النقل أما العقل فلا دور له حتى في أبسط الأمور كإدخال الطائع للجنة وإدخال العاصي إلى النار، مع أن هذه من المستقلات العقلية، اي لو لم يرد نصّ بأنَّ المطيع يدخل الجنة والعاصي يدخل النار، ونحن نستطيع أن نجزم عقلا بدخول الطائع الجنة والعاصي النار لأن هذه من المستقلات العقلية، ولا تحتاج إلى نص؛ لأن العقل يدرك حسن ذلك و يدرك قبح خلافه، وهناك من يقول حتى في أوضح الواضحات

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة.

أنَّ العقل ليس له دور، ولا شكّ أنَّ هذا المنهج تفريق في العقل، وهو أمر لا يقرّه أحد نهائيًّا وأمر غير مقبول والله تعالى كرّمنا بالعقل فكيف يُلغى العقل تمامًا؟ هذا أمر مرفوض.

المدرسة الثانية: وهي المدرسة التي أعطت العقل كامل الحرية والإطلاق التام في إثبات الحقائق دون قيد، بل وادّعت بأنّنا بالعقل نستغني عن الرسالة، أي حتّى إذا الله سبحانه وتعالى لم يأتِ برسل وأنبياء فعقولنا تكفي، لأنَّ العقل لوحده حاكم ويستطيع أن يُقرّر ويبث في جميع الأمور مطلقًا.

إنَّ هذه المدرسة مُعبّر عنها بمدرسة المعتزلة، وهذه المدرسة انقرضت، ولكن لها مدرسة شبيهة في الغرب ادعت لها اِسما وهي المدرسة العقلانية، وهذه التسمية ليست بدقيقة، هذه المدرسة تقول أن العقل قادر وله قدرة مطلقة على أن يبث في جميع الأمور دون حدّ وقيد، وله مطلق العنان في أن يبث في جميع القضايا ولا قيد له، وهذه المدرسة نشرت كتبها و وصلت إلى عقول شبابنا، وأخذت تسري في عقول بعض الشباب، وعلى هذا الأساس هناك تأثير كبير لهذه المدرسة وفي أوساط بعض المثقّفين حيث انبهروا بهذا الطّرح ولكنه طرح غير موزون.

إنَّ هذه المدرسة يكفي في الرد عليها أنه لو كان العقل كاف في البث والحكم في إثبات جميع الأمور لما كان هناك من داع لإرسال الرسل ولا لبعث الأنبياء ولا لإنزال الشرائع فلو كان كذلك لكان فعل الله عبثا، ولماذا أتى الله برسل وبأنبياء وأنزل الكتب؟

أليس العقل كاف، أنَّ العقل يقرّر كيفما يشاء ويبث في جميع الأمور، لكن لا فعل الله ليس عبثيًّا ومن هنا يقول أمير المؤمنين عليه السلام «**فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِياءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بَالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ: مِنْ سَقْف فَوْقَهُمْ مَرْفُوع، وَمِهَاد تَحْتَهُمْ مَوْضُوع، وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ، وَآجَال تُفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابتُهْرِمُهُمْ، وَأَحْدَاث تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُخْلِ اللهُ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَل، أَوْ كِتَاب مُنْزَل، أَوْ حُجَّة لاَزِمَة، أَوْ مَحَجَّةقَائِمَة، رُسُلٌ لا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ، وَلاَ كَثْرَةُ الْمُكَذِّبِينَ لَهُمْ: مِنْ سَابِق سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ، أَوْ غَابِر عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ. عَلَى ذَلِكَ نَسَلَتِالقُرُونُ، وَمَضَتِ الدُّهُورُ، وَسَلَفَتِ الاْبَاءُ، وَخَلَفَتِ الاْبْنَاءُ**»[1]، إنَّ العقل بحاجة أن يُذكر، لأنَّه غير معصوم، وكذلك العقل ممكن الدفائن الفطرية التي فيه تغيب من خلال الثقافات التي فيها انحرافات من خلال التربية غير السليمة، فيأتي الأنبياء يثيرون دفائن الفطرة في العقل ويحيون هذا النور في العقل، والعقل وحده لا يكفي.

المدرسة الثالثة: هي مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ومدرسة أهل البيت مدرسة وسط لا تلغي العقل عن كلّ شيء، ولا

(١) نهج البلاغة/ خطب الإمام علي عليه السلام/ ج ١ / ص٢٣ .

تجعل له الحاكمية المطلقة في كلّ شيء، بل تجعل للعقل دورًا وتجعل له حدودًا، يقول أهل البيت ﷺ إنَّ العقل كقدرة إلهية يجب أن تستثمر ولها مجال، لكن توجد قضايا العقل ولا يستطيع أن يؤسّس بها شيء، والعقل يجب أن يكون تابعًا للوحي، ويجب أن يكون تلميذًا للأنبياء وللرسل وللأئمة، ولا يستطيع أن يحقّق أسسًا إلا عن طريقهم، ولا يستقل في إثبات الحقيقة وهذه هي مدرسة أهل البيت ﷺ.

الركيزة الثانية: إنّ الكلام في هذه مهمّ جدًّا؛ لأنّها ستختصر علينا العديد من ما نراه من فوضى فكريّة في الجانب العقدي، والسّؤال هو هل من ضمن الأسس التي نبني عليها عقائدنا التقليد في العقيدة أم لا ؟

لقد اشتهرت كلمة في رسائل العلماء وهي: لا تقليد في العقائد، وهذه العبارة فُهمت بأشكال عديدة لكن الذي يهم الشكل الذي يروّج لهذه الكلمة، والبعض فهم من هذه الكلمة أنّ أي قضيّة في العقائد لا نحتاج فيها لعالم مختص، ونحتاج الفقهاء في الفقهيات، أما العقائد لا نحتاج فيها لهم، وقال العلماء أتركوهم يقولون، وقال الفقهاء اتركوهم يقولون لا علينا منهم، إن العقائد لا تقليد فيها، آخذ فقهي منهم نعم، مثلا الفقيه عندما نسأله في الركعة الثالثة و الرابعة نقرأ الفاتحة أم السبحانيات الأربعة يقول: هذا ليس عملي هذه مسألة فقهية آخذها من أين؟ من الفقيه العالم المرجع، لكن عندما تأتي لي بقضية في العقيدة مثلا كحضور الأئمة عند الميت يأتيك شخص يقول لك الأئمة يحضرون عند الميت، أنا لا شغل لي في الفقيه او العلماء، انا لا دخل لي في هذا، أنا لا أقلدهم، أنا عندي عقل والعقيدة لا تقليد فيها.

فهناك طرح يقول لك جنِّب العلماء عن كل قضية ترتبط بالعقائد، وهذا الطرح موجود، وحين تستشهد له بكلام علماء يقول له لا دخل لي بهم وما عليّ منهم وتأتي له بكلام مختصين يقول لك لا دخل لي ولا عليّ منهم والله أعطاني العقل و لا تقليد في العقيدة؛ لأنه فهم من كلمة لا تقليد في العقيدة أو لا يجوز التقليد في العقيدة أن هذه العبارة مطلقة في جميع حقول العقيدة.

وهنا وقع اللبس والخطأ مع أنَّ العلماء شرحوا هذه العبارة في كتبهم، أي أنَّهم عندما يطرحون المسألة لبسطاء الناس في الرسالة العملية يطرحونها بشكلٍ مختصر، أمّا التّوسّع لا يدركه عامّة الناس وهذا موجود، ونحن نرى كثيرًا من الرّوايات بحجّة لا تقليد في العقيدة ترفض؛ لأنَّ العقل لم يستوعبها ويرفضها نحذفها وروايات ومعاجز نحذفها وزيارات للأئمة نحذفها وأدعية نحذفها، وبعدها ما الذي بقي من ديننا إذا أعدناه للذوقيات وأعدناه لاستحسان العقل، وهل فعلا كلمة لا تقليد في العقيدة كلمة مطلقة في جميع الأمور أم أنَّ لها فهمًا، وهو يختلف عن الفهم الذي فهمه أولئك؟

نحن الآن نذكر الفهم الصحيح الذي أراده العلماء، ونشرح لماذا قال العلماء لا تقليد في العقيدة لأنَّ هذا يُعدّ

أساسًا أبني عليه عقيدتي؟

يقسم العلماء العقيدة إلى قسمين هناك ما يعبر عنها بأصول العقيدة، والقسم الثاني فروع العقيدة، ان أصول العقيدة هي التي تمثل اللبنات الأساسية في تكوين الدين، والانتماء إلى الله سبحانه وتعالى، وهي الأصول الخمسة التوحيد و العدل و النبوة و الإمامة و المعاد، وهذه الأصول يجب أن يعتقد بها الإنسان ويصل بها إلى درجة اليقين، واليقين لا يحصل بالتقليد ويجب على الإنسان أن يبحث بنفسه ويصل لهذه الحقائق ويتيقن بها، لأنَّ قبول قول العالم ظن ولا يعبد الله و يعرف بالظن بل باليقين.

قول العلماء لا تقليد في العقيدة هنا في أصول الدين وفي اللبنات الأساسية التي تكون الدين والتي يلزم منها اليقين، والتقليد لا يوصلك الى اليقين وهو ظن تعبّدي و الله عز وجل يعذرك بقبول قول الفقيه، لكن في أصول العقائد يجب عليك تحصيل اليقين، فكيف تقلّد؟

فلابُدّ أنت أن تحصل اليقين، هناك شخص يقول أنا لا أستطيع أن أبحث و أحصل اليقين فلو اطلعت على أدلة العلماء وحصل عندي اليقين من دليلهم، أي لا أقلدهم بل أطّلع على دليلهم و إن حصل لي اليقين بدليلهم؟ هذا كافٍ؟

وهذا الرَّأي عند العلماء موجود كالسيد الخوئي مثلا في التنقيح في شرح العروة الوثقى الجزء الأول صفحة ٣٤٨ أنَّ هذه الأصول لو أخذ فيها قول العالم وحصل منها اليقين صحّ الاعتقاد مادام اليقين حصل صح الاعتقاد.

إذن هذا القسم من العقائد لا تقليد فيه أساسًا ولا تقليد فيه، الأصل فيه إعمال العقل والوصول بالعقل مثل ما تبيّن في النّقطة الأولى إنَّ الركيزة الأولى في المعارف هو منشأ عقلي لابُدّ أن نبحث عنه.

يوجد قسم ثانٍ من العقائد وهو فروع العقائد أي ما يتفرّع على هذه الأصول وهي التي يبنى الدين بسواها وبدونها ولكن إذا كانت من الضروريات أي توجد أدلة كثيرة وواضحة تثبت هذا الفرع فيجب الاعتقاد به وإلا كذبنا الرسل وكذبنا الأئمة، مثال ذلك المعراج، المعراج فرع لكن هل يجب الاعتقاد به؛ لأنَّ الله أخبرنا به والرّسول والأئمّة، فلو رفضناه كذبنا القرآن، كيف نعتقد بالقرآن ونكذّب القرآن !! وصحيح هذا فرع لكنه من الضرورات، وثبت بالدليل الواضح .

إنَّ أغلب الخلافات في الفروع وهي تقسّم على فرعين:

الفرع الأول: هناك فروع في الدين منشؤها العقل، وهناك فروع في الدّين منشؤها النّقل، ومثل الذي منشؤه العقل هو ثبوت العصمة لأهل البيت ﷺ، وثبوت العصمة لأهل البيت هو المنشأ الرئيس له العقل، وتأتي

الروايات تدعم هذا المنشأ العقلي؛ لأنَّ العقل يقول إذا هذا إمام يجب عليّ طاعته في كلّ شيء ويرد عليه الخطأ فكيف أتبعه في كلّ شيء وهو يُخطِئ؟

إذن أنا أُخطِئ عندما أتبعه، فالعقل يرى وجوب أن يكون ذلك المتبع معصومًا.

إنَّ هذا النوع من أنواع العقائد منشؤها عقلي أي هذه مسرح للعقل، تعالَ وابحث في عقلك هل لديك معلومات كافية عن طرق الاستدلال العقلي، وكيف تنظم المقدمات وكيف تصل للنتيجة؟

هل تعرف كيف تتعامل مع المغالطات، وهل تعرف كيف تتعامل مع الشبهات التي تأتيك أثناء الاستدلال أم لا؟

ان هذا القسم لا تقليد فيه ولكن بشرط أن تصل، وإذا لا تقدر أن تصل، وليس لديك فهم لطرق الاستدلال فاذهب الى أهل الاختصاص، وانظر كيف استدلّوا وإذا استأنست باستدلالهم وتيقّنت واطمأننت، أنَّ هذه منهجية سليمة خذ بقولهم.

تقول: لا أنا لا أريد، أنت اعمل لك منهجًا سليمًا وبيّن لنا كيف أتيت بالمقدّمة الأولى والثانية والثالثة وأعطنا النتيجة، وهذا مسرح من مسارح العقل مفتوح لك المجال، وهذا الفرع يأتي كلام العلماء لا تقليد في العقيدة.

الفرع الثاني: هو أنّ جزءًا كبيرًا من العقائد منشؤها نقلي وليس عقلي أي ثبوتها ليس بالعقل بل بالنقل، مثال المعراج إذا لم يخبرنا القرآن بمعراج النبي ولا الروايات، فكيف يعرف العقل أنَّ النبي عرج به إذا لم يوجد خبر؟ إنَّ هذه العقيدة تثبت بالخبر والعقل، ولو لم يوجد خبر ما يثبت أنّ النبي عرج به، اي إذا سألنا عن ما وراء الجدار فأن العقل لا يستطيع أن يعرف ما وراء الجدار إلا بالإخبار.

ان هناك قضايا كثيرة العقل لا يثبتها إنما يأخذها من الخبر، وعندما أسأل عقلي عن الكواكب الأخرى هل فيها سكن أم لا ؟؟

فالعقل لا يستطيع أن يثبت هذا، ولا يستطيع ان ينفي يقول ممكن لكن كيف يثبت الا إذا هناك ناس يذهبون ويرون ويأتون ليخبرونا.

هناك قضايا كثيرة لا تثبت إلا بالإخبار حتى للعقل، العقل لا يستطيع أن يثبت ولا يستطيع أن ينفي.

لدينا فروع في العقيدة والعقل ليس مجالها أصلا ولا تثبت من خلال العقل مثل المعراج، رجعة أهل البيت ﷺ الى عالم الأنوار، ولدينا من العقائد كثيرة جدًا كلّها تثبت بالنقل لا بالعقل وهذه التي تثبت بالنّقل هل العقل يثبتها ويؤسّس لها أم العقل حتى يثبتها يجب أن يرجع فيها إلى النقل؛ لأنَّ منشأها ليس العقل بل منشؤها النقل؛ لأنّ لو العقل هو الذي أنشأها لما رجعنا له لكن ليس هو، بل النقل هو الذي أسسها وهو الذي أنشأها فعند

ذلك نسأل العقل إذا يريد يثبت هل هو يريد ان ينفي ماذا يفعل، لذلك يجب أن يرجع للأخبار نفسها، وللأدلّة نفسها ليرى الدليل حجّة أو ليس حجة، صحيحًا أو ليس بصحيح.

والشيء الثاني أنَّ هذا الدليل الصحيح هل تستفاد منه في هذه العقيدة، هذا كله عمل مَن ؟ عملي أنا ؟؟ الأخبار وفهم الأخبار و معرفة الحجّة منها من غير الحجّة سعة الدليل إذا للدليل معارض أو ليس له معارض هذا عمل مَن؟

عمل مراجع وفقهاء أو عملنا نحن؟

العقائد التي هي نقلية نحتاج فيها للرجوع إلى الفقهاء أو لا نحتاج ذلك؟

إذن تأتي كلمة لا تقليد في العقيدة هنا أو لا تأتي؟ لا تأتي في مجال فروع العقائد النقلية نحتاج فيها إلى قول الفقهاء.

إذا أنت تريد أن تعرف أهل البيت يحضرون عند الميّت أو لا يحضرون؟

أوّلاً اسأل نفسك هل هذه العقيدة عقلية أو نقلية؟

إذا عقلية أنا أستطيع ولديّ منهج عقلي واحد ام اثنين ام ثلاثة فما النتيجة، أما إذا كانت نقلية قل لعقلك أنا أحترم المختصين، وهذا ليس مجالي مادام نقل أرجع لمن يفهمون النقل وهم حجة في النقل ويفهمونني وهذا الدليل حجة أو ليس بحجة يثبت أو لا يثبت آخذ بقولهم؛ لأنهم أهل الاختصاص.

عندما تأتيني مثلا زيارة من زيارات الأئمة هذا نقل، ولما تثبت عقيدة من العقائد لا آتي و اقول أترك الفقهاء يقولون ما يريدون و ما دخلي بهم لا تقليد في العقيدة، أقول لك هذه العقيدة التي تتكلم عنها مصدرها نقل وليس العقل فلابد أن تلجأ إلى النقل وإلى المختصين في النقل؛ لكي تعرف إذا يثبت أو لا يثبت هذا ليس بمجال عقلك أبدًا ولذلك الفوضى التي تحصل الآن لأن هناك خلط في فهم خاطئ لقضية لا تقليد في العقيدة ولا نحتاج للمراجع .

هذه المسألة لابُدّ أن نفهمها فهمًا دقيقًا وصحيحًا، شخص اليوم تستدله وتقول له هذه آراء الفقهاء في المسألة الفلانية في علم أهل البيت يقول لك لا عليّ منهم أنا إن شاء الله آخذ عقيدتي من فقهاء أو أقلدهم، أنظروا للخلط .

نقول لك في مجال العقائد النقلية ضروريّ ترجع للفقهاء فهم الذين يستطيعون أن يخبروك إذا تثبت العقيدة أو لا تثبت العقيدة؛ لأنَّ هذا عملهم يبحثون في الدليل ويعرفون ما هو إسنادها وماهي مصادرها، وهل يصلح الاحتجاج به أو لا، هل الفهم الذي فهمناه صحيح أو لا ؟

هذا ليس عملنا نحن فنذهب إليهم و نأخذ بقولهم قول المختصّين هذه أسس مهمّة ونحن نحترم قول مراجعنا و فقهائنا في هذا الحقل من فروع الدين وهو حقل النقل من فروع الدّين .

الركيزة الثالثة: هو ضرورة صيانة المعتقد كما يجب علينا تحصيل المعتقد وتجب علينا صيانة المعتقد ودفع الشبهات عن المعتقدات وهو واجب خصوصًا في هذا الزمن الذي كثرت فيه الشبهات على المؤمن أن يحصل ما يدفع عنه الشبهات والشبهة لها تأثير قوي، يقول الإمام زين العابدين ﷺ:" أَللَّهُمَّ أَلْهِمْنا طاعَتَكَ، وَجَنِّبْنا مَعْصِيَتَكَ، وَيَسِّرْ لَنا بُلُوغَ ما نَتَمَنّى مِنِ ابْتِغآءِ رِضْوانِكَ، وَأَحْلِلْنا بُحْبُوحَةَ جِنانِكَ، وَاقْشَعْ عَنْ بَصائِرِنا سَحابَ الارْتِيابِ، وَاكْشِفْ عَنْ قُلُوبِنا أَغْشِيَةَ الْمِرْيَةِ وَالْحِجابِ، وَأَزْهِقِ الْباطِلَ عَنْ ضَمآئِرِنا، وَأَثْبِتِ الْحَقَّ فِي سَرائِرِنا، فَإِنَّ الشُّكُوكَ وَالظُّنُونَ لَواقِحُ الْفِتَنِ، وَمُكَدِّرَةٌ لِصَفْوِ الْمُنآئِحِ وَالْمِنَنِ"[1].

لقد كان للإمام السجاد ﷺ وقفات عقائدية عظيمة استطاعت أن تحفظ العقيدة الحقّة من الانحراف، ولأذكر لكم بعض تلك المحطات من أدعيته المباركة:

توحيد الله تعالى:

"... الْحَمْدُ لله الْأَوّلِ بِلَا أَوّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَ الْآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ

الّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِهِ أَبْصَارُ النّاظِرِينَ، وَ عَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ.

ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعاً، وَ اخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيّتِهِ اخْتِرَاعاً.

ثُمّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وَ بَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبّتِهِ، لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمّا قَدّمَهُمْ إِلَيْهِ، وَ لَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَدّماً إِلَى مَا أَخّرَهُمْ عَنْهُ. وَ جَعَلَ لِكُلّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ، لَا يَنْقُصُ مَنْ زَادَهُ نَاقِصٌ، وَ لَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ. ثُمّ ضَرَبَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ أَجَلًا مَوْقُوتاً، وَ نَصَبَ لَهُ أَمَداً مَحْدُوداً، يَتَخَطّى إِلَيْهِ بِأَيّامِ عُمُرِهِ، وَ يَرْهَقُهُ بِأَعْوَامِ دَهْرِهِ...»[2]

وهنا تجد تصحيحًا للعقائد وتنقية للفكر عمّا لا يحل من عقائد الشرك والتجسيم والتشبيه والحركة وكلها منقصة بالله سبحانه وتعالى .

النبوة

أَلْحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ بِقُوَّتِهِ، وَمَيَّزَ بَيْنَهُمَا بِقُدْرَتِهِ، وَجَعَلَ لِكُلِّ وَاحِد مِنْهُمَا حَدّاً مَحْدُوداً، وَأَمَداً مَمْدُوداً، يُولِجُ كُلَّ وَاحِد مِنْهُمَا فِي صَاحِبِهِ، وَيُولِجُ صَاحِبَهُ فِيهِ بِتَقْدِير مِنْهُ لِلْعِبَادِ فِيمَا يَغْذُوهُمْ بِهِ وَيُنْشِئُهُمْ عَلَيْهِ،

---

(١) بحار الأنوار/ ج ٩١ / ص١٤٧ .

(٢) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ﷺ/ ص ٢٨٦ .

فَخَلَقَ لَهُمُ اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ مِنْ حَرَكَاتِ التَّعَبِ، وَنَهَضَاتِ النَّصَبِ، وَجَعَلَهُ لِبَاساً لِيَلْبَسُوا مِنْ رَاَتِهِ وَمَنَامِهِ، فَيَكُونَ ذَلِكَ جَمَاماً وَقُوَّةً، وَلِيَنَالُوا بِهِ لَذَّةً وَشَهْوَةً.

وَخَلَقَ لَهُمُ النَّهارَ مُبْصِراً لِيَبْتَغُوا فِيهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَلِيَتَسَبَّبُوا إِلَى رِزْقِهِ، وَيَسْرَحُوا فِي أَرْضِهِ، طَلَباً لِمَا فِيهِ نَيْلُ الْعَاجِلِ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَدَرَكُ الاجِلِ فِيْ اُخْراهُمْ.

بِكُلِّ ذلِكَ يُصْلِحُ شَأنَهُمْ، وَيَبْلُوأَخْبَارَهُمْ وَيَنْظُرُ كَيْفَ هُمْ فِي أَوْقَاتِ طَاعَتِهِ، وَمَنَازِلِ فُرُوضِهِ وَمَوَاقِعِ أَحْكَامِهِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى.

اللهُمَّ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَافَلَقْتَ لَنَامِنَ الاِصْبَاحِ، وَمَتَّعْتَنَابِهِ مِنْ ضَوْءِ النَّهَارِ، وَبَصَّرْتَنَا مِنْ مَطَالِبِ الاقْوَاتِ، وَوَقَيْتَنَا فِيهِ مِنْ طَوارِقِ الافاتِ.

أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَتِ الاَشْياءُ كُلُّهَا بِجُمْلَتِهَا لَكَ: سَمَاؤُها وَأَرْضُهَا وَمَا بَثَثْتَ فِي كُلٍّ وَاحِد مِنْهُمَا سَاكِنُهُ وَمُتَحَرِّكُهُ وَمُقِيمُهُ وَشَاخِصُهُ وَمَا عَلا فِي الْهَواءِ وَمَا كَنَّ تَحْتَ الثَّرى.

أَصْبَحْنَا فِي قَبْضَتِكَ يَجْرِينَا مُلْكُكَ وَسُلْطَانُكَ وَتَضُمُّنَا مَشِيَّتُكَ، وَنَتَصَرَّفُ عَنْ أَمْرِكَ، وَنَتَقَلَّبُ فِيْ تَدْبِيرِكَ.

لَيْسَ لَنَا مِنَ الامْرِ إلاّ مَا قَضَيْتَ وَلا مِنَ الْخَيْرِ إلا مَا أَعْطَيْتَ.

وَهَذَا يَوْمٌ حَادِثٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ عَلَيْنَا شَاهِدٌ عَتِيدٌ، إنْ أَحْسَنَّا وَدَّعَنَا بِحَمْد، وَإِنْ أَسَأنا فارَقَنا بِذَمّ.

اللهُمَ صَلِّ عَلَى مُحَمَد وَآلِهِ وَارْزُقْنَا حُسْنَ مُصَاحَبَتِهِ وَاعْصِمْنَا مِنْ سُوْءِ مُفَارَقَتِهِ بِارْتِكَابِ جَرِيرَة، أَوِ اقْتِرَافِ صَغِيرَة أَوْ كَبِيرَة.

وَأَجْزِلْ لَنَا فِيهِ مِنَ الْحَسَناتِ وَأَخْلِنَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئاتِ. وَامْلا لَنَا مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ حَمْداً وَشُكْراً وَأَجْراً وَذُخْراً وَفَضْلاً وَإِحْسَاناً.

اللهُمَّ يسِّرْ عَلَى الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ مَؤُونَتَنَا، وَامْلا لَنَا مِنْ حَسَنَاتِنَا صَحَائِفَنَا وَلاَ تُخْزِنَا عِنْدَهُمْ بِسُوءِ أَعْمَالِنَا.

اللهُمَّ اجْعَلْ لَنَا فِي كُلِّ سَاعَة مِنْ سَاعَاتِهِ حَظّاً مِنْ عِبَادِكَ، وَنَصِيباً مِنْ شُكْرِكَ وَشَاهِدَ صِدْق مِنْ مَلائِكَتِكَ أَللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَاحْفَظْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شَمَائِلِنَا، وَمِنْ جَمِيْعِ نَوَاحِيْنَا حِفْظاً عَاصِماً مِنْ مَعْصِيَتِكَ هَادِياً إِلَى طَاعَتِكَ مُسْتَعْمِلاً لِمَحَبَّتِكَ.

اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَوَفِّقْنَا فِي يَوْمِنَا هذا ولَيْلَتِنَا هذِهِ وَفِي جَمِيعِ أَيّامِنَا لاسْتِعْمَالِ الْخَيْرِ وَهِجْرَانِ الشَّرِّ وَشُكْرِ النِّعَمِ وَاتِّبَاعِ السُّنَنِ وَمُجَانَبَةِ البِدَعِ وَالامْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَحِياطَةِ الاسْلاَمِ وَانْتِقَاصِ الْبَاطِلِ وَإِذْلالِهِ وَنُصْرَةِ الْحَقِّ وَإِعْزَازِهِ، وَإِرْشَادِ الضَّالِّ، وَمُعَاوَنَةِ الضَّعِيفِ وَإِدْرَاكِ اللهِيْفِ.

اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ وَاجْعَلْهُ أَيْمَنَ يَوْم عَهِدْنَاهُ، وَأَفْضَلَ صَاحِب صَحِبْنَاهُ، وَخَيْرَ وَقْت ظَلِلْنَا فِيْهِ. وَاجْعَلْنَا

مِنْ أَرْضَى مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مِنْ جُمْلَةِ خَلْقِكَ وأَشْكَرَهُمْ لِمَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمِكَ وَأَقْوَمَهُمْ بِمَا شَرَعْتَ مِنْ شَرَائِعِكَ، وَأَوْقَفَهُمْ عَمَّا حَذَّرْتَ مِنْ نَهْيِكَ. اللَهُمَّ إِنِّي اشْهِدُكَ وَكَفَى بِكَ شَهِيداً وَأُشْهِدُ سَمَاءكَ وَأَرْضَكَ وَمَنْ أَسْكَنْتَهُما مِنْ مَلائِكَتِكَ وَسَائِرِ خَلْقِكَ فِي يَوْمِي هَذَا، وَسَاعَتِي هَذِهِ، وَلَيْلَتِي هَذِهِ، وَمُسْتَقَرِّي هَذَا، أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ الِذَّي لاَ إِلهَ إِلاّ أَنْتَ قَائِمٌ بِالْقِسْطِ، عَدْلٌ فِي الْحُكْم، رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ، مَالِكُ الْمُلْكِ رَحِيمٌ بِالْخَلْقِ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ، حَمَّلْتَهُ رِسَالَتَكَ فَأَدَّاهَا وَأَمَرْتَهُ بالنُّصْحِ لِأُمَّتِهِ فَنَصَحَ لَهَا.

اللهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ أَكْثَرَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَد مِنْ خَلْقِكَ وَآتِهِ عَنَّا أَفْضَلَ مَا آتَيْتَ أَحَداً مِنْ عِبَادِكَ وَاجْزِهِ عَنَّا أَفْضَلَ وَأَكْرَمَ مَا جَزَيْتَ أَحَداً مِنْ أَنْبِيائِكَ عَنْ امَّتِهِ.

إِنَّكَ أَنْتَ الْمَنَّانُ بِالْجَسِيمِ الْغَافِرِ لِلْعَظِيمِ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ مِنْ كُلِّ رَحِيم، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الاَخْيَارِ الانْجَبِينَ[1].

الإمامة:

«... اللهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ، وَمَنَاراً فِي بِلادِكَ، بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلى رِضْوَانِكَ، وَافْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَالانْتِهَاءِ عِندَ نَهيِهِ، وَأَلاّ يَتَقَدَّمهُ مُتَقَدِّمٌ، وَلا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ، فَهُوَ عِصْمَةُ الْلاِئذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنينَ، وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَبَهَاءُ الْعَالَمِينَ.

اَللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ لوَلِيِّكَ شُكرَ مَا أَنعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَوزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ، وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً، وَأَعِنْهُ بِرُكْنِكَ الأعَزِّ، وَاشْدُدْ أَزْرَهُ، وَقَوِّ عَضُدَهُ، وَرَاعِهِ بِعَيْنِكَ، وَاحْمِهِ بِحِفْظِكَ، وَانْصُرْهُ بِمَلائِكَتِكَ، وَامْدُدْهُ بِجُندِكَ الأغْلَبِ، وَأَقِمْ بِهِ كِتابَكَ وَحُدودَكَ، وَشَرائِعكَ وَسُنَنَ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَحْيِ بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعالِمِ دِينِكَ، وَاجْلُ بِهِ صَدأَ الْجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ، وَأَبِنْ بِهِ الضَّرَّاءَ مِنْ سَبِيلِكَ، وَأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ، وَامْحَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عِوَجاً، وَأَلِنْ جَانِبَهُ لأوْلِيَائِكَ، وَابْسُط يَدَهُ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ، وَتَعَطُّفَهُ وَتَحَنُّنَهُ، وَاجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَفِي رِضَاهُ سَاعِينَ، وَإِلى نُصْرَتِهِ وَالْمُدافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفِينَ، وَإِلَيْكَ وَإِلى رَسُولِكَ صَلوَاتُكَ اللهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ.

اللهُمَّ وَصَلِّ عَلَى أَوْلِيَائِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِم، الْمُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُم، الْمُقْتَفِينَ آثَارَهُم، الْمُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَتِهِم، الْمُتَمَسِّكِينَ بِوِلايَتِهِم، الْمُؤْتَمِّينَ بِإمامَتِهِم، الْمُسَلِّمِينَ لأمرِهِم، الْمُجتَهِدِينَ في طاعتِهِم، الْمُنتَظِرِين أَيَّامَهُم، الْمَادِّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُم، الصَّلَوَاتِ الْمُبَارَكاتِ الزَّاكِيَاتِ النَّامِيَاتِ الغَادِياتِ الرَّائِحَاتِ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَعَلى أَرْوَاحِهِمْ، وَاجْمَعْ عَلَى التَّقْوَى أَمْرَهُمْ، وَأَصْلِحْ لَهُمْ شُؤُونَهُمْ، وَتُبْ عَلَيْهِم إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَخَيْرُ الغَافِرِينَ،

(١) معارف الصحيفة السجادية المؤلف: علاء الحسّون / ج ١ / ص ٥٠.

وَاجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلامِ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»[1].

المعاد:

وكان من دعائه عليه السلام في الاشتياق إلى طلب المغفرة من الله جل جلاله:

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَصَيِّرْنا إلى مَحْبُوبِكَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَأَزِلْنا عَنْ مَكْرُوهِكَ مِنَ الإِصْرارِ، اللّهُمَّ وَمَتى وَقَفْنا بَيْنَ نَقْصَيْنِ في دينٍ أَوْ دُنْيا فَأَوْقِعِ النَّقْصَ بِأَسْرَعِهِما فَناءً؛ وَاجْعَلِ التَّوْبَةَ في أَطْوَلِهِما بَقاءً؛ وَإِذا هَمَمْنا بِهَمَّيْنِ يُرْضيكَ أَحَدُهُما عَنّا؛ وَيُسْخِطُكَ الآخَرُ عَلَيْنا؛ فَمِلْ بِنا إلى ما يُرْضيكَ عَنّا؛ وَأَوْهِنْ قُوَّتَنا عَمّا يُسْخِطُكَ عَلَيْنا؛ وَلا تُخَلِّ في ذلِكَ بَيْنَ نُفُوسِنا وَاخْتِيارِها، فإنها مُخْتارَةٌ لِلْباطِلِ إلاّ ما وَفَّقْتَ؛ أمّارَةٌ بِالسُّوءِ إلاّ ما رَحِمْتَ؛ اللّهُمَّ وَإِنَّكَ مِنَ الضَّعْفِ خَلَقْتَنا، وَعَلَى الوَهْنِ بَنَيْتَنا؛ وَمِنْ مآءٍ مَهينٍ ابْتَدَأْتَنا، فَلا حَوْلَ لَنا إلاّ بِقُوَّتِكَ، وَلا قُوَّةَ لَنا إلاّ بِعَوْنِكَ؛ فَأَيِّدْنا بِتَوْفيقِكَ وَسَدِّدْنا بِتَسْديدِكَ، وَاعْمِ أَبْصارَ قُلُوبِنا عَمّا خالَفَ مَحَبَّتَكَ؛ وَلا تَجْعَلْ لِشَيْءٍ مِنْ جَوارِحِنا نُفُوذاً في مَعْصِيَتِكَ، اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَاجْعَلْ هَمَساتِ قُلُوبِنا، وَحَرَكاتِ أَعْضآئِنا؛ وَلَمَحاتِ أَعْيُنِنا؛ وَلَهَجاتِ أَلْسِنَتِنا في مُوجِباتِ ثَوابِكَ حَتّى لا تَفُوتَنا حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُّ بِها جَزآءَكَ؛ وَلا تَبْقى لَنا سَيِّئَةٌ نَسْتَوْجِبُ بِها عِقابَكَ[2].

إن الصحيفة السجادية في جانبها العقائدي، كانت الملجأ الذي لجأ اليه المسلمون للتعرف على حقيقة العقائد الاسلامية عبر التاريخ، وبالخصوص في تلك المرحلة التي عرف فيها الفكر الفلسفي الاسلامي تطوراً ملفتاً، حيث ظهرت مدارس كلامية عديدة، أثرت على الاستقرار العقائدي للناس، فصار السقوط في التشبيه والتجسيم أمراً سهلاً، والحيرة هي المهيمن على عقول الناس أمام كثرة الآراء والمقالات العقائدية، مما جعل من الصحيفة في هذا المقام بالتحديد إماماً هادياً لكل الناس الى الطريق المستقيم، ودليلا الى الاسلام النقي الطاهر، لم يقتصر عمله على من تزامن وجودهم مع ظهور الصحيفة، بل امتد الى الاجيال اللاحقة التي تلت ظهورها، وهكذا الى أن يرث الله الارض ومن عليها.

إن أخطر ما في دين الاسلام، هو الجانب العقائدي لما له من حساسية ارتباط هذا الجانب بوحدانية الله وذاته وصفاته وأفعاله.. وهو جانب لا يمكن لأي كان أن يتناوله بالدقة مهما بلغ من العلم، إلا من أتاه الله من علمه من نبي وإمام... ممن جعلهم من خاصته وسماهم في قرآنه بالمخلَصين: ﴿ سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين ﴾[3]. وهنا تكمن أهمية البعد العقائدي في الصحيفة السجادية، لأنها ليست ككل كلام، بل هي كلام الامام السجاد عليه السلام الذي يعتبر امتداداً لكلام رسول الله الذي هو وحي من عند الله، فكانت الجواب الشافي، والحصن المنيع، والملاذ الآمن... عبر كل الأزمنة والعصور.

(١) الصحيفة السجادية الكاملة/ ص ٢٥٠ – ٢٨٣.

(٢) معارف الصحيفة السجادية/ علاء الحسّون/ ص٢٨.

(٣) سورة الصافات/ الاية: ١٦٠.

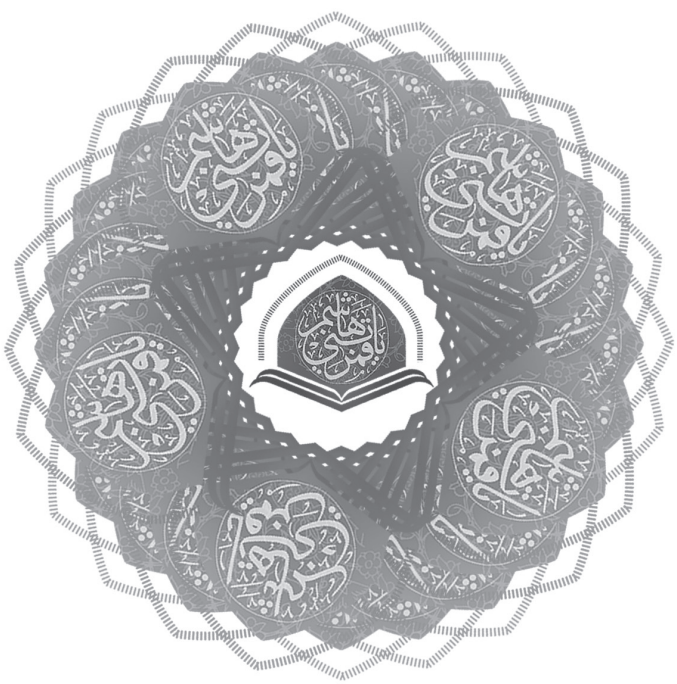

العباس بن علي عليه السلام
معارف ومواقف

الشيخ صلاح الجحيشي

على مرّ التاريخ، كان هناك العديد من الأشخاص رفيعي المستوى الذين دعموا سيّدهم وإمامهم وقائدهم الإلهي حتى آخر قطرة من دمائهم، ولم يفكّروا أبدًا في ترك إمامهم. وكان من بين هؤلاء الأشخاص البارزين في التاريخ قمر بني هاشم، أبو الفضل العباس عليه السلام، فقد حاول كثير من الناس فصل أبي الفضل عليه السلام عن سيّد الشّهداء عليه السلام؛ لأنّهم كانوا مدركين لقوّته وشجاعته وبسالته وتأثيره في تغيير مجريات المعارك، واعتقدوا إذا فصلوه عنه، فإنَّ قوّة سيّد الشهداء عليه السلام ستنخفض ويمكن أن يهزم جيش سيد الشّهداء عليه السلام.

لقد أرسل ابن زياد أماناً للعباس وأخوته بسبب توسُّط أحد أخوالهم. إلاَّ أنَّ العباس عليه السلام أجاب عن ذلك بقوله: «لا حاجة لنا في الأمان. أمان الله خير من أمان ابن سمية»[1].

والمرة الثانية كانت في اليوم العاشر عندما نادى الشمر لعنة الله عليه: أين بنو أختنا، أين العباس وأخوته؟ إلاَّ أنَّهم أعرضوا عنه. فقال الإمام الحسين عليه السلام أجيبوه ولو كان فاسقاً. فأجابوه وقالوا: ما شأنك وما تريد؟ قال: يا بني أختي أنتم آمنون لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين وألزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد. فقال العباس عليه السلام: «لعنك الله أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء»[2].

كانت خطّتهم الرئيسة هي ترك الإمام المعصوم عليه السلام وحده؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الشّرّيرة بسهولة.

وهذه السياسة اتبعوها في الكوفة حينما زرعوا الخوف في نفوس الكوفيين لدرجة أنّ أحدًا لم يجرؤ على التّحرك باتجاه جيش سيّد الشهداء عليه السلام في صحراء كربلاء.

---

(١) تاريخ الطبري/ ٤/ ٣١٥.

(٢) بحار الأنوار/ ٤٤/ ٣٩١.

لكن أبا الفضل لم يتوقّف عن دعم أخيه ﷺ وهو الذي قال لما فقد كلتا يديه يوم عاشوراء:

«والله إن قطعتم يميني إنّي أُحامي أبداً عن ديني»[1]

وعندما صمّم سيّد الشّهداء ﷺ للسفر من المدينة المنورة إلى مكة ومنها إلى صحراء كربلاء، حاول كثير من الناس منعه وجاء إليه أناس مثل عبد الله بن عمر وابن عباس ومحمد بن الحنفية وحتى عبد الله بن جعفر، وطلبوا منه لا يقم بهذه النّهضة التّاريخية[2].

لكن الإمام اتخذ قراره بالتّضحية بحياته وكرامته ووجوده حفاظًا على الدين، ولم يكن هناك عامل يمنع نهضته في غضون ذلك، ولم يهتم أبو الفضل ﷺ أبدًا إلى أعذار ونظريات الآخرين. بل كان دائمًا مطيعًا لأوامر قائده وإمامه ولم يقدم اقتراحًا واحدًا لأخيه بشأن هذه المسألة المهمّة، إنّه التسليم للمعصوم ﷺ.

وهذا الموقف إنَّما هو خير درس يعلمنا أن نكون مطيعين دائمًا لقيادة الأئمّة ﷺ، وأن يتبعوا أوامرهم دون أيّ عذر أو اعتراض؛ حتى نكون من المفلحين يوم القيامة، ولهذا الموقف وغيره نجد المعصومين يدركون مكانة أبي الفضل العالية فمدحوه بشتّى الكلمات التي تدلّل على سموّ مكانة العباس ﷺ، وأمّا نحن الأشخاص العاديّون غير قادرين على فهم صفات العبّاس ﷺ بسبب قدرتنا المحدودة؛ لذلك نستعين بكلام المعصومين: لإدراك عظمة قمر بني هاشم ﷺ.

روى الشّيخ الأجلّ جعفر بن قولويه القمّي بسند معتبر عن أبي حمزة الثّمالي عن الصّادق ﷺ، قال: إذا أردت زيارة قبر العبّاس بن علي وهو على شطّ الفرات ... قُل: **سَلامُ اللهِ وَسَلامُ مَلائِكَتِهِ الْمُقَرَّبينَ وَاَنْبِيائِهِ الْمُرْسَلينَ وَعِبادِهِ الصّالِحينَ وَجَميعِ الشُّهَداءِ وَالصِّدّيقينَ، وَالزّاكِياتُ الطَّيِّباتُ فيما تَغْتَدي وَتَرُوحُ عَلَيْكَ يَا بْنَ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ، اَشْهَدُ لَكَ بِالتَّسْليمِ وَالتَّصْديقِ وَالْوَفاءِ وَالنَّصيحَةِ لِخَلَفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْمُرْسَلِ، وَالسِّبْطِ الْمُنْتَجَبِ، وَالدَّليلِ الْعالِمِ، وَالْوَصِيِّ الْمُبَلِّغِ، وَالْمَظْلُومِ الْمُهْتَضَمِ، فَجَزاكَ اللهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَنْ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَعَنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمْ اَفْضَلَ الْجَزاءِ بِما صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ وَاَعَنْتَ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّارِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ قَتَلَكَ وَلَعَنَ اللهُ مَنْ جَهِلَ حَقَّكَ وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِكَ، وَلَعَنَ اللهُ مَنْ حالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ماءِ الْفُراتِ، اَشْهَدُ اَنَّكَ قُتِلْتَ مَظْلُوماً، وَاَنَّ اللهَ مُنْجِزٌ لَكُمْ ما وَعَدَكُمْ، جِئْتُكَ يَا بْنَ اَميرِ الْمُؤْمِنينَ وَافِداً اِلَيْكُمْ، وَقَلْبي مُسَلِّمٌ لَكُمْ وَتابِعٌ، وَاَنَا لَكُمْ تابِعٌ وَنُصْرَتي لَكُمْ مُعَدَّةٌ حَتّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمينَ، فَمَعَكُمْ مَعَكُمْ لا مَعَ عَدُوِّكُمْ اِنّي بِكُمْ**

---

(١) بحر الأضواء: ٤٥/ ٤٠.

(٢) للمزيد راجع كتب بحار الأنوار: ٤٤/ ٣١٣. موسوعة كلام الإمام الحسين ﷺ: ٢ / ٥-٩.

وَبِإيابِكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِيَن، وَبِمَنْ خالَفَكُمْ وَقَتَلَكُمْ مِنَ الْكافِرينَ، قَتَلَ اللهُ أُمَّةً قَتَلَتْكُمْ بِالَايْدي وَ الَالْسُنِ» [1]

وورد عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ قوله في ولده العباس ﷺ **(إن العباس بن علي زُقّ العلم زَقّا)**[2].

وهذه الشهادة التي شهد أمير المؤمنين لولده العباس تعطي انطباعًا مهمًّا عن شخصيته العلمية، فضلاً عن تفقّهه وبصيرته وسيأتي في شهادة الإمام الصادق ﷺ أنّه على بصيرة من أمره.

وورد عن الإمام زين العابدين ﷺ

وقد نوّه عن مرتبته الإمام زين العابدين في موارد كثيرة مكانة أبي الفضل العباس ﷺ التي لا يدانيها أحد، وترحّم عليه، وبكى له، ورعى ولده بعده، وكان له مواقف تنبئ عن عظمة أبي الفضل العباس ﷺ عند الإمام زين العابدين ﷺ.

فقد روى عن ثابت بن أبي صفيّة قال: نظر علي بن الحسين سيد العابدين -صلوات الله عليه- إلى عبيد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب ﷺ فاستعبر ثم قال: «ما من يوم أشد على رسول الله ﷺ من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم موته، قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب.

ثم قال ﷺ: ولا يوم كيوم الحسين صلى الله عليه ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنّهم من هذه الأمّة، كل يتقرّب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغيًا وظلمًا وعدوانًا.

ثم قال ﷺ: رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله عز وجل بهما جناحين، يطير بهما مع الملائكة في الجنّة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنّ للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة[3].

فقد ذكر الإمام زين العابدين ﷺ مراتب الإيثار والبلاء والفداء التي تميز بها أبي الفضل العباس، فالإيثار الذي آثر به أخاه الحسين ﷺ ووقاه بنفسه وقدم اخاه على كل شيء، ولم يدرْ في خلد أبي الفضل ﷺ سوى سلامة أخيه الحسين وحياته الشريفة، وهو اندكاك وذوبان في نفس المعصوم أظهره العباس ﷺ في مواقفه كلها، ومن ثم أبلى بلاءً حسناً في مواضع الدفاع عن المعصوم وقدّم مثلا في البطولة والبأس لم يشهدها احدٌ من قبل، وكل ذلك أدى إلى حالة الفداء بعد أن بذل نفسه مع سيد الشهداء، وأي مرتبة سامية كاشفة عن مقامات أبي الفضل ﷺ وشأنه؟!

وهذه بعض مقامات العباس ﷺ ومراتبه التي كشف عنها المعصوم في كلماته.

---

(١) بحار الأنوار / ج ٩٨ / ص ٢٧٧ .

(٢) ثمرات الأعواد/ ج١ / ص١٠٥.

(٣) العوالم / الإمام الحسين ﷺ/ الشيخ عبد الله البحراني / ص ٣٤٩

وورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قوله:

« كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام وابلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً» [1]فقد وصفه الإمام الصادق عليه السلام بصفة مهمة وهي، نفاذ البصيرة فهي مما تميز به أبو الفضل العباس عليه السلام، وهذه الخصلة منبعثة من التفوّق في العلم والمعرفة، وسداد الرأي، وأصالة الفكر، ولا يتّصف بهذه الصفة إلاّ من صفت ذاته، وخلصت نيته وأهدافه، وصدقت عبوديته لله(سبحانه)، وتمسك بالثقلين كتاب الله(تبارك وتعالى) وعترة نبيه صلى الله عليه وآله، وضحى بكل ما يملك لأجل نشر الفضيلة وعلوّ راية الحق والعدل، ولم يكن لدواعي الهوى والغرور أيّ سلطان عليه، وقد ارتقى بذلك إلى قمّة الشرف والمجد، وخلدت نفسه العظيمة على امتداد التأريخ، فما دامت القيم الإنسانية يخضع لها الإنسان، ويمجّدها فأبو الفضل قد بلغ قمّتها وذروتها.

إنّ بصيرته جعلته يتمسّك بعروة الولاية الإلهية، وإنَّ صلابة إيمانه وصدق يقينه جعلاه لا يأبه بالحياة، فالعباس عليه السلام كان يعرف أنَّ الحياة لا تبقى لأحد، وأن الأبدان قد أنشئت للموت، فلم البخل بها عن الشهادة التي تورث الحياة الأبدية، والمقام الرفيع.

ونفاذ البصيرة الغوص في عمق الأشياء، ليصل إلى الحقائق متجاوزاً المظاهر والشكليّات.

ويمكن أن نعرف مدى أهمّيّة هذه الصّفة عندما نعرف أنَّ أهم عمل لدى مروّجي الفساد هو سعيهم الدؤوب نحو التزييف، وتزيين كلّ ما هو فاسد، من أجل إقناع الناس بما لديهم، سواء كانت تلك الأشياء السّيّئة بضائع ماديّة، أو بضائع ثقافية.

ولذلك فمن لا يمتلك بصيرة نافذة، فإنّ المظاهر الخداعة سوف تأخذه إلى ما هو سراب لا ينفع، أما صاحب البصيرة النافذة فهو الذي لا تهزه كل مظاهر الخداع والتزيين والدعايات الكاذبة، فيعرف حقائق الأمور وبواطنها، من خلال النظر إلى الغايات والنوايا.

إن البصيرة في قلب المؤمن تعمل كمصباح منير في وسط الظلمة الحالكة، فهي التي تكشف الأشياء على حقيقتها فيراها المؤمن كما هي، ولا يراها كما زينت في الدنيا ولا كما زينها الشيطان للغاوين، ولا كما زينها هوى النفس في الأنفس الضعيفة.

نفاذ البصيرة هو النور الذي إذا حلَّ في القلب أبصر وانطلق في دنيا الفضيلة والفلاح، ورأى الأمور على حقائقها، وأعاد ترتيب كل شيء في الحياة.

إن معرفة حقائق حديث الإمام الصادق عليه السلام حين قال: « كان عمّنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب

(١) عمدة الطالب: ٣٥٦.

الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله، وأبلى بلاءً حسناً، ومضى شهيداً «[1].

يحتاج منا أن نعود إلى يوم عاشوراء ونطلع على البطولات والقيم التي سطرها قمر بني هاشم لننهل منها ما يحقق سعادتنا في الدنيا والآخرة.

إن من المؤكد ان ما اعترى خروج الإمام الحسين ﷺ إلى كربلاء من الاعتراضات والتشكيكات في صحة اقدامه على هكذا عمل قد يثير الريبة في صحة ما اتخذه الإمام ﷺ، ويورث التردد -وقد اشرنا إلى قسم من الاعتراضات التي اعترضت الإمام الحسين ﷺ منذ خروجه إلى كربلاء-.

ولابد من أجل الثبات على هذا الموقف من معرفة وبصيرة توجب الإيمان الذي لابد ان يتحلى به الشخص الذي يتبنى موقف النصرة للإمام الحسين ﷺ، وما صدر من أبي الفضل العباس ﷺ من البأس والشجاعة والفداء والإخلاص كلها بسبب ما امتاز به من بصيرة نافذة في تحقيق اهداف الإمام الحسين ﷺ من المضي بمشروعه الإلهي ذلك.

وقد فسر الإمام الصادق ﷺ المراد من نفاذ البصيرة وهو فرع الإيمان الذي هو فرع المعرفة بعد ذلك لما أردف بعد قوله (نافذ البصيرة) فقد أردفها بقوله (صلب الإيمان) وصلابة الإيمان تعطي بعداً من البأس والشجاعة والثبات.

كما انه جاهد مع ابي عبد الله ﷺ وابلى بلاءً حسناً وهذا الثناء يدخل في عموم قوله ﷺ: نافذ البصيرة، حيث البلاء الحسن في الجهاد كان بسبب ما انفتحت له بصيرة الحق والمعرفة التي تمكن من خلالها ان يفدي نفسه ويعرف بالولاء والفداء.

واما ما ورد عن الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في الثناء على أبي الفضل العباس ﷺ

وردت في زيارة الناحية المقدسة على شهداء الطف، وهي ملحمة للتعريف بصفاتهم ﷺ، والوقوف عند أحوالهم، ومعرفة قاتليهم حتى يتمكن ان تعد هذه الزيارة وثيقة تاريخية توثق للشهداء وتعطي بعداً معرفياً آخر.

فقد ورد عن الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في أبي الفضل العباس ﷺ قوله:

« السَّلَامُ عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَاسِي أَخَاهُ بِنَفْسِهِ الْآخِذِ لِغَدِهِ مِنْ أَمْسِهِ الْفَادِي لَهُ الْوَاقِي السَّاعِي إِلَيْهِ بِمَائِهِ الْمَقْطُوعَةِ يَدَاهُ لَعَنَ اللهُ قَاتِلَيْهِ يَزِيدَ بْنَ وَقَّادٍ وَ حَكِيمَ بْنَ الطُّفَيْلِ الطَّائِيَّ»[2].

وهذا التسليم من الإمام الحجة ﷺ الشريف يشير الى حالات المواساة والفداء والتضحية التي تميز بها

---

(١) أسرار الشهادة، ص، ٢٠٨.

(٢) بحار الأنوار/ ج٤٥/ ص٦٥.

العباس عليه السلام واشتهرت عنه هذه الصفات التي أشارت الى التعريف بشخصيته وجهاده.

من فضائل العباس عليه السلام

١- **الأدب:** أولى الإمام علي عليه السلام منذ الطفولة المبكرة للعباس عليه السلام اهتماماً خاصاً بتربيته وروي أنَّ العباس عليه السلام لم يجلس بجانب الإمام الحسين عليه السلام إلا بإذنه، وبعد الحصول على الإذن يجلس على ركبتيه أمام سيده مثل خادم متواضع. فقد تربّى على يد الإمام علي عليه السلام الذي تعلم الأدب من هذه المدرسة الرائعة.

لم يسمح العباس عليه السلام لنفسه مطلقًا أن يسمي الإمام الحسين عليه السلام بالأخ إلا في لحظة الاستشهاد.

٢- اليقين والولاء.

٣- الجود والتفاني.

إنَّ كثيراً من النساء كُنَّ زوجات الأنبياء والأوصياء والأئمة، ولكن حينما نتأمّل في تلك الشخصيات نجد أنَّ السَّيدة أمّ البنين عليها السلام كانت تتّصف بالتّميّز من بين تلك الزَّوجات الصَّالحات المؤمنات الجليلات للأنبياء والأئمة عليهم السلام.

إنَّ أمّهات الأئمة أفضل من أمّ العبّاس، والأئمة أعظم وأفضل من أبي الفضل بما لا قياس بينهما.

أمّهات الأئمة كلّهن جليلات في قمة درجات الإيمان، ولكن مقام السَّيِّدة أمّ البنين مقام مميَّز، ولعلَّ العديد من المؤمنين والمؤمنات لم يعرفوا أمّهات الأئمة، ولم يسمعوا حتى بأسمائهنّ، ولكن عند النّاس السّيدة أمّ البنين لها مقام استثنائي.

أحد العلماء كان يقول: السِّرّ في عظمة أمّ البنين في كلمة واحدة هذه الكلمة ليست هي التي جاءت بهذه العظمة، بل إنَّ هذه الكلمة تكشف عن نقطة عظمة السّيّدة أمّ البنين عليها السلام.

والكلمة: عندما جاء بشر بن حذلم إلى المدينة ينعى الحسين (سلام الله عليه) ذهبت إليه السَّيّدة أمّ البنين، وسألته عن الإمام الحسين عليه السلام، لقد نَسيت أولادها، وذهلت عنهم.

بعبارة أخرى السِّر في عظمة أمّ البنين التفاني في حبِّ الحسين عليه السلام، التفاني في خدمة سيّد الشّهداء، فهي لا ترى لنفسها ولا لأولادها -وهم أعزُّ شيء في الوجود- قيمة.

فهي لا ترى إلَّا الحسين في الوجود، لا ترى إلَّا الإمام سيد الشَّهداء عليه السلام.

طبعاً يضاف إلى هذه النقطة معرفتها بالحسين عليه السلام، وتفانيها في حبِّ الإمام الحسين، وخدمته عليه السلام.

كذلك العباس عليه السلام هذه الكلمة المهيبة في قلوب المؤمنين، أبو الفضل الذي أصبح من أعظم أبواب الحوائج إلى الله هو وأمّه، كم مئة ألف، بل وربما مليون حاجة سنويّاً تُقضى ببركة السَّيّدة أمّ البنين، وولدها أبي الفضل العبّاس عليه السلام.

ما الذي كان يحمله أبو الفضل العبّاس؟

لا شكّ أنّ شجاعة وبسالة أبي الفضل استثنائية، بل لا نظير لها بعد استثناء الأئمة .

شجاعة أبي الفضل شجاعة استثنائية فهل حاز على هذه المنزلة الرفيعة بهذه الشّجاعة؟

الجواب: كلَّا شجاعة أبي الفضل وإن كانت استثنائية إلا أنّها ليست السّرّ في عظمته.

لقد كان العبّاس فقيهاً من فقهاء آل علي ، فهل كان العلم الكبير الذي كان يحمله أبو الفضل السبب في تلك العظمة؟.

إنّ عظمة أبي الفضل لعلَّها تعود إلى نفس السَّبب الذي يفسّر عظمة أمّه السّيدة أمّ البنين.

عظمة أبي الفضل تكشفها كلمة واحدة وتلك الكلمة قالها عندما ملك ونزل إلى المشرعة وأصبحت المشرعة كلُّها تحت تصرّفه.

ماذا قال؟

قال: **يا نَفْس من بعد الحسين هـــــوني وبـعده لا كـنت أو تـكوني**

هـــــذا حسينٌ وارد الـمنـــــون وتشـــربين بـارد الـمعين

تالله مـــا هـــــذا فِعَالُ دينـــــي ولا فِعَـــال صادق اليقيـن[1]

العبّاس لا يجد لنفسه قيمة أمام سيّد الشّهداء الإمام الحسين، هذا سرّ عظمته، أضف إلى هذه الكلمة معرفة أبي الفضل بالحسين ، يقول أحد الشّعراء على لسان حال أبي الفضل أبياتاً أنقل لكم بيتاً واحداً:

فهو نفسي بين جنبي وأنفاس الوجود وقليل أن يصبني دونه ألف عمود.

التفاني في حبِّ سيّد الشّهداء جعل السيدة أم البنين وأبا الفضل العباس-عليهما السلام- يصلان إلى هذا المستوى الرفيع.

٤_ الوفاء

الوفاء فضيلة من الفضائل التي أكدّها الإسلام وحث عليها ورغب فيها، وحقيقة الوفاء أن تؤدّي ما التزمت به نحو الله –تعالى- ونحو نفسك ونحو أهلك ووطنك؛ بل نحو الناس أجمعين أداءً كاملاً غير منقوص.

والوفاء وليد الأمانة وعنوان الصدق ودليل الشجاعة والصبر وقوّة الاحتمال، ولا يوجد إلا حيث توجد الجرأة والإخلاص والصراحة والشجاعة والصبر على ما يكلف به؛ فربما كلفك الوفاء بالعهد أعز ما تملك .

إنَّ الوفاء خلق عظيم لا يتصف به إلا عظيم؛ ولذلك وصف الحق تبارك وتعالى به نفسه أنّه تعالى يخبر،

(١) ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي/ ج ٣ / ص ٦٧.

قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[1]، ولقد أثنى الله على رُسله وأنبيائه بالوفاء وصدق الوعد.

ومن أروع ما سجله التاريخ في صفحات أمجاد الإسلام هذه الصورة الرائعة الناطقة بالوفاء حتى في أحرج المواقف، ألا وهو موقف قمر العشيرة أبي الفضل العباس عليه السلام، فقد جسَّد أروع الصور في هذا المجال الإنساني الكبير ولذلك فمن أراد أن يطرق باب الوفاء عليه أن يدخل من باب الطّف حيث وفاء أبي الفضل العباس عليه السلام وهو يرسم أجمل لوحة في الوفاء الإنساني في موقفين متصلين، أما الموقف الأول فهو حين رمى الماء من كفّيه الشريفتين وهو المقطع الكبد من الظمأ وفاءً لأخيه الامام الحسين عليه السلام وعائلته الذي ترك أكبادهم تتفطر ضمأ في الصحراء اللاهبة..

أمَّا الموقف الثاني فهو بقاؤه في أرض المعركة حين أراد الإمام الحسين عليه السلام أن ينقله الى المخيم وهو المقطع اليمين واليسار والمثخن بالجراح لأنَّه يخجل من مواجهة الأطفال الذين واعدهم بجلب الماء.. أيّة صورة للوفاء أروع من هذه التي رسمها لنا أسد الطف العباس بن علي عليه السلام وضرب الرقم القياسي في هذه الصفة الكريمة وبلغ أسمى حدّ لها.

٥- الطاعة والعبودية

ما يصور في الأذهان وعلى الألسنة حينما تتبادر الى الذهن شخصية العباس عليه السلام الشجاعة فقط، بينما أوّلاً وقبل كلّ شيء أنَّ العباس خاضع لله، وكلّ عظمته وقيمه في ظل هذه العبودية والطاعة. ولذلك وصفه الإمام الصادق عليه السلام بالعبد الصالح، فقال عليه السلام: « اَلسَّلامُ عَلَيْكَ اَيُّهَا الْعَبْدُ الصّالِحُ الْمُطيعُ لله وَلِرَسُولِهِ وَلِاَميرِالْمُؤْمِنينَ وَالْحَسَنِ والْحُسَيْنِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ، اَلسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكاتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ وَرِضْوانُهُ وَعَلى رُوحِكَ وَبَدَنِكَ، اَشْهَدُ واُشْهِدُ اللهَ اَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى ما مَضى بِهِ الْبَدْرِيُّونَ وَالْمُجاهِدُونَ فِي سَبيلِ الله الْمُناصِحُونَ لَهُ فِي جِهادِ اَعْدائِهِ الْمُبالِغُونَ فِي نُصْرَةِ اَوْلِيائِهِ الذّابُّونَ عَنْ اَحِبّائِهِ فَجَزاكَ اللهُ اَفْضَلَ الْجَزاءِ، وَاَكْثَرَ الْجَزاءِ، وَاَوْفَرَ الْجَزاءِ، وَاَوْفى جَزاءِ اَحَد مِمَّنْ وَفى بِبَيْعَتِهِ وَاسْتَجابَ لَهُ دَعْوَتَهُ وَاَطاعَ وُلاةَ، اَمْرِهِ اَشْهَدُ اَنَّكَ قَدْ بالَغْتَ فِي النَّصيحَةِ، وَاَعْطَيْتَ غايَةَ الْمَجْهُودِ، فَبَعَثَكَ اللهُ فِي الشُّهَداءِ، وَجَعَلَ رُوحَكَ مَعَ اَرْواحِ السُّعَداءِ، وَاَعْطاكَ مِنْ جِنانِهِ اَفْسَحَها مَنْزِلاً وَاَفْضَلَها غُرَفاً، وَرَفَعَ ذِكْرَكَ فِي عِلِّيّينَ، وَحَشَرَكَ مَعَ النَّبِيّينَ وَالصِّدّيقينَ وَالشُّهَداءِ وَالصّالِحينَ وَحَسُنَ اُولئِكَ رَفيقاً، اَشْهَدُ اَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تَنْكُلْ، وَاَنَّكَ مَضَيْتَ عَلى بَصيرَة مِنْ اَمْرِكَ مُقْتَدِياً بِالصّالِحينَ، وَمُتَّبِعاً لِلنَّبِيّينَ،

---

(١) الأحقاف/ آية: ١٩.

فَجَمَعَ اللهُ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ رَسُولِهِ وَاَوْلِيائِهِ فِي مَنازِلِ الْمُخْبِتينَ، فَاِنَّهُ اَرْحَمُ الرّاحِمينَ»[1]، وكما تشير بعض الوقائع التاريخية أنَّ أثر السجود كان على جبهته من شدّة عبادته.

٦- الشجاعة

من السمات البارزة للعباس ﷺ، التي يعرفها الجميع، حتى غير المسلمين، شجاعته وبسالته منذ البداية فقد أوعز إلى أخيه عقيل، الذي كان على دراية واسعة بنسب القبائل العربية والتاريخ السابق لذلك اليوم، أن يختار لي زوجة من القبائل العربية النبيلة والشجاعة المولودة من الشجعان. ويكون وريث الشجاعة لأنّه كان يريد رجلاً شجاعًا يولد من هذا الزّواج. فاقترح عقيل على مولاتنا أم البنين ﷺ؛ لأنّه لم يكن في ذلك الوقت أشجع من أسلافها.

ولنسمع ما يقول الشاعر المرحوم السيد جعفر الحلي

عبست وجوهُ القومِ خوفَ الموتِ والـ... عباس فيهم ضاحكٌ يتبسمُ
قلب اليمينَ عن الشمال وغاص في.. الأوساطِ يختطفُ النفوسَ ويحطم
وثنى أبو الفضل الفوارس نُكَّصا.. فرأوا أشدَّ ثباتِهم أنْ يُهزموا
ما كرَّ ذو بأس له متقدما ...إلّا وفرَّ ورأسُه المتقدم
بطلٌ ثورَّث من أبيه شجاعةً.. فيها أنوفُ بني الضلالةِ تُرغم
أوَ تشتكي العطشَ الفواطمُ عنده.. وبصدرِ صعدته الفراتُ المفعم
في كفِّه اليسرى السقاءُ يقلُّه.. وبكفِّه اليمنى الحسامُ المخذم
قسما بصارمِه الصقيلِ وإنني.. في غير صاعقةِ السما لا أُقسم
لولا القضا لمحا الوجودَ بسيفه.. والله يقضي ما يشاءُ ويحكم[2].

(١) كامل الزيارات / ابن قولويه القمي / ج ١ / ص ٢٧٠.

(٢) السيد جعفر الحلي.

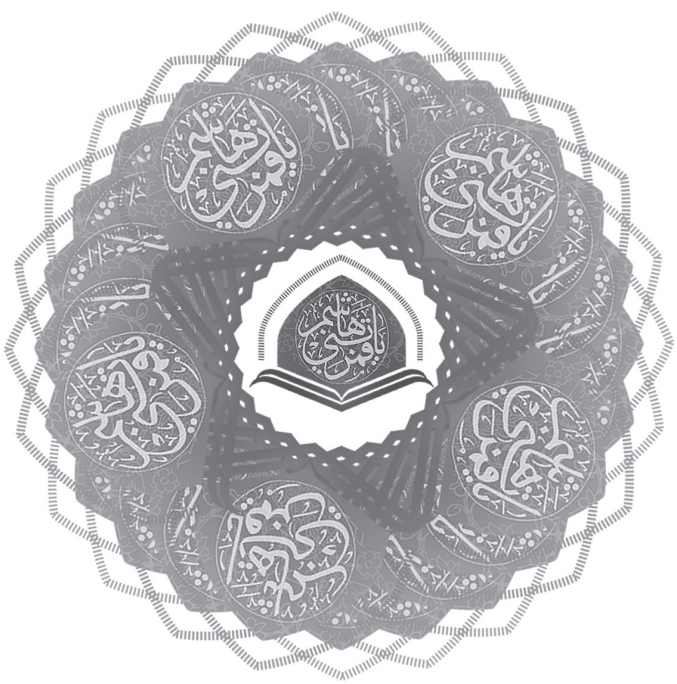

دور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الغيبة الكبرى

الشيخ فوزي آل سيف

ليكون المقال ذا ثمرة، فلا بُدّ أن يتم تحديد الفئة المستهدفة به والتي يوجه إليها، فإنَّ من غير الطبيعي مثلا أن يوجّه هذا الحديث لغير المسلم الذي لا يعتقد بنبوّة رسول الله فضلاً عن إمامة الأئمّة، حتى يبحث معه في دور الإمام الأخير، وهكذا ليس من الطّبيعي أن يتم توجيه هذا الحديث لغير المنتمي إلى مذهب أهل البيت، حيث أنّه لا يعتقد بوجود وحياة الإمام المهدي، حتى يبحث معه عن دوره في هذه الحياة!!

إنَّما نحن نتحدث مع الإمامي الإثني عشري الذي يعتقد بإمامة الامام المهدي عجل الله فرجه، وسائر شؤونه، وأنه مولود منذ سنة ٢٥٥ هـ، وأنه حي لكنه غائب بصفته عن مباشرة الناس. والمفروض أنه تمت إقامة الأدلة على تلك الاعتقادات.

مصطلحات:

سوف يتكرر مصطلح (غيبة الإمام المهدي) في هذا المقال، ولذا يحسن توضيحه، (غيبة الإمام المهدي) المقصود بها هنا: ليس غيبة جغرافية أو بدنية، بمعنى أنه لا يستطيع أحد رؤيته لاختفائه مثلا، أو لكون بدنه بنحو خاص، وإنَّما المقصود هو غيبته العنوانية، واختفاؤه بصفته، فقد يكون إنسان حاضرًا في مجتمع من الناس ولكنهم لا يعرفون صفته ودوره ومستواه، وهذا يشبه ما ورد من أنَّ الله أخفى ثلاثة في ثلاث:.. وأخفى وليه بين عباده.. فلا يكاد أحد يعرف هذا الشخص بكونه من أولياء الله وإن كان يتعايش معهم. وما ورد من أنه عليه السلام يشهد الموسم (الحج) فيراهم ولا يرونه [1] ويعرفهم ولا يعرفونه. وورد التمثيل بقصة نبي الله يوسف،حيث كان يعرف الناس ولا يعرفونه، بل لم يكن يعرفه حتى اخوته مع أنهم يتعاملون معه مباشرة بعدما صار عزيز مصر.

والغيبة الكبرى: هي فترة الاختفاء (بالنحو السابق) التي تبدأ من سنة (٣٢٩ هـ) والمستمرة إلى أيامنا هذه.

والدور: ما يعم الفعل الاختياري للإمام، والنتيجة المترتبة على وجوده، وإن لم تكن باختياره وإنما بالفعل الغيبي.

مقدمات:

١/ يظهر أن هذا السؤال، قد أثير في مرحلة مبكرة جدا، تصل إلى قرابة قرنين من الزمان قبل ولادة الامام،

(١) الكافي ١/ ٣٢٧.

فإن هناك رواية عن النبي المصطفى في صورة سؤال عن الفائدة المترتبة على وجود الإمام مع غيبته، وأنه كيف يتم الانتفاع به.

ومع التأمل في الرواية، وظلالها، يمكن أن نستفيد فكرة وهي أن الحديث عن الإمام، وعن تفاصيل قضيته كان موجودا لدى المسلمين أو بعضهم، لا في أصل إمامته أو إمكان الغيبة، وإنما في تفاصيل ذلك. وفي هذه الرواية وغيرها وهو كثير قد تعرض له العلماء الذين كتبوا في بحث الغيبة.. رد على بعض من قال من المتأخرين من أن العقيدة المهدوية هي رد فعل على الظروف الصعبة التي عاشها الشيعة في أزمنتهم المختلفة فكانوا يحتاجون إلى (أمل) يخرجهم من تلك الظروف ولو لم يكن حقيقيا، فكانت فكرة المهدي وشخصيته.

إنه مع التوجه إلى أن الروايات في المهدي قد صدرت في عصر النبي ﷺ، وأمير المؤمنين والحسنين عليهم السلام، لا يكون هناك من معنى للحديث عن أنها رد فعل حدث في أزمنة متأخرة! أو أنّ الشيعة على أثر الأوضاع السياسية الضاغطة (ابتكروا) فكرة المهدي وولادته وغيبته!.

٢/ ما سيأتي من الحديث سيفترض أنه يناقش القضايا من داخل المنظومة العقدية للشيعة الإمامية، وبنفس الأدلة التي تساق فيها، وبالتالي فسيستفيد من الكليات التي تمت مناقشتها والاستدلال عليها في علم الكلام عندهم، كما سيستفيد من الأدلة النقلية ضمن المنهج المعمول به عندهم.. ولذا قد لا يكون مفيدًا لمن لا يعتقد بهذه المنظومة أو لا يصحح هذا المنهج الاستدلالي..

وبعد هذه المقدمات نقول، إنه قد وردت روايات، يتم السؤال فيها عن وجه الانتفاع بالإمام المهدي في غيبته، والسؤال بحد ذاته يقتضي أن تكون أصل قضية الإمام المهدي ثم غيبته (ومعنى ذلك كونه مولودا وحيا، ولكنه غائب.. لا أنه سيولد في آخر الزمان كما تذهب إليه مدرسة الخلفاء.. يقتضي التسليم بهذه الأمور والمفروغية من تماميتها.

فقد سئل النبي ﷺ عن كيفية الانتفاع بالإمام المهدي عليه السلام في غيبته، فقال: (إي والذي بعثني بالنبوة إنّهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلها السحاب)[1].

وعن الصادق عليه السلام في حديث.. ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب

---

(١) حدثنا غير واحد من أصحابنا قالوا: حدثنا محمد بن همام، عن جعفر بن – محمد بن مالك الفرازي قال: حدثني الحسن بن محمد بن سماعة، عن أحمد بن الحارث قال: حدثني المفضل بن عمر، عن يونس بن ظبيان، عن جابر بن يزيد الجعفي قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم « قلت « يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الامر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟ فقال عليه السلام: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين (من) بعدي أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، و ستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه، وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه.. « إلى أن سأله عن فائدته مع غيبته فأجابه بما ذكر في المتن.. إكمال الدين ١ / ٢٥٣ .

مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله. قال: سليمان، فقلت للصادق ﷺ: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور ؟ قال: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب[1].

وروي أنه خرج من الناحية المقدسة إلى إسحاق بن يعقوب على يد محمد بن عثمان: (وأما وجه الإنتفاع بي في غيبتي، فكالإنتفاع بالشمس إذا غيبها عن الأبصار السحاب وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء) [2].

ويلحظ في التوقيع الأخير، أن هناك نهيًا عن تكلف معرفة الأسباب الكامنة وراء الغيبة، وأنها لماذا ؟ وربما يكون ذلك عائدًا إلى عدم الفائدة في التفتيش عن تلك الأسباب، لأنّه لا يرتبط أمر الاعتقاد بالقادة الإلهيين، بمعرفة تفاصيل أدوارهم الظاهرة أو الخفية، فهل يلزم أن نعرف ماذا به الخضر مثلا وهو حي، على المعروف عند المسلمين، حتى نعتقد به ؟ ولولا أنَّ القرآن نقل عنه بعض القصص مع موسى، لما كان لنا طريق لنعرف ماذا يقوم به ؟ وهذه القصص بالنسبة لنا تُعدّ من الأمور الماضية.. وأما سائر أموره الحاضرة والفعلية، فلا نعلم عنها شيئًا...

فهذه الروايات الثلاث يلحظ فيها توجّه واحد وهو تشبيه فائدة الإمام المهدي، مع كونه غائبًا، بفائدة الشمس إذا جللها وغطّاها السحاب.. وكأن هذه الروايات تريد أن تقول:

إنّه لا ربط بين الغيبة وعدم الدور: فمن الممكن أن يكون شخص ظاهر المثال أمام الناس ومع ذلك، غائب الشخصية والعنوان وهو يمارس دوره بكفاءة تامة، وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثالا بالنبي يوسف بن يعقوب ﷺ: فإنَّه كان يدير بلدًا بحجم مصر، ويدبر اقتصادًا بسعة اقتصادها، وكان الرجل الثاني بعد ملكها، ولكنه لم يكن معروفًا لا للملك ولا حتى لإخوته الذين (دخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) ! هذا في القديم.

وأما في العالم المعاصر فقد اتضحت لكلّ متأمّل، فكرة أنَّ الغيبة (لا سيما العنوانية) لا تمنع قيام الشخص بأدواره المختلفة، فإنَّ فكرة الحكومة الخفيّة في العالم الآن أوضح من الماضي،.(المخابرات / المنظمات العالمية.. الدولة العميقة..)، بل إن الشركات الكبرى تدار من وراء أزرار الكمبيوتر على يد أناس لا يعرفهم أغلب العاملين في نفس هذه الشركات فضلاً عن غيرهم!

والمثال الذي ورد في الروايات الثلاث، وهي صادرة في عصور مختلفة تمتدّ إلى حوالي قرنين ونصف من الزمان، هو التمثيل بالشمس إذا غيّبها السحاب.

---

(١) إكمال الدين ١ / ٢٠٧ .

(٢) إكمال الدين ٢ / ٤٨٥، الإحتجاج ٢ / ٢٨٤ .

١/ لولا الحجة لساخت الأرض:

يستفاد من كثير من الروايات أنَّ هناك ارتباطًا بين وجود الحجج الإلهيين وبين ثبات الأرض واستقامتها، وعدم انهيارها.. ولقد صارت هذه الفكرة من المسلمات عند الإمامية حتى أنها يستدل بها ولا يستدل عليها، واعتمدوا في ذلك على الروايات الكثيرة الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

هل معناها الفساد التشريعي لأهل الأرض أو التكويني لها ؟

وقد اختلف العلماء في النظرة إلى مفاد هذه الأحاديث فهل المقصود منها، الفساد التشريعي، واختلال القانون والنظام، وبعد الناس عن شريعة الله عز وجل ؟ أو أن المقصود منها هو الفساد التكويني بمعنى أن الكون في وجوده وبقائه مرتبط بوجود الحجة الإلهي (وهو في هذا الزمان صاحب العصر الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن) ؟، بمعنى أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل ارتباطًا بين بقاء الأرض وبين وجود النبي او الإمام..

فمما يشير إلى المعنى الأول وهو الفساد التشريعي بعدم وجود الحجة..

ما رواه في الكافي بسند معتبر [١] عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: (إنَّ الأرض لا تخلو إلا وفيها إمام، كيما إن زاد المؤمنون شيئا ردهم وإن نقصوا شيئا أتمه لهم).

وهو واضح في أن المقصود من وجود الامام عليه السلام، هو أن يرد الإمام المؤمنين عن الزيادة في الدين وأن يتمه لهم إن نقصوا منه! ومنه أيضا ما رواه في نفس الباب بسند معتبر [٢] عن أحدهما عليهما السلام قال: (إن الله لم يدع الأرض بغير عالم، ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل).

ومنه الحديث العاشر في الباب بسند فيه محمد بن الفضيل [٣] قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أتبقى الأرض بغير إمام ؟ قال: (لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت). وقد تبنى المولى المازندراني شارح الكافي أن معنى ساخت: أي لغاصت في الماء وغابت، ولعله كناية عن هلاك البشر وفنائهم، غير أن المحشي (الميرزا أبو الحسن الشعراني) قال: أنكر السيد المرتضى (رضي الله عنه) في الشافي أن يكون مذهب الإمامية زوال الأرض وهلاكها تكوينا أما قولهم « لولا الحجة لساخت الأرض » فإن ثبت صدوره من الإمام المعصوم كان المراد الفتنة والضلال وهلاك الناس بزوال الأمن والسعادة لأن عدم وجود الإمام العادل المتصرف إما أن يكون بعدم وجود أمير مطلقا وفساد ظاهر، وإما بوجود جائر أو جاهل وهو مثله [٤].

---

(١) علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن منصور بن يونس، وسعدان بن مسلم، عن إسحاق بن عمار،

(٢) علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن يونس، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام

(٣) بن كثير الأزدي، فيه كلام، فقد ضعفه الشيخ وذكر في المعجم، أنه من رجال كامل الزيارات.

(٤) شرح أصول الكافي/ ٥/ ١٢٦.

ـ والقول الثاني: أن المقصود هو الفساد التكويني، فمثلما الزلازل مثلا تنتهي إلى اعدام اجزاء من الأرض، أو البراكين والسيول، فإن عدم وجود الحجة الإلهي أيضا ينتهي إلى هذه النتيجة..

فمما يدل عليه ما رواه الكليني بسند[1] فيه محمد بن الفضيل وقد تقدم ذكره عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال: قلت له: أتبقى الأرض بغير إمام ؟ قال: لا، قلت: فإنا نروي عن أبي عبد الله ﷺ أنها لا تبقى بغير إمام إلا أن يسخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد فقال: لا، لا تبقى إذا لساخت.

وقد نفى الإمام الرضا في هذه الرواية، المعنى الذي كان تبادر إلى ذهن السائل، من أنه يمكن أن تبقى الأرض ولكن يكون أهلها مسخوطا عليهم من قبل الله تعالى، وهو المعنى الأول الذي ذكرناه (الفساد التشريعي، والضياع من جهة الهداية والأحكام) وأوضح أنها لا تبقى أصلا!

ومما تشير إليه الرواية الثانية عشر من الباب نفسه بسند ليس تاما[2] عن أبي جعفر ﷺ قال: لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله.

وقد علق عليه المولى المازندراني بقوله: (لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله) ماج البحر يموج موجا اضطربت أمواجه وكذلك الناس يموجون. شبه اضطراب الأرض وأهلها بموج البحر وأهله للإيضاح وكنى به عن زوالها وزوال أهلها لأنّ الاضطراب المذكور يستلزمها والباء في الموضعين للتعدية أو بمعنى مع.

وقال في موضع آخر[3] في خصوص الإمام المهدي عجل الله فرجه: هو حي موجود قامت السماوات بوجوده ولولا وجوده لساخت الأرض بأهلها طرفة عين.

ومن المعاصرين عبّر عن هذه الفكرة المرحوم الشيخ المنتظري: أن الهدف من تعيين الإمام لا ينحصر في إدارة الأمور السياسية في المجتمع والحفظ الظاهري للدين وتبيين احكام الشريعة فقط، بل هو مضافا إلى ذلك واسطة الفيض واللطف الإلهي وهو العلة الغائية العظمى في نظام التكوين، وقد ورد في الأخبار انه لو انعدم الإمام لساخت الأرض بأهلها، وقد أشار التوقيع المتقدم إلى ذلك بقوله: " واني لأمان لأهل الأرض"، وقال الطوسي (قدس سره): " وجوده لطف " أي أن نفس وجوده لطف إلهي على العباد. هذا مضافًا إلى أنّه وفقًا للوقائع الكثيرة والمنقولة في الكتب المعتبرة فإنَّ الإمام الحجة قد أتى وظهر متنكرًا وأعان أصحابه وأنصاره في ساعات العسرة والضنك[4].

---

(١) علي بن إبراهيم، عن محمد بن عيسى، عن محمد بن الفضيل.

(٢) علي عن محمد بن عيسى، عن أبي عبد الله المؤمن، عن أبي هراسة.

(٣) شرح الكافي/ ١/ ٣٠٢.

(٤) كتاب من المبدأ إلى المعاد/ ١٧٠.

كما أشار إليه السيد جعفر مرتضى العاملي بقوله: وقد اتضح أيضًا أنَّ وجود الإمام المعصوم في كلّ عصر وزمان أمر حتمي وضروري حتى ولو كان غائبًا ومستورًا، لأنَّ هذا الإمام يحفظ ويرعى كثيرًا من المواقع والمواضع في هذا الكون المسخر للإنسان، والتي لولا حفظه ورعايته ﷺ لها وقعت الكارثة، كما أنه لولاه لساخت الأرض بأهلها، كما ورد في الروايات المعتبرة. وبذلك نعرف السر في أنّ الروايات قد ذكرت: (أنه لو بقيت الأرض بغير إمام)، أو (لو أنَّ الإمام رفع من الأرض ولو ساعة لساخت بأهلها، وماجت كما يموج البحر بأهله) . وأصبح واضحًا معنى الرواية التي تقول: (وأما وجه انتفاع الناس بي في غيبتي فكالشمس إذا جللها عن الأنظار السحاب)[1].

ويمكن لأصحاب هذا الاتجاه أن يقولوا ردا على استغراب واستنكار الارتباط بين وجود النبي أو الامام وبين ثبات الأرض: بأن عدم معرفتنا بكيفية ذلك لا يعني عدم وجوده، فنحن لا نعرف كيف هي أدوار الملائكة في هذا الكون.. وكيف تتصرف في الطبيعة، مع أن القرآن أثبت ذلك والروايات، وعليه رأي المسلمين وأنهم قد كلفوا بأدوار مختلفة ومتعددة فيه.. وتفسر الآيات الواردة في سورة الذاريات بهذا: (فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا).

لا سيما وأن هناك أسبابًا في الكون لا نعلم حقيقتها كالجاذبية، وخاصية الالتصاق في الأشياء، وحقيقة الماء التي بها يصير كل شيء حي (ولا توجد في غيره من السوائل بالرغم من سيولته) بحيث لو أنَّ شيئا منها انهدم لانهدم الكون، ومثلما أنَّ الروح التي لا نعلم ما هي، لو خرجت من البدن انتهت الحياة، ولا نعرف أيا منها، ولا نعرف كيفية هذا الارتباط وإنَّما نعرف آثارها. فكذلك لا نعرف كيفية ارتباط النبي والإمام بالكون..

كالشمس إذا جلّلها السحاب:

يلاحظ أنَّ الروايات التي تم السؤال فيها عن فائدة ومنفعة الإمام المهدي حال غيبته، قد شبهت بتشبيه واحد وهو أنَّ فائدته فائدة الشمس وإن تجللها السحاب وغطّاها. ويمكن أن يكون هناك عدة أوجه لهذا التشبيه، منها:

١ـ الشمس مركز المنظومة الشمسية.. وفيما يرتبط بدوران الكواكب حولها، وارتباطها بالشمس فإن وجود السحاب قد يمنع شيئا من الضوء عن بعض أجزاء الأرض إلا أنه لا يؤثر قطعا على علاقة الكواكب بالشمس، ومركزية الشمس بالنسبة لها.. وكذلك تكون غيبة الإمام ﷺ. فهي وإن أثرت على ما فيه حاجة الناس للاتصال المباشر كقضايا الأحكام وشبهها، إلا أنَّها لا تؤثّر على بقية أدواره، ولا سيما وجوده المبارك في كونه واسطة الفيض الإلهي، وثبات الأرض التكويني، بالنحو الذي يذهب إليه الرأي الثاني.

٢ـ بل حتى بحسب الارتباط بالأرض فإنَّ هناك آثارًا كثيرة لشروق الشمس على الأرض وأهلها، منها ما يتأثر بتغطية السّحاب للشمس، كالإضاءة والاستنارة، ومنها ما لا يتأثّر.

---

(١) خلفيات مأساة الزهراء ﷺ/ ١/ ٢١٥.

٢/ قيام الحجة لله على الخلق:

قضت سنة الله في خلقه أن يبعث لهم الحجج، لهدايتهم لسبيل الحياة الكريمة، والفوز بالنعيم في الآخرة، ولتكون الحجة البالغة لله عزوجل على الخلق، لو تخلفوا عن طاعته (**رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**)[١]، وقد عبرت الروايات عن ذلك بنصوص كثيرة[٢]، كما أقام علماء الكلام أدلتهم العقلية على ذلك.

وفي دعاء الندبة يردد المؤمنون (ولا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولاً منذرًا، فنتّبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى...)[٣].

فإذا كان الأمر كذلك فما هي ميزة سائر الأزمنة على زماننا حتى يكون لهم حجج الهيون ولا يكون لنا ذلك؟

نعم ورد في الروايات أنَّ الضرورة تقتضي أن يكون حجة موجودًا، إما ظاهر مشهور أو غائب مستور[٤]..

كذلك فإنَّ من مسلّمات المسلمين أنَّ (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية..)، وليس هو أي إمام وإنَّما إمام الزمان.. فهل يتم تخصيص الأكثر بحيث يمر علينا خمسة أضعاف الفترة الإسلامية من غير إمام معروف للناس؟ وكذلك فإنّه يلزم أن الروايات التي تشير إلى أن الثقلين لن يفترقا، وإلى أنه في كل خلف عدول من أهل البيت / ومثل ذلك ما ورد من أن النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الارض.. هل هذا كله مختص بما قبل زمن ٢٥٠ هـ ؟

بل حتى سؤال الغيبة الوارد في الروايات، من قبل الرواة هو معتمد على هذه الأرضية: فعن سليمان الأعمش عن الإمام الصادق ﷺ: (لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها، ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يعبد الله، قال سليمان: فقلت للصادق: فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور ؟ قال ﷺ: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب

٣/ عرض الأعمال على الإمام:

ورد في تفسير آية: فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة.. من طريق

---

(١) النساء ١٦٦٥

(٢) منها ما في الكافي: ما عن أبي جعفر ﷺ قال: قال: والله ما ترك الله أرضا منذ قبض آدم ﷺ إلا وفيها إمام يهتدي به إلى الله وهو حجته على عباده، ولا تبقى الأرض بغير إمام حجة لله على عباده.. وأنه لو لم يبق في الارض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة.. وقد تقدم بعضها في عنوان (لولا الحجة لساخت الأرض): الفساد التشريعي.

(٣) ابن المشهدي: المزار ٥٧٥

(٤) في كلام امير المؤمنين ﷺ قال: (اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهورا أو خائفاً مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته)، والملاحظ أنه جعل خلو الأرض من الحجة (حتى المغمور) سببا لبطلان وضياع أحكام الله وبيناته.

الإمامية ما قاله الشيخ الطبرسي في مجمع البيان: وقيل: أراد بالرؤية ها هنا العلم الذي هو المعرفة ولذلك عدّاه إلى مفعول واحد أي يعلم الله تعالى ذلك فيجازيكم عليه ويراه رسوله أي يعلمه فيشهد لكم بذلك عند الله تعالى ويراه المؤمنون قيل أراد بالمؤمنين الشهداء. وقيل: أراد بهم الملائكة الذين هم الحفظة الذين يكتبون الأَعمال وروى أصحابنا أن أعمال الأمة تعرض على النبي ﷺ في كل اثنين وخميس فيعرفها وكذلك تعرض على أئمة الهدى ﷺ فيعرفونها وهم المعنيون بقوله {والمؤمنون}.

وفي البحث الروائي نقل السيد الطباطبائي في الميزان عن بصائر الدرجات بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر ﷺ قال: سألت عن الأعمال هل تعرض على رسول الله ﷺ؟ قال: ما فيه شك. قال: أرأيت قول الله {اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} فقال: لله شهداء في خلقه.

أقول: وفي معناه روايات متظافرة متكاثرة مروية في جوامع الشيعة عن أئمة أهل البيت ﷺ، وفي أكثرها: أن {المؤمنون} في الآية هم الأئمة، وانطباقها على ما قدّمناه من التفسير ظاهر.

وضمن هذا الاطار فإن الإمامية يعتقدون أن أعمالهم تعرض على إمام زمانهم، وهو الحجة المهدي عجل الله فرجه في هذا العصر.

وقد يؤيده ما ورد في تفاسير أهل السنة في شرح هذه الآية:

قال مجاهد: هذا وعيد، يعني من الله تعالى للمخالفين أوامره بأن أعمالهم ستعرض عليه تبارك وتعالى، وعلى الرسول، وعلى المؤمنين. وهذا كائن لا محالة يوم القيامة، كما قال: (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) [الحاقة: ١٨]، وقال تعالى: (يوم تبلى السرائر) [الطارق: ٩]، وقال (وحصل ما في الصدور) [العاديات: ١٠] وقد يظهر ذلك للناس في الدنيا، كما قال الإمام أحمد:

حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال: " لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة، لأخرج الله عمله للناس كائنا ما كان " ..

وقد ورد: أن أعمال الأحياء تعرض على الأموات من الأقرباء والعشائر في البرزخ، كما قال أبو داود الطيالسي: حدثنا الصلت بن دينار، عن الحسن، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: " إن أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم في قبورهم، فإن كان خيرا استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: " اللهم، ألهمهم أن يعملوا بطاعتك ".

وقال الإمام أحمد: أخبرنا عبد الرزاق، عن سفيان، عمن سمع أنسا يقول: قال النبي ﷺ: « إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيرا استبشروا به، وإن كان غير ذلك قالوا: اللهم، لا

تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا [1].

وجه التأييد: أنه إذا كان الله سبحانه يطلع عامة المؤمنين وهم في قبورهم على أعمال أقاربهم الأحياء في الدنيا، مع أنه لا يترتب أثر واضح على هذا العرض، فإن عرضها على النبي ﷺوهو في قبره وهو الأولى بالناس من أنفسهم أولى، من عرضها على الأقارب، وعرضها على الامام الحي الحاضر، وهو إمام العصر كذلك.

ولذا فمن العجيب أنهم يقبلون بأن أعمال الناس تعرض على أقاربهم والأقارب في البرزخ، بينما يستنكرون أن تعرض على إمام العباد وهو حي يرزق!!

وقد عقد الشيخ الكليني في الكافي بابا بعنوان: عرض الأعمال على النبي والأئمة وأورد فيه عددا من الروايات في هذا المجال: منها: بسند معتبر عن سماعة، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سمعته يقول: مالكم تسوؤن رسول الله ﷺ؟! فقال رجل: كيف نسوؤه ؟ فقال: أما تعلمون أن أعمالكم تعرض عليه، فإذا رأى فيها معصية ساءه ذلك، فلا تسوؤا رسول الله وسروه [2].

ومنها صحيحة يعقوب [3]قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله عز وجل: " اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون" قال: هم الأئمة.

ومنها ما عن عبد الله بن أبان الزيات وكان مكينا عند الرضا ﷺ قال: قلت للرضا ﷺ:

ادع الله لي ولأهل بيتي فقال: أو لست أفعل ؟ والله إن أعمالكم لتعرض علي في كل يوم وليلة، قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عز وجل: « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله والمؤمنون؟ قال: هو والله علي بن أبي طالب ﷺ.

ولا شك أن الأثر التربوي لهذه الفكرة كبير، فإنه بمقدار ما يحب الناس أن يكون ولاؤهم للنبي والامام عظيما، فإذا ربط هذا بان النبي مراقب، والامام ناظر لأعمال هؤلاء الناس فإن إمكانية التزامهم الديني والاخلاقي تكون أكثر .

وقد ورد في روايات أن أعمال الناس تعرض على الإمام ليلة القدر، وربما يكون لهذا الجانب ارتباط بكون أحد أعمال ليلة القدر التوسل بالمعصومين الأربعة عشر إلى الله لقبول الأعمال.

٤/ الشهادة على الخلق، والنظر إلى أوضاع الأمة:

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٠١.

(٢) علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن عثمان بن عيسى.

(٣) عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن عبد الحميد الطائي، عن يعقوب بن شعيب

من الواضح أن للحجج الالهية مقام الشهادة على الناس، فإنهم القدر المتيقن من (لتكونوا شهداء على الناس)، ولهم مقام التوجيه والارشاد إلى الحق، وقد سبق الحديث أن الغياب العنواني لا يمنع من القيام بهذه الأدوار وغيرها، نعم لو كان غيابا جغرافيا وبدنيا، وغيبة كاملة عن المجتمع والناس، فإنه يؤثر.

وما دمنا قد بيّنا أن الغيبة للإمام هي من النوع الأول وكما قال السفير الثاني للإمام (والله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس فيعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه)، بل ورد من طرق كثيرة لا يتسع إحصاؤها ذلك:

فمن ذلك ما رواه أبو نعيم الأنصاري الزيدي أنه في عام ٢٩٣ هـ وبعد طوافه حول الكعبة المشرفة جلس في حلقة من المؤمنين عن يمين الكعبة، فبينما هم جلوس إذ خرج عليه الإمام ﷺ وعليه إزاران محرم بهما وفي يده نعلان، فلما رأوه قاموا جميعاً هيبة له فسلم عليهم وجلس متوسطاً بينهم، ثم التفت يميناً وشمالاً ثم قال ﷺ: (أتدرون ما كان أبو عبد الله ﷺ يقول في دعاء الإلحاح ؟ كان يقول: اللهم إني أسألك باسمك الذي تقوم به السماء وبه تقوم الأرض.. إلى آخر ما ذكره [١].

وقد ورد في الخبر عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله ﷺ أنه قال: (ليفقد الناس إمامهم، يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه [٢].

واشتهر في مؤلفات الإمامية، التوقيع الصادر من الامام المهدي عجل الله فرجه للشيخ المفيد محمد بن النعمان [٣] وفيه عبارات تشير إلى رعاية الإمام لشيعته في زمان غيبته، كما نقله المحدث النوري الطبرسي، في خاتمة المستدرك بطريقه: قال: ورد من الناحية المقدسة في أيام بقيت من صفر سنة عشر وأربعمائة كتاب إلى الشيخ المفيد طاب ثراه، وذكر موصله أنه تحمله من ناحية متصلة بالحجاز. وهذه صورته، نسخة ما ينوب مناب العنوان: للشيخ السديد والمولى الرشيد الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله إعزازه من مستودع العهد المأخوذ على العباد. نسخة ما في الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، سلام عليك أيها الولي المخلص في الدين، المخصوص فينا باليقين، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ونسأله الصلاة على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطاهرين، ولنعلمك – أدام الله توفيقك لنصرة الحق، وأجزل مثوبتك على

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة ٤٧٠.

(٢) الكافي ١/ ٣٣٨ .

(٣) ترجمه الزركلي في الأعلام ٧/ ٢١ فقال: الشيخ المفيد (٣٣٦ – ٤١٣ هـ = ٩٤٧ – ١٠٢٢ م) محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري، يرفع نسبه إلى قحطان، أبو عبد الله، المفيد، ويعرف بابن المعلم: محقق إمامي، انتهت إليه رئاسة الشيعة في وقته، كثير التصانيف في الأصول والكلام والفقه. ولد في عكبرا (على عشرة فراسخ من بغداد) ونشأ وتوفي ببغداد. له نحو مئتي مصنف، منها (الاعلام فيما اتفقت الامامية عليه من الاحكام – ط) و (الارشاد – ط) في تاريخ النبي – ﷺ – والزهراء والأئمة، و الرسالة المقنعة – ط) فقه، و (أحكام النساء – خ) و (أوائل المقالات في المذاهب والمختارات – ط) و (الأمالي – ط) مرتب على المجالس، و (نقض فضيلة المعتزلة) و (إيمان أبي طالب – ط) رسالة، و (أصول الفقه) و (الكلام في وجوه إعجاز القرآن) و (تاريخ الشريعة) و (الافصاح)..

نطقك عنا بالصدق – أنه قد أذن لنا في تشريفك بالكتابة، وتكليفك ما تؤديه عنا إلى موالينا قبلك – أعزهم الله تعالى بطاعته، وكفاهم المهم برعايته لهم وحراسته، فقف أيدك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه – على ما نذكره، واعمل في تأديته إلى من تسكن إليه بما نرسمه إن شاء الله، نحن وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أرانا الله من الصلاح لنا ولشيعتنا المؤمنين في ذلك، ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنا نحيط علما بأنبائكم، ولا يعزب عنا شئ من أخباركم، ومعرفتنا بالأذى الذي أصابكم، منذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا، ونبذوا العهد المأخوذ منهم كأنهم لا يعلمون. وإنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم البلاء واصطلمكم الأعداء،[1]... إلى آخر ما ورد في ذلك التوقيع.

ـ هل يتدخل الإمام الحجة في المسائل الشخصية ؟

طرحت في الفترة الأخيرة كلمات من البعض، تأخذ منحى التشكيك في أن يكون الامام عجل الله فرجه يتدخل في حالات الاضطرار الفردي، كشفاء بعض الأمراض المستعصية أو إرشاد بعض الغرباء والتائهين، وما شابه ذلك.. بالقول بأن نسبة هذا الدور للإمام يعني أن الإمام مؤسسة خيرية (!!).

والحق أن يقال: أننا بعدما سلمنا بأن له إشرافًا، وشهودًا، وتدخلا في الأرض وأنه ليس محجوبا عن التأثير، إلا أننا لا نعلم عن طريقة تدخل الامام في القضايا العامة، لأنه لا سبيل إلى الاطلاع على ذلك، ومن يدّعي ذلك عليه إثباته، فهل نعلم كيف دفع الضر والبلاء عن شيعته في المكان الفلاني ؟ لا سبيل إلى ذلك.

ما يحصل هو أنه في القضايا الشخصية، يتم مساعدة بعض الناس، وإنقاذهم، وإخراجهم من هذا الاضطرار الذي وقعوا فيه، وهم يقومون فيما بعد بالإخبار عن قصصهم وقضاياهم، وربما يكون الامام بنفسه هو المباشر لهذا العمل، أو أحد الموكلين من جهته.. ومع كون الناقلين ثقات في نقلهم، يكون حكم ما يذكرونه من قصص حكم باقي القضايا التي تثبت بنقل الثقة لها، بل أمرها أسهل بكثير مما يقبل فيه إخبار الثقات كالأحكام الشرعية.

لذلك نحن نعتقد أنه لا داعي للتندر بهذا الموضوع، والتعامل معه على أساس أنه نكتة أو طرفة! وكذا لا معنى لتوهين الأمر أيضا، وتقليل قيمته، فإن إنقاذ مؤمن (فرد) مثلا من مرض عضال، أو إعادته إلى دياره، أو تخليصه من سجن طاغية، أو مطاردة حيوان مفترس ليس أمرا قليل القيمة!! ولم يقل أحد أن هذا هو الدور الوحيد للإمام وإنما ما لنا طريق لمعرفته من قِبل صاحب القضية هي هذه المسائل الشخصية، أما المسائل العامة كدفع الحروب أو إنقاذ المجتمعات، أو نصر المذهب الحق في هذا المكان أو ذاك.. فلا سبيل إلى معرفته!

---

(١) خاتمة المستدرك ٣/ ٢٢٥.

شهر رمضان

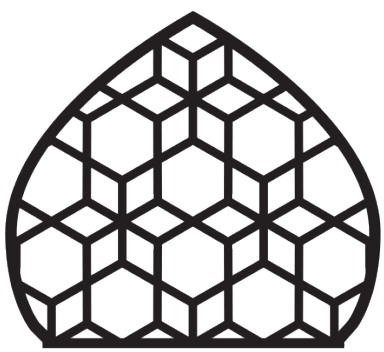

- من بركات الأسحار
- الحاجات الإنسانية في تراث الإمام الحسن عليه السلام
- بدر ومستوى الأمة
- حق الله تعالى في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام

من بركات الأسحار

الشيخ حيدر المؤيد

بحث في دعاء اليوم الثامن عشر من شهر رمضان المبارك

« اللّهُمَّ نَبِّهْنِي فِيهِ لِبَرَكاتِ أَسْحارِهِ، وَ نَوِّرْ فِيهِ قَلْبِي بِضِياءِ أَنْوارِهِ، وَخُذْ بِكُلِّ أَعْضائِي إِلى اِتِّباعِ آثارِهِ، بِنُورِكَ يا مُنَوِّرَ قُلُوبِ العارِفِينَ»[1].

معنى بركات الاسحار

ما هي الأسحار؟

وهل لها بركات؟

ولماذا يطلب الداعي من الله سبحانه أن ينبهه في الأسحار حتى لا تضيع منه بركاتها؟! هذه ما سنتطرق إليه بشكل موجز في هذا البحث.

السحر في اللغة

الأسحار: من السَحَر، وفي الأصل: هي التغطية والإخفاء، ولما كانت الساعات الأخيرة تغطي كل شيء بستار خاص، فقد سميت بالسَحَر ...

والسِّحرْ: بكسر السين من المادة نفسها؛ لأن الساحر يقوم بأعمال تخفي أسرارها على الآخرين.

وقد يطلق العرب اسم (السحر) على الرئة لاختفاء ما فيها[2].

وللأسحار أهمية خاصة في العبادة والتهجد وخصوصاً بالنسبة للدعاء، ويستفاد من الأخبار أن وقت السحر من أفضل أوقات الدعاء ؛ لأنّها تتمتع بمزايا وصفات منها:

١ـ هي الوقت الخاص للراحة الذي يأخذ فيه الإنسان حظه من النوم (حيث جعل الليل وقتاً للراحة والسبات من مشاق العمل اليومي... والاستعداد للنهوض لأداء متطلبات الحياة اليومية في صباح الغد..).

---

(١) البلد الأمين: ص٢٢١، عن النبي صلى الله عليه وآله: (من دعا به أعطي ثواب ألف نبي).

(٢) راجع مجمع البحرين: ج٢ ص٣٤٥ مادة سحر.

قال تعالى: (**جعلنا نومكم سباتاً * وجعلنا الليل لباساً * وجعلنا النهار ومعاشاً**)[1].

فالذي ينهض سحراً للعبادة يكون قد جاهد نفسه جهاداً كبيراً حتى يتمكن أن يقاوم النعاس والنوم.. ولهذا فإن أهل السحر ينبغي أن يتمتعوا بحب عميق وشوق كبير إلى العبادة يدفعهم نحو مقاومة الراحة والخلود إلى النوم ولذلك يحظون أيضاً بمقامات محمودة لا ينالها غيرهم.

٢ـ للأسحار جوانب معنوية مهمة: فإن رهبة الليل وسكونه تلقي بظلالها على النفس فيبقى الإنسان وحيداً لا شاغل يشغله وحينئذ يناجي ربه بكل هدوء ويستغفر ذنوبه..

وقد ذكر القرآن الحكيم كلمة (الأسحار) مرتين وجعلها رابحة وناجحة، متضمنة للبركة والقبول للدعاء والاستغفار والعبادة والمناجاة... فقال تعالى عنها وعن أصحابها: (**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون**)[2].

ولا بأس هنا بأن نلقي بعض الضوء على هذه الآية المباركة، لنعيش شيئاً من جوّها العطر ونرى ماذا يفعل هؤلاء الذين يقومون الليل ولا يهجعون..

فإن (يهجعون): مشتقة من الهجوع ومعناه النوم ليلاً.. قال بعض المفسرين: إنَّ هذا التعبير يدل على أنهم كانوا يقظين يحيون أكثر الليل أو يحيون الليل بكامله ولا ينامون إلا قليلاً..

أو أنهم في أكثر الليالي يقظون منشغلون بالعبادة وصلاة الليل. أما الليالي التي يرقدون فيها حتى مطلع الفجر.. وتفوت عليهم العبادة فيها كلياً فهي قليلة جداً...[3].

وهذا التفسير منقول عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول عنهم: (كانوا أقل الليالي تفوتهم لا يقومون فيها..) [4].

وقال تعالى في سورة الذاريات: (**وبالأسحار هم يستغفرون..**)[5].

وقال تعالى سبحانه في سورة آل عمران: (**والمستغفرين بالأسحار**)[6].

نعم: في أواخر الليل.. وعند السحر.. أي عندما يسود الهدوء والصفاء، وحين يغط الغافلون في نوم عميق وتهدأ ضوضاء العالم المادي.. يقوم ذوو القلوب الحية اليقظة فيذكرون الله ويطلبون المغفرة منه... وهم ذائبون في

---

(١) سورة النبأ: ٩-١١.

(٢) سورة الذاريات: ١٧-١٨.

(٣) راجع تفسير الطبرسي: ج٥ ص١٥٥.

(٤) راجع تفسير الطبرسي: ج٥ ص١٥٥.

(٥) سورة الذاريات: ١٨.

(٦) سورة آل عمران: ١٧.

حب الله وجلاله حيث تلهج ألسنتهم بذكر الله: يقول الإمام أمير المؤمنين ﷺ: (واجعل لساني بذكرك لهجاً)[1].

فكل ذرة من وجودهم.. توحد الله وتذكره..!

نعم: ينهضون ويقفون بين يدي الله عزوجل ويعربون له عن حاجتهم وفاقتهم يصفون أقدامهم ويصلون ويستغفرون..

يا لها من لحظات عظيمة أو ساعات مباركة!

ويعتقد كثير من المفسرين أن المراد من الاستغفار هنا هو صلاة الليل لأن ركعة (الوتر) منه مشتمل على الاستغفار[2].

وعن النبي ﷺ قال: (**إن آخر الليل في التهجد أحبّ إليّ من أوله.. لأن الله يقول: (وبالأسحار هم يستغفرون)**[3][4].

وعن الإمام الصادق ﷺ يقول: (كانوا يستغفرون الله في الوتر سبعين مرة في السحر)[5].

إذاً هناك بركة خاصة في الأسحار، ولعله من هنا قال تعالى: (إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر)[6]، فكان النجاة في السحر.

وعن الإمام الصادق ﷺ أيضاً: (من قال في وتر ه إذا أوتر: استغفر الله وأتوب إليه، سبعين مرة، وداوم على ذلك سنة كتبه الله من المستغفرين بالأسحار)[7].

لماذا الاستغفار في الأسحار

ربما يخطر على البال السؤال التالي: لماذا يشار إلى (السحر) من بين جميع ساعات الليل والنهار مع أن الاستغفار وذكر الله مطلوبان في كل وقت؟

والجواب: لأن الساعات هذه.. هي التي يحرز فيها التوجه نحو الله تعالى بشكل أفضل، باعتبار أن هذه الساعات يتوفر فيها الاستعداد المناسب لبيان الحاجة مع حضور القلب وصفاء الفكر وانصراف الذهن إليه سبحانه لا إلى غيره.

---

(١) مفاتيح الجنان: دعاء كميل، عن مصباح المتهجد: ص٨٤٨.

(٢) تفسير الأمثل: ج١٧ ص٨١.

(٣) سورة الذاريات: ١٨.

(٤) الدر المنثور: ج٦ ص١١٣.

(٥) مجمع البيان: ج٩ ص١٥٥.

(٦) سورة القمر: ٣٤.

(٧) بحار الأنوار: ج٨٤ ص٢٠٥ .

وقد أشار عزوجل إلى أهمية حضور القلب في آيات القرآن الكريم مراراً، وخصوصاً الآيات التي يذكر فيها الصلاة.. باعتبارها أبرز مظهر من مظاهر العلاقة مع الله تعالى..

قال عز وجل: **(الذين هم في صلاتهم خاشعون)**[1].

صلاة الليل

ومن أهم الأعمال في الأسحار: صلاة الليل.. فهي صلاة العاشقين..!!

صلاة الليل من الصلوات المستحبة والنافلة إلا أن القرآن عدها وسيلة لبلوغ المقام المحمود عند الله سبحانه يلازم كثيراً من الخيرات والبركات، ومنها الدعوة المستجابة والعبادة المقبولة.

قال تعالى: **(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً)**[2].

وتهجد[3]: على وزن تفعل، فإنها تعني إزالة النوم والانتقال إلى حالة اليقظة... وهي إشارة واضحة إلى صلاة الليل.. حيث يقال المتهجد: للذي يصلي صلاة الليل...

فيحث القرآن على صلاة الليل، ويقول: (نافلة لك) علاوة على الفرائض اليومية حيث الآية تعني الرسول الأكرم ﷺ كمصداق أكمل، وكما ذكره الفقهاء فإنّ وجوب صلاة الليل والتهجد كان من اختصاص رسول الله ﷺ إلا أن دلالة هذه الآية على رجحان صلاة الليل لا تختص به ﷺ لأن المورد لا يخصص الوارد كما يقول به الأصوليون.

وعلى العموم.. فهي برنامج روحي رفيع.. ينال صاحبه المقام المحمود، والمقام المحمود على بعض الآراء هو مقام القرب والدنو إلى ساحة الربوبية، وقد أشارت بعض الروايات المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام إلى تفسير المقام بمقام الشفاعة الكبرى. حيث إنَّ النبي ﷺ هو أكبر الشفعاء في ذلك العالم وشفاعته تشمل العصاة والمذنبين من أمته.

عندما يرخي الليل سدوله

دخل ضرار بن ضمرة الضبابي وهو من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على معاوية فسأله أن يصف علياً عليه السلام فذكر ضرار جانباً من صفات الإمام في الليل ووصف قيامه وصفاً جعل معاوية على ما فيه من قساوة القلب والعداء يبكي على الإمام وتسيل دموعه وهو يقول: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك... قال ضرار: (فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول: يا دنيا.. يا دنيا إليك عني، أبي تعرضتِ! أم إليّ تشوقت.. هيهات هيهات

---

(١) سورة (المؤمنون): ٢ .

(٢) سورة الإسراء: ٧٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ج٦ ص٣٢ .

لا حان حينك، غرّي غيري.. لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير، واملك حقير.. آه.. آه من قلة الزاد وطول الطريق وبعد السفر وعظيم المورد..)[1].

إن ساعات السحر هي ساعات لقاء الحبيب بحبيبه!! ساعات العبادة.. وفي الحقيقة لا ينال هذا التوفيق إلا ذو حظ عظيم!! حيث الأرواح زكية، والأذهان صافية خالية من منغصات الحياة اليومية وتعبها.

صلاة الليل وأثرها على الإنسان

صلاة الليل هي عبادة روحية.. ذات برامج عالية المضامين وجمة الفوائد للإنسان.. حيث إنها تتمتع بنكهة تربوية خاصة، فإنَّ الليل المصفاة لسائر أعمال اليوم.. لذا كان النبي ﷺ يحث المسلمين على المواظبة على هذا البرنامج الروحي.. والفائدة المتوخاة منه لبناء الشخصية وتطهيرها من الدّنس والذّنوب والخطايا، لأنّ النفس كلما قلت ذنوبها وخطاياها كلما سمت وارتفعت وقربت من الله عزوجل.

ويمكن لكل إنسان الاستفادة من هذا البرنامج التربوي الروحي العظيم.

ومن المناسب هنا ذكر مجموعة مستقاة من روايات أهل البيت عليهم السلام حيث توضح أهمية هذه الفضيلة العظيمة وكيف كان الرسول الأكرم ﷺ يحث عليها أصحابه ويشوقهم لها.

فعن النبي ﷺ قال: (خيركم من أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام..)[2].

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (قيام الليل مصحة للبدن ومرضاة للرب عزوجل وتعرّض للرحمة وتمسك بأخلاق النبيين)[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام وهو يحث أحد أصحابه بقوله: (لا تدع قيام الليل فإن المغبون من حرم قيام الليل)[4].

وعن النبي ﷺ: (من صلى بالليل حسن وجهه بالنهار)[5].

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال له: إني قد حرمت من الصلاة بالليل، فأجابه عليه السلام: (أنت رجل قد قيدتك ذنوبك)[6].

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ٧٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٨٤ ص١٤٢ .

(٣) المصدر نفسه: ج١٠ ص٨٩.

(٤) المصدر نفسه: ج٨٤ ص١٤٦.

(٥) بحار الأنوار: ج٨٤ ص١٤٨.

(٦) المصدر نفسه:: ج٨٤ ص١٤٥.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صلاة الليل، فإذا حرم بها صلاة الليل حرم بها الرزق)[1].

وبالرغم من أننا نعلم أن شخصاً مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لا يترك صلاة الليل مطلقاً بل كان يصلي ألف ركعة في ليلة واحدة، ولكن نظراً لأهمية هذه الصلاة نرى رسول الله صلى الله عليه وآله أوصاه بها في جملة من وصاياه صلى الله عليه وآله حيث قال: (أوصيك في نفسك بخصال احفظها، ثم قال: اللهم أعنه.. وعليك بصلاة الليل.. وعليك بصلاة الليل.. وعليك بصلاة الليل..!!)[2].

والظاهر أن وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام مع أن الإمام عليه السلام كان قائم الليل وصائم النهار، إما للإشارة إلى الواقع وبيان فضيلة هذه العبادة، وإما لتعليمنا وتوجيهنا إليها وذلك من باب (إياك أعني واسمعي يا جارة) وهناك احتمالات أخرى لا مجال هنا لتفصيلها.

وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال لجبرائيل عليه السلام: عظني، فقال جبرائيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: (يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزُّه استغناؤه عن الناس)[3].

ولعل هذه الوصايا التي ذكرها جبرائيل عليه السلام تدل على أن صلاة الليل تربي الإنسان على ترك أذية الناس التي هي سبب عزه ورفعته في المجتمع، فهناك ترابط وثيق بين الجملتين.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (ثلاثة هن فخر المؤمن وزينه في الدنيا والآخرة: الصلاة في آخر الليل، ويأسه مما في أيدي الناس، وولاية الإمام من آل محمد)[4].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (ما من عمل حسن يعمله العبد إلا وله ثواب في القرآن إلا صلاة الليل، فإن الله لم يبين ثوابها لعظيم خطرها عنده فقال: **(تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون)**[5][6].

من وحي التاريخ

نقل عن آية الله الشيخ جعفر كاشف الغطاء (رحمه الله) أنه كان يوقظ ابنه سحراً لصلاة الليل ولزيارة حرم

---

(١) بحار الأنوار: ج٨٤ ص١٤٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج٥ ص٢٦٨.

(٣) المصدر نفسه:: ج٥ ص٢٧٤ .

(٤) بحار الأنوار: ج٧٢ ص١٠٧ .

(٥) سورة السجدة: ١٦-١٧.

(٦) بحار الأنوار: ج٨٤ ص١٤٠.

مولانا أمير المؤمنين ﷺ وكان ولده شاباً يحب أن ينام فيتكاسل عن الذهاب مع والده إلى الحرم.

وفي ليلة عندما أيقض ولده في السحر وخرجا إلى الحرم والولد في حالة الكسل مفرط، فلما وصلا إلى باب الصحن الشريف وإذا برجل فقير جالس وهو يمد يده مستجدياً المال من الناس.. فالتفت الشيخ جعفر إلى ولده وقال لولده: من هذا؟ وماذا يريد؟

قال ابنه: هذا فقير جالس هنا ليأخذ من الناس شيئاً من المال!!

فقال الأب: كم يعطى له؟

فقال الابن: درهماً واحداً..

فقال الشيخ: فكّر يا بني جيداً وانظر إلى هذا الرجل الذي جلس في هذه الزاوية وفي هذا الوقت من الليل وقد ترك لذة النوم ابتغاء الحصول على مبلغ زهيد جداً ومدّ يد التذلل للناس.. أفلا تكون يا بني بمثل هذا الشخص في اعتمادك على ما وعد الله سبحانه المستغفرين بالأسحار والمتهجدين بالأذكار والله سبحانه يقول: (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون)[1].

قيل: فاهتز الولد من أعماقه وتنبه إلى درجة أن حظي إلى آخر عمره بقيام الليل ولم يترك صلاة الليل بعدئذٍ أبداً.

فصلاة الليل برنامج روحي وتربوي لا غنى للإنسان عنه، وله آثار عظيمة على دنيا الإنسان وآخرته، ولذا نجد النبي ﷺ وأهل بيت العصمة ﷺ يشوقون ويرغبون إليها لعلنا ننعم بالتوفيق الإلهي لهذه العبادة العظيمة ونحصل على بركاتها ونصبح من أولئك الذين وصفهم الشاعر بقوله:

لله قوم إذا ما الليل جنَّهم قاموا من الفرش للرحمن عبّادا

ويركبون مطايا لا تملهم إذا هم بمنادى الصبح قد نادى

هم إذا ما بياض الصبح لاح لهم قالوا من الشوق ليت الصبح قد عادا

ومن هنا ورد في هذا الدعاء دعاء اليوم الثامن عشر عن رسول الله ﷺ: (اللهم نبهني فيه لبركات أسحاره) ثم يلحقه بقوله: (ونور فيه قلبي بضياء أنواره).

حينما يجن الليل تخيم على الوجود ستارة سوداء فتعيش الموجودات ساعات حالكة وتغط في نوم عميق... فتتوقف الحياة وتسكن الحركة نسبياً.. الكل نيام.. الكل في سبات إلا أولياء الله.. ذوو القلوب المبصرة.. فهي مشاعل مضيئة تضيء صفحة الوجود، وما لا يمكن رؤيته بالنور الحسي، فنور القلب هو ضياء يسطع بداخله ويستطيع صاحبه النظر من خلاله للأشياء.. وكأنَّما هناك أشعة تشرق من هذه القلوب فتخرق الأشياء وتكشف ما وراءها..

---

(١) سورة السجدة: ١٧.

وهذا النور تبعثه وتحييه العبادات، خصوصاً عبادات الليل: من صلاة ودعاء ومناجاة وابتهالات مفعمة بخلوص النية والتوجه والارتباط بالله سبحانه وتعالى..

لذا بعد أن يطلب الداعي من الله سبحانه أن يوفقه لبركات الأسحار يطلب أيضاً أن يعطيه آثار هذه البركات، ومن أهم هذه الآثار تنوير القلب والروح حيث يقول: (ونوّر فيه قلبي بضياء أنواره).

والنور من أسماء الله الحسنى، وهو من أسماء الصفات على رأي البعض ومن أسماء الأفعال على رأي آخرين، وقد أكد القرآن هذه السمة الإلهية في آيات عديدة وهناك سورة في القرآن بهذا الاسم وهي سورة النور.

قال تعالى: (**الله نور السماوات والأرض**)[1].

وقال عزوجل: (**يهدي الله لنوره من يشاء**)[2].

وقد ذكرت كلمة النور بمختلف اشتقاقاتها في القرآن عشرات المرات، فكلمة (النور) ١٣ مرة، وكلمة (نوراً) ٩مرات، وكلمة (نور) ١٠ مرات، وكلمة (لنور) مرة، وكلمة (نورنا) مرة، وكلمة (بنورهم) مرة، وكلمة (نوره) ٣مرات وكلمة (نورهم) ٣مرات، وكلمة (نوركم) مرة، وكلمة (لنوره) مرة..

وأما في الروايات والأدعية الواردة عن المعصومين ﷺ فاستخدم هذا الاسم كثيراً، منها قول سيد الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في دعاء كميل: (وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء)[3].

وفي دعاء السمات أيضاً: (وبنور وجهك الذي تجليت به للجبل فجعلته دكاً وخرّ موسى صعقاً)[4].

على ضفاف آية النور

وربما يخطر على البال هذا السؤال وهو ما معنى النور؟

لقد تحدثت الآيات فقالت: (**الله نور السماوات والأرض**)[5].

فما أحلى هذه الجملة! وما أثمنها من كلام! (**الله نور السماوات والأرض**) .

نعم لا يشرق في العالم إلا نور الله ونور رحمته الواسعة ونور عظمته الشاملة، النور الذي يغمر كل ما في الكون ويضيء كلما في الوجود (**فتبارك الله أحسن الخالقين**)[6].

وكلمة (النور) أعطاها المفسرون معانٍ عدة فلم يحصروها في معنى واحد، وربما ذلك هو الأصوب باعتبار

---

(١) سورة النور: ٣٥.

(٢) سورة النور: ٣٥.

(٣) مفاتيح الجنان: دعاء كميل، عن مصباح المتهجد ص ٨٤٨ دعاء الخضر .

(٤) مفاتيح الجنان: دعاء السمات.

(٥) سورة النور: ٣٥.

(٦) سورة (المؤمنون): ١٤.

أنّ جميع ما ذكروه صحيح يمكن الجمع بينها، وذلك باعتبار أنّ مفهوم النور أوسع وإن كان المصداق يختلف من آية إلى أخرى...

وهكذا الكلام في بعض الروايات، حيث فسرت النور بمعانٍ مختلفة والظاهر أن اختلاف التفسير ليس لاختلاف المفاهيم والمعاني وإنما ذلك إما من باب بيان المصداق الكامل والأكمل وإما بيان المراتب، إذ النور حقيقة مشككة لها مراتب عديدة، فكل تفسير يشير إلى مصداق أو رتبة..

ولتوضيح المطلب لابد أن نأخذ بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر:

١. ورد النور بمعنى القرآن الكريم كما في قوله تعالى: **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)**[١].

وقوله تعالى: **(واتبعوا النور الذي أنزل معه... أولئك هم المفلحون)**[٢].

٢. وجاء بمعنى (الإيمان).. كما في قوله تعالى: **(الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور)**[٣].

٣. كذلك جاء بمعنى الهداية الإلهية والقلب المنور أو ما أشبه كما سأل ذلك الداعي في دعائه المذكور، والذي نحن بصدد شرحه وتوضيحه.

كما في قوله تعالى: **(أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها)**[٤].

فالنور الذي يمنح القلوب الرؤية الحقيقية، الرؤية الواسعة لتتجاوز الأطر المادية وتخرق جدران عالم المادة إلى عالم أرحب وأوسع، هو الإيمان، فإنه يرفع من العين أغشية الأنانية والتعصب والمعاندة والأهواء، وبالتالي يريه حقائق لم يكن قادراً على رؤيتها وإدراكها من قبل، لذا نقرأ في الأحاديث إن (المؤمن ينظر بنور الله) [٥]. ولعله يكون إشارة إلى هذه الحقيقة.

ثم إن مجرد الوصف الظاهري غير كافٍ لتبيان حقائق وخصائص تلك الرؤية الإيمانية، والتي هي هبة إلهية عظيمة وتوفيق عظيم لا يناله إلا الأوحدي الذي تنور قلبه بالإيمان.

وقد استعمل كلمة (النور) في بعض الآيات في قبال الظلمات، ولكن النور الذي يهدي المؤمنين إلى حقائق الأشياء جاء بصيغة المفرد، بينما (الظلمات) التي يعيشها الكافرون جاءت بصيغة الجمع، ولعل هذا يؤكد ما قلناه من أن معنى النور واحد ولكن مصاديقه تختلف، فإنَّ الإيمان الذي هو نور من الله عز وجل له حقيقة

---

(١) سورة المائدة: ١٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٣) سورة البقرة: ٢ ٥٧.

(٤) سورة الأنعام: ١٢ ٢ .

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٦١.

واحدة، ويتلخص بالوحدة والتوحيد، بينما الظلمات والكفر فهو مدعاة للتشتت والتفرقة..

ولعل من هنا نعرف السر الذي دعا ذلك الداعي ليطلب النور!!

ثم إنّ هنالك بعض الصور والمصاديق للنور غير ما ذكرناه نبينه ليتسع المعنى أكثر.

فيأتي النور أيضاً بمعنى الدين الإسلامي بشكل أعم كما في قوله تعالى: (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)[1].

وجاء النور وصفاً لرسول الله ﷺ: كما في قوله سبحانه: (وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً)[2].

بل النور يشكل جوهر أرواح أوليائه الطاهرين عليهم السلام كما جاء في زيارة الجامعة: (خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين)[3].

وقول رسول الله ﷺ: (كنت نوراً وآدم بين الماء والطين)[4].

وكذلك ورد في زيارة الجامعة أيضاً: (وأنتم نور الأخيار وهداة الأبرار)[5].

وهذا يدل على أنهم عليهم السلام نور للأخيار وطريق مضيء للمؤمنين يقتدون بهم ويتعلمون منهم... وقد جاء أيضاً في الزيارة الجامعة إن كلامهم عليهم السلام نور، لأنه يهدي إلى الحق، قال عليه السلام: (كلامكم نور وأمركم رشد)[6]، فهم نور من نور، ونور على نور (عليهم أفضل الصلاة والسلام).

وجاء النور أيضاً بمعنى (العلم والمعرفة)، كما في الحديث الشريف عن النبي ﷺ: (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء)[7].

وللنور خصائص

لقد امتاز النور بخصائص كثيرة، نشير إلى بعضها ليتضح المعنى أكثر فأكثر، وهذه خصائص علمية مهمة، منها:

١ـ النور أجمل الأشياء وألطفها، وهو مصدر لكل جمال.

٢ـ النور أسرع الأشياء، كما ثبت ذلك عند العلماء ذوي الاختصاص، فبإمكانه الدوران حول الأرض سبع

---

(١) سورة التوبة: ٣٢.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٦.

(٣) مفاتيح الجنان: الزيارة الجامعة الكبيرة. وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص ٢٧١-٢٧٥.

(٤) راجع غوالي اللئالي: ج٤ ص١١٢، وفيه: (كنت نبياً...). وراجع الإقبال: ص٥٠٨.

(٥) مفاتيح الجنان: الزيارة الجامعة الكبيرة. وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢٧٦.

(٦) مفاتيح الجنان: الزيارة الجامعة الكبيرة. وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢ ص٢٧٧، ومن لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٦١٦.

(٧) راجع تفسير الأمثل: ج١١ ص٩٠.

مرات في طرفة عين (أقل من ثانية).

٣ـ والنور.. لا تستقيم الحياة بدونه، فضوء الشمس الذي يعد من أهم مصادر النور المادي، هو رمز لبقاء الكائنات الحية، ولا يمكن لمخلوق أن يعيش بدونه، سواء استفاد منه بشكل مباشر أو غير مباشر.

٤ـ النور مصدر للكثير من أنواع الطاقة والفاعليات: كالريح، وسقوط المطر، وحركة الأنهار والشلالات وغيرها..

حتى أن كثيراً من أنواع الحرارة المستخدمة للتدفئة والطبخ وغيرها من الاستخدامات المختلفة مصدرها الشمس كما يقولون..

فالنور بركة من بركات الله العظيمة على الناس.

فمن هذه المقدمات المشار إليها يمكن معرفة بعض فوائد النور ولو جزئياً!!

لذا فلا يمكن حصر معنى النور وفائدته وتخصيصها في جانب دون آخر.

فكل الأشياء مرتبطة بالله تعالى وهو سبحانه المفيض لها بهذا النور وبهذه الرحمة والبركة.. والتي لولاها لكان الناس عدماً غير متلبسين بالوجود.

فالقرآن نور، لأنه كلام الله.. والدين الإسلامي نور، لأنه دين الله.. والأنبياء أنوار الله، لأنهم رسله.. والأئمة ﷺ أنوار الله، لأنهم أولياء الله وحفظة دينه.. والإيمان نور، لأنه حبل التعلق بالله تعالى.. والعلم نور؛ لأنه السبيل إلى معرفته عزوجل، لهذا فالله نور السماوات والأرض لأن كل نور في السماوات والأرض فهو منه.

فالنور بمعناه الأوسع يشمل كل هذا وأكثر.. لذا عرفوه بأنه (الظاهر بنفسه والمظهر لغيره).

وقد جاء في بعض فقرات دعاء الجوشن الكبير: (يا نور النور، يا منور النور، يا خالق النور، يا مدبر النور، يا مقدر النور، يا نور كل نور، يا نوراً قبل كل نور، يا نوراً بعد كل نور، يا نوراً فوق كل نور، يا نوراً ليس كمثله نور)[1].

وبهذه تأخذ أنوار الوجود نورها من نوره عزوجل وتنتهي إلى نوره سبحانه وتعالى، فهو المبدأ والمنتهى.. وهو نور السماوات والأرض...

تجليات نور الله

وهناك تجليات ومصاديق للنور الإلهي والقرآن الكريم يشير لبعض هذه الحقائق بمثال رائع ودقيق حيث يقول: **(مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة**

(١) مفاتيح الجنان: دعاء الجوشن الكبير: الفقرة (٤٧) عن البلد الأمين: ص٤٠٦.

مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم)[1].

وعلى الرغم من اختلاف المفسرين في تفسير هذه الآية، إلا أننا قد ذكرنا بأن معنى النور لا يمكن حصره بمصداق واحد، فالمصاديق كثيرة، فقد ورد في الروايات المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير هذه الآية إشارات إلى بعض المصاديق المهمة نشير إلى بعضها:

فالمشكاة: قلب النبي صلى الله عليه وآله، والمصباح نور العلم، والمصباح في زجاجة: علم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قلب علي عليه السلام والشجرة المباركة إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يرجع نسب النبوة إليه[2].

وفي تفسير آخر لها عن الإمام الباقر عليه السلام: (إن المشكاة نور العلم في صدر النبي والزجاجة صدر علي... ونور على نور إمام مؤيد بالعلم والحكمة في أثر الإمام من آل محمد وذلك من لدن آدم إلى أن وقت قيام الساعة، هم خلفاء في أرضه وحجج على خلقه، لا تخلو الأرض في كل عصر من واحد منهم)[3].

وفسر في حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام: المشكاة بفاطمة عليها السلام، والمصباح بالحسن عليه السلام والزجاجة بالحسين عليه السلام [4].

يقول الفخر الرازي في تفسيره[5]: (نور على نور) الآية: إنها إشارة إلى تجمع شعاع النور وتراكمه، حيث ذكر حول المؤمن (يقف المؤمن بين أربعة مواقف: فإذا وهبه الله شكر، وإذا أصابته مصيبة صبر وحمد، وإذا تكلم صدق، وإذا حكم بين اثنين عدل، وهو إنسان واعٍ بين جهلة، ومثله كحي بين أموات إنه يسير بين خمسة أنوار: كلامه نور، عمله نور، مدخله نور، مخرجه نور، مصيره إلى النور أي الله إلى يوم القيامة).

ومن تلك المعاني والإيضاحات نجد بأن النور الإلهي لو تركز في القلب أصبح كل أفعال العبد يعمل بفيض وإشعاع ذلك النور، فتصبح الجوارح منضوية تحت ذلك النور..

قال الإمام الباقر عليه السلام في دعائه الوارد في أسحار شهر رمضان المبارك: (اللهم إني أسألك من نورك بأنوره وكل نورك نيّر.. اللهم إني أسألك بنورك كله..) [6].

ومن هنا ينبغي أن نسأل الله سبحانه أن ينور قلوبنا بحبه ومعرفته والتمسك بحبله والاقتداء بسنن نبيه

---

(١) سورة النور: ٣٥.

(٢) راجع تفسير نور الثقلين: ج٤ ص٢٨٩.

(٣) تفسير نور الثقلين: ج٤ ص٢٨٩.

(٤) راجع الصراط المستقيم: ج١ ص٢٩٦.

(٥) تفسير الرازي: ج٢ ٣ ص٢ ٣٦.

(٦) مفاتيح الجنان: دعاء الباقر عليه السلام في أسحار شهر رمضان، عن الإقبال: ص١٠٠.

وأوليائه الطاهرين عليهم السلام لنعيش النور في دنيانا وأخرانا... ونسأله تعالى أن ينور قلوبنا في شهر رمضان بأنوار هذا الشهر المبارك، فتبين من هذا الدعاء أن لهذا الشهر العظيم أنواراً خاصة.

اتباع الآثار المباركة

ويترتب على هذا الطلب من الله تعالى آثار النور على حياتنا وعيشنا، وإلا فالذي يعيش بجنب النور ولا يستفيد منه ولا ينعم ببركاته وآثاره لهو من الخاسرين حقاً، وربما من هنا أكمل النبي صلى الله عليه وآله دعاءه في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان بقوله:

(وخذ بكل أعضائي إلى اتباع آثاره) أي آثار شهر رمضان المبارك، فاتباع آثاره يكون بكل الأعضاء الظاهرة والباطنة، حتى تكون دعوة صادقة إلى الله وتوجب تنزيه أعضاء الإنسان من المعاصي وارتكاب الأخطاء... فنور اليد أن لا تسرق ولا تظلم، ونور اللسان أن يتكلم الإنسان بما يرضي ربه ولا يكذب ولا يغتاب، ونور العين أن يحفظها من الخيانة.. وهكذا.

ولأنَّ هذا أمر ليس سهلاً بل يحتاج إلى توفيق وعناية ربانية خاصة يسأله العبد في خاتمة دعائه باسم النور الذي هو سبيل كل ذلك فيقول: (بنورك يا منوّر قلوب العارفين).

إذ لولا نور الله وهدايته لم يصل الإنسان إلى هذا التوفيق يوماً، لأنّ الإنسان محدود، والمحدود ولا يمكنه أن يحيط بكثير من الأشياء، وقد ورد في الأدعية: (الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) [1].

العرفان الحقيقي

وتبقّى هنا التفاتة دقيقة حيث ورد في الدعاء: (يا منور قلوب العارفين) فيستفاد من ذلك أن العرفان الحقيقي هو سلوك الطريق الذي أمر به الله عزوجل وبينه رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومون عليهم السلام، والعرفان الصحيح هو النور الذي ينور الله به قلوب المؤمنين، أما ما يدعى اليوم من العرفان فهو اسم على غير مسمى، فالعارف الحقيقي هو من يطيع الله ويستفيد من نور شهر رمضان المبارك، لأنَّ لهذا الشهر نور روحاني خاص يدفع الإنسان نحو الطاعة ويطرد من قلبه ظلمات المعصية ولعل من هذا الباب ورد في الأخبار (الصوم جنة من النار)[2] لأن القلب الذي يعتمد بالأنوار الإلهية لا تدخله ظلمات الشياطين.. نسأل الله عزوجل أن يجعلنا ممن يستفيد من نور هذا الشهر المبارك.

---

(١) الإقبال: ص٤٠٧.

(٢) فضائل الأشهر الثلاثة: ١١٩.

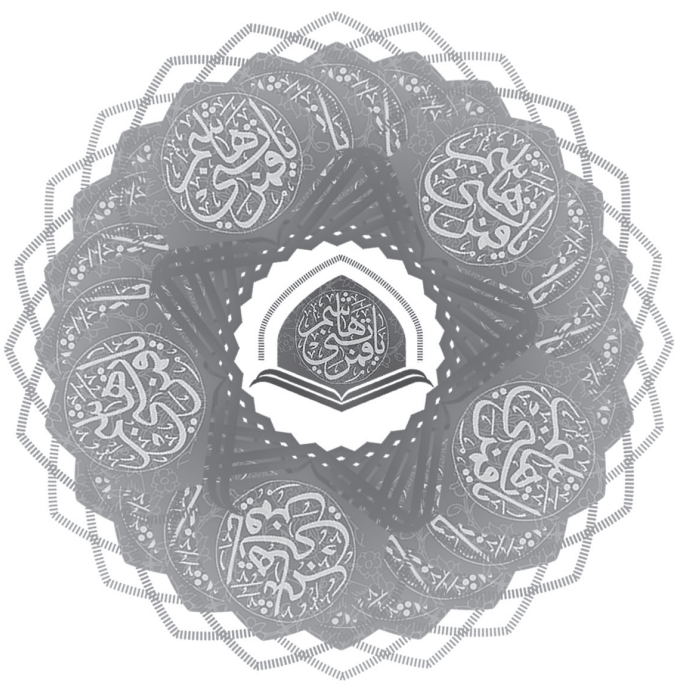

الحاجات الإنسانية في تراث الإمام الحسن عليه السلام

الأستاذ يوسف مدن

اقتضت حكمة الخلق الإلهي أن يكون الإنسان مخلوقاً ناقصاً في قبال الكائن الأعلى الكامل وهو الله سبحانه تعالى، ولا ينفرد الإنسان بطبيعته الناقصة دون سائر المخلوقات والكائنات التي تحتضنه ويحتضنها في علاقات تفاعلية هي الأخرى من مقتضيات الخلق الإلهي وحكمته، وإنما يمتد ذلك إلى نظام المخلوقات بأسرها دون استثناء، فكل مخلوقات الله سبحانه وتعالى في كونه الواسع ذات طبيعة ناقصة، ويعتريها الضعف وعدم الاكتمال، ولم يميِّز الله سبحانه مخلوقاً في هذا الشأن دون غيره وإنْ ميَّز - بحكمته أيضاً - عباده البشر بخصائص لا تتوافر في سائر المخلوقات كقدرتهم على التفكير والتعقل، وقدرتهم كذلك على النطق أو استخدام اللغة الناطقة، والخلق النبيل الكريم .

وإذا كانت طبيعة الإنسان -كمخلوق متميِّز- النقص والضعف كما صرحت نصوص قرآنية كثيرة فإنَّه يولد كائناً ناقصاً محتاجاً لربه، بل ومحتاجاً لأخيه الإنسان، ويعيش وفق هذا النظام البشري محتاجاً في عالمه الخاص، وفي علاقته بالكون والمجتمع وأخيه الإنسان، ثم يطوي حياته وهو بحاجة لعون كل من يحيط به أسوة بجميع المخلوقات التي هي الأخرى تحتاج إلى بعضها ولدعم الإنسان نفسه، ويشهد على هذا النقص شواهد كثيرة كمرضه وفقره وحزنه وتشاؤمه وسوء تفكيره و ضعف قدرته على تدبير أمره، وعدم قدرته على الإنجاب أحياناً، وموته، بل وتعفن جسده ما لم يُوَارَى التراب كما حكا ذلك القرآن الكريم في آيات قرآنية خمس من (٢٧ - ٣١) من سورة المائدة المباركة.

ولهذه الحاجة حكمة ربانية بأن يشعر بأنّه مخلوق إلهي يحتاج لربّه سبحانه وتعالى، والرغبة في التواصل مع الأشياء المحيطة به سواء كانت من طبيعة جنسه كالكيان الإنساني أو من أصناف النباتات أو من الأشياء وسائر الكائنات الجامدة العجماوات، فالله تبارك وتعالى كنز مخفي أراد من خلقه أن يعرفه مخلوقاته، وأن يدركوا أنّهم مخلوقون ناقصو في طبائعهم وتركيبتهم، وأنّه في نظره الكائن الكامل الأعلى.

إنَّ الحاجة -بمقتضى الخلق الإلهي- جزء من التركيبة الفطرية للكائن الآدمي وتكوينه الداخلي منذ بدايات

التاريخ الإنساني، وما تزال حاجته مركوزة وقائمة في كيانه الذاتي، فأول مشهد للحاجة والعجز وطلب الدعم والمعونة من خارج ذاته أن الله سبحانه وتعالى أمده بكل مقومات حياته في فترة ما قبل وجوده بعالمنا الدنيوي، أي في فترة الحمل نفسها التي تستمر لأشهر تسعة، وكذلك في أثناء حياته بعد ولادته، وفي أثناء موته، وما بعد موته، وفي يوم الحساب الأكبر، فالعجز "سمة الإنسان" في كل مراحل حياته ومماته، ومظهر كامن في كينونته بإرادة الله الخالق سبحانه، ولهذا وضع سبحانه تشريعات تنتظم عليها حياة الإنسان وتضبط مسيرته وتحميه من غوائل نواقصه، فأنزل عليه وفرة وافرة من النعم وسخر له مخلوقات متعددة في الكون، وأمده بأسباب الحياة حتى موعد محدد ثم ينقله لعالم آخر مع بقاء طبيعته الناقصة جزءًا من كيانه، وقد أثرى الله حياة الإنسان بمرشدين وقادة وأنبياء يلهمونه القدرة على الاكتمال أو السعي إليه.

من هؤلاء القادة العظام سيدنا الإمام الحسن الزكي بن علي ﷺ، وهو من رجال الله وعباده الذين بحاجة لربهم تعالى، فقد سخر ﷺ كثيراً من أقواله ونصوصه في مسألة الحاجات الإنسانية وعلاقتها بإشباع ما يريده الإنسان في جوانب كثيرة من شخصيته للبقاء ولحفظ نوعه، وبالتأكيد لا أحد من الباحثين يتوقع أن يتحدث عنها في نصوصه بطريقتنا المنهجية والتنظيمية، وإنَّما تتفرق كلماته، ونصوصه في عدد من خطبه وأدعيته ومراسلاته ومكاتباته، وللباحثين حرية قراءتها واستخلاص ما يريدونه حينما يريدون كتابة موضوع محدد تبين رؤية الإمام الحسن ﷺ سواء كانت عقائدية أو روحية أو أخلاقية أو تعليمية أو سياسية أو غير ذلك، فمصادر تراثه الفكري متنوعة، ومن حق الباحثين استثمار هذه المصادر وما تختزنه من رؤى في إعداد مادة تعليمية، ثقافية، نظرة سياسية وغيرها للتعرف على إسهاماته الإبداعية في هذا المجال أو ذاك من مجالات المعرفة الإنسانية.

نصوص في حاجات الإنسان.

قدمت المصادر الروائية التي نقلت لنا في هذا الزمان قسماً من التراث الفكري والروحي والقيمي عند الإمام الحسن ﷺ عدداً من النصوص التربوية، والأقوال المأخوذة من خطبه ومراسلاته وكتبه وكلماته القصار في مجال "الحاجات الإنسانية وكيفية ضبط إشباعها" سواء في مجال الإشباع البيولوجي للحاجات التي ترتبط بجسد الإنسان أو في مجال الاشباع النفسي – الاجتماعي للحاجات التي تتصل بالجانب السيكولوجي للإنسان.

أولاً: في مجال الإشباع البيولوجي:

استطعنا جمع وحصر عدد من النصوص والأقوال من تراث الإمام الحسن ﷺ، وهي ترتبط بدوافع ذات علاقة بالجسد الآدمي، وتشمل دوافع الجوع والعطش، والجنس، والأمومة والبنوة، والحاجة إلى إخراج

الفضلات، وسنقوم بتوزيع النصوص على أساس توزعها بيولوجياً حسب ورودها السابق الذكر على النحو التالي:

- إشباع دافع الجوع .
- دافع العطش.
- الدافع الجنسي .
- دافع الأمومة.
- دافع الإخراج .

إشباع حاجتي الطعام والشراب .

لا يحتاج القارئ لمزيد من القول بأهمية الحاجة إلى إشباع هاتين الحاجتين في حياة كل كائن حي بخاصة الإنسان وسائر الحيوانات، وقد وردت نصوص في هذا المجال عن حاجتي الطعام والشراب لدى الإنسان لتلازمهما بيولوجياً، بل إن بعض نصوصه تجاوزت الإشارة لإشباع حاجتي الطعام والشراب لتشير لحاجات مادية ملحة في حياة الكائن الآدمي كالحاجة إلى المال واللباس والمأوى أو السكن،، وهي نصوص واضحة في معانيها ودلالاتها اللفظية .

ومن هذه النصوص ما يأتي:

١- قال الإمام الحسن الزكي: « فرض (ويقصد هنا الله سبحانه وتعالى) عليكم لأوليائه حقوقاً، فأمركم بأدائها إليهم، ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم، ومأكلكم ومشربكم، ويعرّفكم بذلك البركة والنّماء والثروة، وليعلم من يطيعه منكم بالغيب[١] .

٢- وشتمه رجل شامي وهو راكب فلم يرد عليه الحسن، فلمّا فرغ من سبابه جاءه ضاحكاً وأقبل عليه بقوله: « أيها الشيخ أظنّك غريباً، ولعلّك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عُرياناً كسوناك، وإنْ كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كانت لك حاجة قضيناها لك، فلو حركت رجلك إلينا، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنَّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً[٢] .

---

(١) السيد حسن الشيرازي/ كلمة الإمام الحسن عليه السلام ص ٢٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٢

وجاء عنه قوله ﷺ: "إنّ خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك[١]" .

وفي قوله ﷺ: "غسل اليدين قبل الطعام ينفي الفقر، وبعده ينفي الهم[٢]" .

وقال ﷺ: " في المائدة اثنتي عشر خصلة يجب على كل مسلم أن يعرفها، أربع فيها فرض، وأربع سنة، وأربع تأديب .

الفرض: المعرفة، الرضا، التسمية، الشكر.

السنة: الوضوء قبل الطعام، الجلوس على الجانب الأيسر، الأكل بثلاثة أصابع، ولعق الأصابع .

التأديب: الأكل مما يليك، تصغير اللقمة، تجويد المضغ، قلة النظر في وجوه الناس[٣]".

وقال ناقداً سلوك الناس في الإخلال بتوازن إشباعهم للحاجات الجسدية والمعنوية: "عجبت لمن يفكر في مأكوله، كيف لا يفكر في معقوله، فيجنب بطنه ما يؤذيه، ويودع صدره ما يرديه"[٤] .

وقال سلام الله عليه عن صديقه: "كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يتشهى ما لا يحـل، ولا يكنز إذا وجـد"[٥] .

الإشباع الجنسي .

وفي مجال إشباع الحاجة إلى الجنس لتحقيق التناسل وحفظ النوع الإنساني كحال جميع المخلوقات الحيَّة المماثلة جاء عن الإمام الحسن ﷺ عدد من النصوص التي تشير مباشرة لأنماط الفعل الجنسي الحلال والمحرم، وبيان الحكم الشرعي إزاءها، ومن أقواله ﷺ:

١- أنَّ ابن عبَّاس في قوله تعالى: " وشاركهم في الأموال والأولاد " قال: " أنه جلس الحسن بن علي، ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان يأكلان الرطب، فقال يزيد: يا حسن ! إني مذ كنت أبغضك، قال الحسن: اعلم يا يزيد ! أن إبليس شارك أباك في جماعه، فاختلط الماءان فأورثك عدائي، لأن الله تعالى يقول: " وشاركهم في الأموال والأولاد"، وشارك الشيطان حرباً عند جماعه، فولد له صخر، فلذلك كان يبغض جدي رسول الله ﷺ [٦].

---

(١) كلمة الإمام الحسن ﷺ، ص ١٩٩

(٢) الموسوي، الروائع المختارة ص ١٢٩

(٣) الموسوي، الروائع المختارة ص ١٢٩ – ١٣٠ .

(٤) كلمة الحسن ﷺ ص ٥٠ .

(٥) الموسوي، كتاب الروائع المختارة ص ١٣٢ .

(٦) المصدر نفسه، ص ١٦٩ .

ورداً على سؤال عن الشبه بين الرجل وأبناء عمه وأخواله فقال ﷺ: « وأما ما ذكرت من أمر الرجل يشبه ولد أعمامه، وأخواله فإنَّ الرجل إذا أتى أهله بقلب ساكن وعروق هادئة، وبدن غير مضطرب، استكنت تلك النطفة في تلك الرحم، فخرج الولد يشبه أباه وأمه، وإن هو أتاها بقلب غير ساكن، وعروق غير هادئة، وبدن مضطرب اضطربت تلك النطفة في جوف تلك الرحم، فوقعت على عرق من العروق، فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام أشْبه الولد أعمامه، وإنْ وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه الولد أخواله[1] .

ورد الإمام الحسن بن علي ﷺ على سؤال عن المؤنث فقال: « وأمَّا المؤنث فإنسان لا يدري امرأة هو أو رجل، فينتظر به الحلم، فإنْ كانت امرأة بانت ثدياها، وإن كان رجلاً خرجت لحيته [2]» إشارة إلى التمايز الجنسي بين الذكور والإناث، والتغيرات البيولوجية المصاحبة لهذا التمايز.

وقال الإمام الحسن في إحدى وصاياه الأخلاقية: "ترك الزنا، وكنس الفناء، وغسل الإناء مجلبة للغنى[3]" وهنا يشير نصّ الإمام إلى السلوك الجنسي المحرم وهو (فعل الزنا)، لهذا دعا إلى تركه.

٥- وسئل الإمام الحسن الزكي بن علي عليه أفضل الصلاة وأزكى سلام عن امرأة جامعها زوجها فقامت بحرارة جماعه فساحقت جارية "بكراً" وألقت النطفة إليها فحملت، فقال ﷺ: أما في العاجل فتؤخذ المرأة بصداق هذه البكر، لأنَّ الولد لا يخرج منها حتى تذهب عذريتها، ثم ينتظر بها حتى تلد فيقام عليها الحد، ويؤخذ الولد فيرد إلى صاحب النطفة، وتؤخذ المرأة ذات الزوج فترجم[4]، وفي هذا النص إشارة للفعل الجنسي الحلال بين زوجين شرعيين، وإشارة لأنماط من الفعل الجنسي الشاذ والمحرم وهو مساحقة النساء لبعضهن، وبيان حكمه برجم المرأة ذات الزوج، وكذلك إقامة الحد على المرأة البكر بعد أن تلد.

إشباع الحاجة للأمومة .

في النصوص السابقة للإمام إشارة إلى المرأة البكر التي ساحقت امرأة ذات زوج، وإشارة إلى انتظار المرأة البكر حتى تلد فيقام عليها الحد، ثم يؤخذ الولد فيرد إلى صاحب النطفة، وفي هذا المقطع من النص السابق تأكيد لولادة المرأة البكر كإشارة لولادة كل امرأة، وأنها تلد ولداً .. ذكراً أو انثى، وما يترتب عن ذلك من مشاعر الأمومة منبثقة من داخل المرأة وتركيبتها الفطرية الداخلية، ففي هذا النص إشارة للحاجة إلى الأمومة وإشباعها بطريق مشروع كما يطالب النص، ووأد كل إشباع لهذه الحاجة بطريق محرم .

(١) الموسوي، كتاب الروائع المختارة ص ١٨٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٠

(٣) كلمة الإمام الحسن ﷺ ص ٢٠٠ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٩ .

وجاء في بعض المصادر ما يشير لهذا الدافع الفطري وضرورة إشباعه بطريقة الحلال، وتجنّب أي إشباع محرم، قال الإمام الحسن عليه السلام .

١- وقال الإمام الحسن عليه السلام: "ابن آدم ! إنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك، فخذ مما في يديك لما بين يديك فإنَّ المؤمن يتزود، وإنَّ الكافر يتمتع، وتزودوا فإنَّ خير الزاد التقوى[١]".

٢- «إن الله تعالى أوحى إلى آدم: أنْ زَكِّ نفسك يا آدم ! قال: يا ربِّ وما الزكاة ؟ قال: صلِّ عشر ركعات فصلَّى، ثم قال: ربِّ هذه الزكاة عليَّ وعلى الخلق ؟ قال الله: هذه الزكاة عليك، وعلى وِلْدِك بالمال منْ جمّع من وُلدكَ مالاً[٢] .

٣ - وتقول هذه المصادر أن الإمام الحسن عليه أفضل الصلاة والسلام كان: « يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله فيسمع الوحي ويحفظه، فيأتي أمه فيلقي إليها ما حفظه، فلما دخل علي عليه السلام وجد عندها علماً فسألها عن ذلك فقالت: من ولدك الحسن، فتخفى علي عليه السلام يوماً في الدار، وقد دخل الحسن عليه السلام، وقد سمع فأراد أن يلقي إليها فارتج عليه، فعجبت أمه من ذلك، فقال عليه السلام: لا تعجبي يا أماه فإنَّ كبيراً يسمعني، واستماعه قد أوقفني، وفي رواية أخرى: يا أماه قلَّ بياني، وكلَّ لساني، لعل سيداً يرعاني، فخرج علي عليه السلام فقبله[٣] .

اشباع الحاجة للإخراج .

ذكرنا أن الإنسان بفطرته يقوم بإشباع حاجاته الفطرية اليومية كالحاجة للطعام والشراب ليستفيد جسم الكائن الحي من الغذاء، ثم يطرد فضلات الطعام عن طريق الإخراج ليحمي نفسه من سمومها، وهذا ينسحب كما يعلم القارئ على الإنسان في المقام الأول، ويمكن القول بأنه كما الطعام والشراب حاجات فطرية فإنه كذلك بحاجة للإخراج ليتخلص من فضلات الطعام وزوائده التي يمكن تسميم جسمه مع بقائه في داخله، وكما أشار الإمام لحاجتي الطعام والشراب فكذلك أشار لحاجة الإنسان فخراج فضلات الطعام والتخلص منه حماية للجسم من سمومه.

وفي النّص الحسني التالي: سأل أحد الناس الإمام الحسن فقال: ما الغائط ؟ فقال: لا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، ولا تستقبل الريح ولا تستدبرها[٤]، ففي هذا النص إشارة للتغوط كأحد أنماط الإخراج، وبيان كيفية قيام الفرد بالتغوط بعدم استقبال القبلة ولا استدبارها كأحد آداب الإخراج لدى المشرع التربوي الإسلامي.

(١) كلمة الإمام الحسن عليه السلام ص ١٩٩

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣١ .

ثانياً: مجال الإشباع النفسي – الاجتماعي.

الحاجات الاجتماعية عديدة ومتنوعة، وتمتد خيوطها لكل زوايا الحياة البشرية وجوانبها، وأن لكل نمط منها أساليب عديدة في الإشباع، وسنورد نماذج هنا، ونماذج أخرى في مواضعها، وبخاصة في الفصل القادم حينما نناقش الحاجات المعنوية وأساليب إشباعها.

فرض عليكم لأوليائه حقوقاً، فأمركم بأدائها إليهم، ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم، ومأكلكم ومشربكم، ويعرِّفكم بذلك البركة والنماء والثروة، وليعلم من يطيعه منكم بالغيب[1] .

يا بن آدم: من مثلك وقد خلَّى ربك بينه وبينك ؟ متى أن تدخل إليه، توضأت وقمت بين يديه، ولم يجعل بينك وبينه حجاباً ولا بوَّاباً، تشكو إليه همومك وفاقتك، وتطلب منه حوائجك، وتستعينه على أمورك[2] .

٣- ضمن ما عدده من مكارم الأخلاق قال ﷺ: « والمكافأة بالصنائع"[3] .. أي إثابة العمل ومكافأته.

٤- "فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها"، وقال الإمام الحسن محدداً من هم أهل الحاجة: " إذا طلبتم الحوائج، فاطلبوها من أهلها، قيل يا بن رسول الله ! ومن أهلها ؟ قال: الذي خصَّ الله في كتابه، وذكرهم فقال: " إنَّما يتذكر أولو الألباب" هم أولو العقول[4]" .

الإشباع كمفهوم سيكولوجي:

مصطلح سيكولوجي يراد بع إعطاء الفرد في الموقف التعليمي أو في موقف آخر "قدراً منسباً من المعزز" ليسد النقص في حاجته من الطعام أو الشراب أو النوم أو الإشباع الجنسي أو في مجال آخر من الحاجات المعنوية سواء كانت نفسية أو اجتماعية، فإذا كان المطلوب من عملية توفير قدر معيَّن من "الطعام" لإشباع حاجة الكائن الآدمي والتغلب على جوعه فإنَّ تقديم الطعام والأكل للفرد يعني لدى علماء النفس وغيرهم من علماء السلوك "إشباع حاجته من الطعام بقدر مناسب يعرض عليه، وقد يزداد المعزز بتوفير قدر أكبر من الطعام لا يحتاجه في تلك اللحظة فيتحول إلى إشباع زائد عن الحد يسمى في لغة العرب، وفي النصوص الإسلامية" بالتخمة .

وما انطبق على الإشباع الفسيولوجي للحاجات الجسمية كالحاجة إلى الغذاء ينسحب كذلك على الحاجة في مجالات دافعية أخرى كالحاجة إلى الشراب والإشباع الجنسي وغيرهما من الحاجات، فإمَّا إشباع معتدل يعرفه الناس بالإشباع السوي بشروط أخرى ككونه حلالاً على سبيل المثال أو إشباع زائد عن الحد فيدخل

(١) كلمة الإمام الحسن ﷺ، ص ٢٧ .

(٢) ارشاد القلوب للديلمي ص ٧٩ – ٨٠، والسيد حسن الشيرازي، في كتابه كلمة الحسن ص ٤١

(٣) كلمة الحسن ﷺ ص ٦١ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٦ .

في دائرة الإشباع المحرم وغير السوي، أو يكون ناقصاً عن ضروراته الفسيولوجية وفي حفظ التوازن الحشوي للبدن فيوصف الإشباع بالجوع، وقد يزيد سوءاً لحد المجاعة كما يعاني الإنسان أحياناً في مناطق من أرض الله الواسعة.

إنَّ الاشباع بالتأكيد مثير "معزز" لسلوك الذات البشرية، ويترتب عليه آثار سيكولوجية إيجابية، إذ يزيح "الإشباع ألم النقص في الكيان الداخلي" كرفع الجوع أو العطش أو الجوع الجنسي أو التخفيف من الحرمان منه، كما يتيح الإشباع السوي والحلال فرصة تحقق الراحة الجسدية مصحوبة بتحقق حالة من الرضا النفسي، وحالة من الصحة النفسية المقبولة، وهو يسهل على الفرد – كما نعتقد – الإحساس الطبيعي بالرضا عن الذات وعن الآخر، فكمية "الإشباع" المعزز للسلوك تنعكس إيجابياً على حركة النفس وانضباطها في الحياة الاجتماعية، ولهذا فإنَّ النصوص التربوية في خطاب الإمام الحسن يؤكد الإشباع "الحلال" والسوي والمتوازن كي لا يترك آثاره الإيجابية على الصحة النفسية والجسدية، ومن هنا نفهم تعجب الإمام الحسن الزكي بن علي عليهما أفضل الصلاة والسلام في أحد نصوصه السيكولوجية والأخلاقية عندما قال ﷺ متعجباً من إفراط الناس في تحقيق الإشباع المادي بخاصة فيما أسماه بـ "المأكول" .. أي الحاجات المادية والغذائية مقابل حالة حرمان جزئي أو تام أو شبه تام لإشباع الحاجات العقلية ومن صنع الفرد الإنسان نفسه كما جاء في كلامه الكريم: { عجبت لمن تفكر في مأكوله، كيف لا يتفكر في معقوله[1] }.

وهنا يتقابل في هذا المقطع من النص حالتان.. حالة حرمان من الإشباع، وحالة إشباع زائد عن الحد، وكلتاهما في نظر الإمام الحسن ﷺ سلوك غير سوي، ولعلّ هذا ما يفسر قوله عن الحرمان عندما طلب منه والده الإمام علي بن أبي طالب تعريف الحرمان فقال الإمام الحسن ﷺ: « الحرمان .. تركك حظك، وقد عُرِضَ عليك[2] »، فبعض الناس يتركون حظوظهم الطبيعية المتاحة والمطلوبة في إشباع حاجاتهم عقولهم، وحاجاتهم المادية والاجتماعية والنفسية، وقد عرض الله عليهم فرصة الإشباع الكامل لهذه الحاجات، مع ضياع إثابتهم، فالعقل هبة إلهية وإشباع حاجاته نعمة يثاب المرء عليها، وترك إشباعها حرمان معيب، فقد ترك الإنسان حظه من الإشباع الطبيعي، وقد عرض عليه من هذا أو ذاك.

---

(١) كلمة الإمام الحسن ﷺ ص ٥٠.

(٢) ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول ص ١٦٣، وكتاب « الروائع المختارة » للسيد مصطفى الموسوي، ص ١٣٩ .

الحرمان من الإشباع .

نعود لمقطع سابق من نص مطوَّل إلى حد ما نقلناه في إحدى حلقات كتابنا[1]، ويقول فيه الإمام الحسن حينما سأله والده .. ما الحرمان ؟ .

فقال ﷺ: « الحرمان .. تركك حظك، وقد عُرِضَ عليك[2] ».

والحرمان هنا في مقابل الإشباع، فالمفهوم الأخير إعطاء "النفس " ما تحتاجه من المعززات الفسيولوجية أو النفسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو المادية، ويكون الاشباع بقدر معيَّن تحتاجه النفس أو العقل أو الجسم، أو بقدر زائد عن حد الإشباع، وبذلك يتميَّز الإشباع السوي عن الإشباع غير السوي، فيكون الأول توفير معزز يحقق الإشباع الحلال المقبول بمعايير الصحة النفسية، ويكون الثاني حالة نقص في توفير المعزز بنحو يصل للجوع .. جوع الطعام وجوع الرغبة الجنسية وجوع الحاجة إلى تأكيد الذات، ونقصان المعرفة وغير ذلك.

أمَّا الحرمان فهو « منع النفس من الحصول الطبيعي على إشباع مناسب بقدر ما تحتاجه النفس في ظروف طبيعية قادرة على توفير الإشباع أو في ظروف عاجزة عنه «، أو هو بلغة الإمام الحسن ﷺ: « تركك حظك، وقد عُرِضَ عليك » .

فيكون الحرمان حالة نقص في توفير المعزز (المادي أو المعنوي أو معاً) بنحو يصل على سبيل المثال.. للجوع الجسدي.. جوع الطعام وجوع الرغبة الجنسية وجوع الحاجة إلى تأكيد الذات، ونقصان المعرفة وغير ذلك من الحاجات الإنسانية، وهذا المنع يأخذ أكثر من شكل، فإما أنَّ المتسلطين قد فرضوا على الناس بتسلطهم، وأنانيتهم، وعدوانيتهم، وعدم إحساسهم بمعاناة الآخر، وبالتالي يكون هذا النوع من الحرمان إفقاراً متعمداً أو تجويعاً مقصوداً أو إيذاءً موجهاً ضد الذات من طرف خارجي يترك أثره السلبي على النفس وعلى حياتها الفرد وعلى علاقتها بالمجتمع، لكن هناك نوع آخر من الحرمان يثيره النص التربوي الحسني السابق الذكر القائل في تحديد مفهوم الحرمان ومضمونه اللفظي والمعرفي، يقول هذا النص: (الحرمان تركك حظك، وقد عرض عليك) .

وهو كما ترى عزيزي القارئ أقسى وأشد وأصعب لأنه يتم باختيار الفرد نفسه وبإرادتها صائباً في قراره أو مخطئاً، فقد يعرض على المرء شيء من الطعام أو الماء أو المال الحلال لإشباع حاجة الإنسان منه، لكنه تحت

---

(١) انظر الحلقة الثالثة (طرق وأساليب العملمية التعليمية – التعلمية عند الإمام الحسن ﷺ) .

(٢) ابن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول ص ١٦٣، وكتاب « كشف الغمة في معرفة الأئمة للأربلي، ج ٢، ص ١٩٥، وكتاب " الروائع المختارة " للسيد مصطفى الموسوي، ص ١٣٩ .

ظروف تكون مجهولة أو معلومة – بالنسبة بالفرد – يترك حظه من الاستفادة من المتاع المتاح والمباح أو يتنازل عن حاجته بنظرة خاطئة فيحرم نفسه مما تحتاج إليه من نعم الله سبحانه، وبالتالي يضع الفرد نفسه في حرمان حقيقي باختياره الذاتي .

ونتصور أنَّ الإمام الحسن الزكي بن علي ﷺ قد عنى في إجابته عن سؤال أبيه أمير المؤمنين علي هذا النوع الأشد والأصعب من حرمان "الذات" من إشباع سوي لحاجاتها، فهو لسبب يترك حظه عاثراً مما تحتاجه نفسه وقد عرض عليه قدر من الإشباع، فيكون قد أضاع بنفسه « الفرصة » للحصول عليه وتوفيره حتى وإن اختار الزهد وتنظيم الإشباع وضبطه بما يتفق ومحددات المشرع التربوي الإسلامي ومعايير الصحة النفسية التي تجعل لسلوكه معنىً.

الثابت والمتغير في الحاجات .

جميع حاجاتنا البشرية هي مزيج من التكوين الفطري والممارسة أو الإشباع الاجتماعي، فالمؤكد أنَّ الحياة البشرية لها ثوابت محددة تتمثل في القابليات الوراثية التي نولد مزودين بها، ولها في الجانب الآخر صور تعبيرية متغيرة من فترة إلى أخرى، ومختلفة من مكان إلى أخرى، فعلى سبيل المثال يمكن اعتبار الرغبة في "المسكن" حاجة فطرية لدى الإنسان في كل زمان ومكان، لكن يتم التعبير عنها بصور مختلفة من زمن لآخر ومن بيئة مكانية لأخرى، فبعض البشر يبنون مساكنهم من الخيام، ويعيش آخرون في كهوف، ويبني قسم ثالث من الناس بيوتهم في أزمنة مختلفة ومتتالية من البوص وسعف النخيل، بينما يبني آخرون مساكنهم بأدوات البناء الحديثة، فالصور المعبرة عن الشكل الخارجي للبناء متغيرة، ومتحركة، ولكنها في النهاية معبرة عن رغبة فطرية ثابتة، وما ينطبق على سائر الحاجات الفطرية والفسيولوجية والاجتماعية أو النفسية كالحاجة إلى التعلم ينطبق على حاجات عديدة.

فالرغبة في التعلم تمثل حاجة فطرية في التركيبة الآدمية، وهي ثابتة في التكوين الفطري الإنساني، ولكن فعل "التعلم" كسلوك اجتماعي وأداء تربوي يتم اكتسابه بفعل التفاعل بين القابليات الفطرية وبين عناصر البيئة الاجتماعية التي يعيش في كنفها الأفراد، ويتم التعبير عنه بصور مختلفة، كالتعليم الديني أو المهني أو تعلم الصناعات أو تعلم العلوم الحديثة، فالقابلية للتعلم فطرية وثابتة في كياننا الإنساني يتم التعبير عنها بصور مختلفة، أي أن صور الإشباع متبدلة من زمن لآخر ومختلفة من مكان لآخر مع ثبات الرغبة ككيان أصيل في داخلنا البشري.

فالتعلم حاجة، ورغبة داخلية مركوزة في التكوين الفطري، وهي إحدى القابليات والاستعدادات

الداخلية التي نرثها دونما تدخل من أحد سوى خالق النفس، ولهذا فإنَّ التعلم وطلب العلم -كرغبة داخلية - تجسد بالنسبة للإنسان حاجة رئيسة فطرية في كيانه، لكنها لن تكتمل في حركها إلاَّ بالتحقق في عالم الوجود الاجتماعي، أي أن التعلم كحاجة إنسانية هو في النهاية مزيج من الاستعداد الفطري الداخلي والممارسة التعليمية المستمدة من البيئة الاجتماعية التي تكسبه في النهاية إشباعاً معيناً بقدر محدد وفقاً لظروف تكوينها التدريجي.

ونظراً لأهمية حاجة الإنسان للتعلم ركز خطابه التربوي على إشباعها، وطالب الإمام الحسن ﷺ أن تأخذ حظها من الإشباع بتوازن تام لا حيف فيه كما يفعل الناس، حيث يميلون -كما شاهد الإمام الحسن بنفسه- إلى سلوك غير متوازن في الإشباع، وهو سلوك يتجاوز الإشباع السوي لبعض الحاجات الجسدية على حساب الإشباع للحاجات المعنوية، والحاجة للتعلم في صدارة الحاجات المعنوية التي لا تأخذ حظها من الاهتمام، لذلك كان هذا السلوك موضع انتقاد الإمام الحسن عليه أفضل الصلاة والسلام، وطالب في نص له تحقيق توازن في إشباع الحاجات الجسدية والتعليمية وتجنب مخاطر الإشباع غير المتوازن.

مصدر الإشباع .

يولد الإنسان مزوّداً بقابليات فطرية للحاجات بمختلف أنواعها، وبعد تفاعله مع عناصر البيئة الداخلية ومثيراتها الخارجية تبدأ حاجاته في نشاطها حتى يتم الإشباع أو يتحقق الشبع على حد تعبير بعض الروايات الإسلامية، وإذا تأملنا في طبيعة الإشباع نجده من مصادر متعددة ترتد جميعها إلى مصدر أساسي أصيل هو الله سبحانه واهب "النعم" المختلفة وصانعها وخالقها، فالإشباع يأت من نعم داخل الإنسان ومحيطة كالعقل وأعضاء الجسم، ومن مصادر في عالمه الخارجي كالنباتات والأشياء، والأسماك والمعادن وغيرها، لكن جميع هذه النعم بما فيها الإنسان نفسه من خلق الله سبحانه، بل حتى مصادر الشبع التي وفرها الإنسان بجهده الذاتي هي نعم إلهية لأنَّ الله سبحانه مخلوق إلهي، والأدوات التي استخدمها الإنسان في توفير هذه النعم هي من نعم الله سبحانه، وبالتالي فالإنسان والأشياء والنباتات وما يصدرها عنها هي في حقيقتها نِعم مخلوقة من رب العباد، فـ "بإحكام قدرته خلق جميع ما خلق[1]" كما يقول الإمام الحسن ﷺ، فالأطعمة بأشكالها وأنواع الأشربة والعقول والأرزاق، والإنسان نفسه، والأشياء من حوله في عالمه المادي هي جميعاً "نعم إلهية" مخلوقة تظل مجهولة ما دامت في أيدينا، فإذا ما زالت وذهب أثرها عرف الناس قيمتها، وهي عين ما قاله الإمام الحسن في نص قصير هو: « تجهل النعم ما أقامت، فإذا ولَّت عُرِفَت[2]» وهو خالقها .

---

(١) الموسوي، الروائع المختارة، رقم الخطبة ٢، ص ١٣ .

(٢) المصدر نفسه، الحديث رقم ٣٧، ص ١٣٣ .

وهكذا يدرك الناس بأنَّ الطعام بألوانه الكثيرة ومختلف طيباته، وكذلك النباتات بتدخل الإنسان أو بدونه، وأيضاً الأشربة ومختلف الأشياء هي جميعاً (نِعَمٌ) من صنع إلهي، وأن الإنسان وما يصنعه من مواد خام أو من مواد تحويلية هي صناعة إلهية، وبذلك نعدّ المصدر الذي يموِّل الإنسان بحاجاته وبقابلياتها وبأدوات ومواد إشباعها هو الله سبحانه وتعالى، وقد قال الإمام الحسن الزكي بن علي في دعائه للاستسقاء: « أرِنا الرزق موجوداً[1] ».. أي اجعله مائدة بين أيدينا، وحاضرة في متناول الخلق وعباد الله سبحانه.

خصائص إشباع الحاجات:

ثمّة خصائص تطبع عملية "الإشباع" للحاجات الإنسانية لتكون عملاً عباديّاً سويّاً كما أراده المشرع الإسلامي، وكما يرغب فيه علماء الصحة النفسية بمعاييرها العلمية، وهي بالضرورة لا تلتقي مع بعض القيم الدينية الإسلامية، بل تفارقها أحياناً، ولكن مع ذلك ثمة مشتركات في الرؤيا، فالعقل الإنساني الفطري يمكنه أن يوحد النظرة الصحيحة من هذه القضية أو تلك.

وقد تتبعنا بعض النصوص التربوية في خطاب الإمام الحسن ﷺ فتعرفنا على بعض الخصائص من باطنها، ومن هذه الخصائص نذكر ما يأتي:

اولاً- الإشباع الحلال بطابع عبادي عفيف.

يبحث الإنسان بفطرته السليمة عن إشباع لحاجاته المختلفة، وبخاصة حاجاته الفسيولوجية الملحة حتى لو تفاوتت مستوياته من حيث كميته وزمنه ومدى توافقه مع معايير الحلال والحرام، فالمرء منذ لحظة ولادته يود الحصول على إشباع مستمر لحاجاته ولا سيما المادية شديدة الإلحاح، وليست المشكلة في الإشباع ذاته، وإنما في نوع الإشباع ومدى انضباط صاحبه، والتزامه بمعايير الحلال والحرام، بل إنّه إذا لم يبحث المرء عن إشباع حلال وسوي فإنَّه "آثم" بالمعايير الإيمانية وبمحددات المشرع التربوي الإسلامي، فالإشباع التوافقي عمل عبادي تؤيده صراحة النصوص الشرعية في القرآن الكريم وأحاديث النبوة وأقوال المعصومين ﷺ، حيث تشجع هذه النصوص على طلب الرزق الحلال، وتدفع الناس لإشباع حاجاتهم بعفاف وضبط واستقامة في الأكل والشراب والجنس، والبحث عن المعرفة والتقدير والنجاح والأمن وغيرها بأساليب توافقية مطابقة للمحددات الإيمانية وضبطه بمعايير الصحة النفسية التوافقية مع هذه المحددات.

وكان موقف الإمام الحسن ﷺ خارجاً عن هذه النظرة لموضوعية الإشباع وذاتيته، وضرورة تلبسه بمعايير الحلال والحرام، ودفع الالتزام به، فمصادر تراثه الروحي والثقافي والأخلاقي تنقل لنا بعض أقواله التي تشدد على عفاف الإشباع وطابعه الأخلاقي كما في الحديث التالي، حيث يقول عليه الصلاة والسلام:

---

(١) الموسوي، الروائع المختارة، ، رقم الخطبة ٢٤، ص ٤٩ .

- « لا تجاهد الطلب (ويقصد طلب الرزق) جهاد الغالب، ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم، فإنَّ ابتغاء الفضل من السُّنَّة، والإجمال في الطلب من العفة، وليست العفة بدافعة رزقاً، ولا الحرص بجالب فضلاً، فإنَّ الرزق مقسوم، واستعمال الحرص استعمال المأثم[1] ».

وقوله عليه السلام:

« إنْ لم تطعك نفسك فيما تحملها عليه مما تكره، فلا تطعها فيما تحملك عليه مما تهوى[2] ».

وقال عليه السلام: « يا بن آدم عف عن محارم الله[3] تكن عابداً، وارض بما قسم الله تكن غنيّاً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عدلاً[4] ».

وقوله في نصيحة لجنادة بن أبي أمية: « استعد لسفرك، وحصل زادك قبل حلول أجلك، وأعلم أنّك تطلب الدنيا، والموت يطلبك، ولا تحمل همَّ يومك الذي لم يأْتِ على يومك الذي أنت فيه، وأعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق رأسك إلاَّ كنت فيه خازناً لغيرك، وأعلم أنَّ في حلالها حساباً، وفي حرامها عقاباً، وفي الشبهات عتاباً، فانزل الدنيا بمنزلة الميتة، وخذ منها ما يكفيك فإن كان حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر، فأخذت كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فإنَّ العتاب يسير[5] ».

وهكذا تضفي هذه النصوص التربوية عند الإمام الحسن بن علي عليهما السلام على الاشباع طابعاً عبادياً عفيفاً لا مجال فيه للأكل الحرام، ولا اللباس الحرام، ولا تناول الملذات الشهوية الآثمة، ولا انغماس في شهوات محرمة ليتم إشباع الحاجات بلا قيم صحيحة، ولا صلة لها برضا الله تعالى، فدعوته صريحة في تحقيق الإشباع السوي بمعاييره السليمة التي تعانق رضا الله سبحانه.

ثانياً- القصد والاعتدال في الاشباع.

ينصرف مفهوم القصد – هنا - إلى معنيين أحدهما بمعني ضبط نية الاشباع وربطها بنية القربى لله لا بنوايا أخرى، فإذا قصد من الإشباع الحصول على معزز يسد النقص في حاجة ما لديه بنية القربى لله والاستجابة لأوامره ونواهيه كما تقدم في حديث سابق (رقم ٥٠) فإنَّ الاشباع يكون بصيغة روحية وعفيفة، وهذا يتناغم تماماً مع ما أسميناه في الخاصية السابقة الأولى بـ « الإشباع الأول ».

---

(١) الموسوي، الروائع المختارة، الحديث رقم ٤، ص ١٢٦ .

(٢) الموسوي، مصدر السابق، الحديث رقم ٥٠، ص ١٣٥ .

(٣) الأربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ٢، ص ١٩٨ – ١٩٩ .

(٤) الموسوي، الروائع المختارة، الخطبة رقم ٧، ص ١٩، وكتاب كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج٢ ص ١٩٩ .

(٥) المصدر نفسه، الخطبة رقم ١٢، ص ٢٧ – ٢٨ .

أمَّا إذا كان القصد من الإشباع الضبط والاعتدال بلا إفراط ولا تفريط، وتجنب الإشباع الزائد عن الحد، والإفراط في الشهوات فإنَّ المشرع التربوي الإسلامي يؤكد هذا المعنى، وينسحب أكثر من نص للإمام الحسن ﷺ على هذا المعنى، حيث ذكرنا قوله لجنادة: "وخذ منها ما يكفيك (أي بمقدار الحاجة)، فإن كان حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر «، و» ولا تحمل همَّ يومك الذي لم يأْتِ على يومك الذي أنت فيه، وأعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق رأسك إلاَّ كنت فيه خازناً لغيرك"، وفي توجيه آخر لضبط الإشباع على روح الاعتدال الذي لا إفراط فيه ولا تفريط قال ﷺ: "القصد في المعيشة نصف المؤونة"[1].

ويتسق مفهوم "القصد في المعيشة" مع مفهوم القصد في الإشباع، فكلاهما يعني توفير الإشباع وضبطه بدون إفراط أو تفريط، فإذا اقتصد المرء في معيشته، في تناول الطعام والشراب واستخدام الملذات الأخرى يكون قد وفّر على نفسه "نصف المؤونة" واحتفظ بنصفها الآخر ليوم يحتاج فيه إلى "مخزونه الاحتياطي" بمعناه المادي المحض ليسد حالة العجز، ويساوي بين إشباع اليوم الذي هو فيه، وبين إشباع اليوم الذي لم يأتِ بعد .

وهكذا فإنّ القصد في المعيشة ليس في الطعام وحده، بل في مختلف حاجات المرء وملذاته بخاصة المادية التي تكثر في إلحاحها وضغطها على الفرد، وبالتالي تعني القصد في المعيشة توفير نصف المؤونة ليوم قادم لم يأْتِ بعد قد يكون صعباً وقاسياً أو حتى لتكاليف طارئة غير محسوبة في اليوم الذي يعيشه المرء.

ثالثاً: خاصية توازن الإشباع للحاجات.

لاحظ الإمام الحسن ﷺ– كما يوحي نص منسوب إليه أنّ الناس في مجتمعه يَفْرِطُوْنَ في إشباع حاجات البطن (الطعام والشراب وغيرهما)، وأنهم في الوقت نفسه يفرطون كذلك في إهمال إشباع حاجات عقولهم، ويبدو أن هذه مشكلة الناس في عصور مختلفة، وما تزال لسوء الحظ تبسط هيمنتها على سلوك الناس في هذا الزمان، فجلُّ اهتماماتهم وتفكيرهم البحث عن الطعام والشراب والشره في تناولهما، وهذا ما أثار تعجب الإمام الحسن ﷺ من إخلالهم بمبدأ إشباع الحاجات.

إنَّ مهمّة الإمام الحسن ليس نقد السلوك الاجتماعي فحسب، بل وتعليله وتفسيره وتحديد خطئه، ثم دعوتهم للتفكير في السلوك البديل وهو التوازن في الاشباع، وتجاوز الإمام الحسن في حديثه (نقد سلوك الناس) في الإخلال بإشباع حاجاتهم المادية والعقلية، فبدأ في تحديد آثار هذا الخلل على الحياة الشخصية للفرد، وبيَّن مخاطره عليه، يقول الإمام الحسن ﷺ في إشارته للمبدأ الإشباع المتوازن بين حاجات الكائن الآدمي المادية والمعنوية، الجسمية والنفسية والعقلية، وعبر ﷺ عن الأولى بتعبير « المأكول » .

---

(١) الموسوي، الروائع المختارة، رقم الحديث ١٠٠، ص ١٤٢ .

وعبر الإمام الحسن عن النوع الآخر من الحاجات بـ "المعقول":

« عجبت لمن يفكر في مأكوله، كيف لا يفكر في معقوله، فيجنب بطنه ما يؤذيه، ويودع صدره ما يرديه[1] ».

وبمقتضى النص السابق:

1. نقد إفراط الناس في إشباع حاجتهم « لمأكولهم « إلى مداه الأقصى دون الالتفات إلى إشباع « المعقول «، وهذا جانب مهم من الشخصية الإنسانية .
2. أن من مقتضيات نقد السلوك الاجتماعي في الإخلال بمبدأ إشباع الحاجات الدعوة إلى تغيير هذا السلوك وتعديله بنحو يحقق التوازن في الإشباع.
3. التعجب الذي أثاره الإمام الحسن بن علي عند طرح مشكلة الخلل في إشباع الحاجات كان هادئاً يصل للناس بلا استفزاز وتبليغهم خطأ ما يفعلون، وهذا ديدن النفسية التي يكون عليها أئمة أهل البيت عليهم السلام.
4. لم يتوقف النص عند مستوى نقد السلوك الاجتماعي، وإنَّما تخطاه إلى تحديد نتائج التعديل المطلوب (تجنب البطن الأذى، وإيداع الصدر الردى) .
5. أنَّه بالتفكير في إشباع "المعقول" وتقليل الإشباع الشره للمأكول يتجنب المرء "ما يؤذي بطنه" وأن يودع صدره المعرفة والعلم والروحانيات ما يردي شره "المأكول" لديه، ويحدث توازناً سويّاً بين إشباع حاجات الجسد والعقل معاً.
6. أن شهوات البطن هي من الحاجات الملحة، بل شديدة الإلحاح، وهي بالطبع لا تترك بدون ضبط، لذلك فإنّ إشباع "الحاجات" العقلية يخفّف من اهتمام الفرد بهذه الشهوات، وفي الوقت نفسه يتيح للحاجات العقلية أن تشبع كما ينبغي، وبالتالي يسهّل على العقل السيطرة على شهوات البطن وبخاصة الأكل من خلال الإشباع المتوازن لمختلف الحاجات.
7. أن الإمام الحسن الزكي بن علي عليهما السلام عبّر عن حاجتين أساسيتين لدى الإنسان بوجه عام، وهما حاجتنا للأكل والطعام، وحاجتنا للعلم والمعرفة بكلمتين هما "مأكوله، ومعقوله"، فاللفظ الأول (مأكوله) يعني الحاجة إلى الطعام، وما يأكله الإنسان، وهذه الحاجة من حاجات بقاء الذات كما يذهب إلى ذلك علماء النفس والنصوص الدينية الإسلامية، بينما اللفظ الثاني المقابل له (معقوله) يشير للعلم والمعرفة، وكلاهما يحتاج إلى إشباع، إلاَّ أن الإنسان أخلّ بمبدأ الإشباع المتوازن للحاجتين الأساسيتين المذكورتين.

---

(١) كلمة الإمام الحسن عليه السلام ص ٥٠ .

8. أثار ﷺ تعجباً من سلوك الناس في الإخلال بإشباع الحاجات بنحو تجدهم يفكرون في إشباع حاجتهم للأكل، وما يرتبط به من إشباع حاجتهم للشراب .

9. أنَّ الإخلال في الإشباع كان لصالح حاجات مادية تعدّ شديدة الإلحاح على سيكولوجية الإنسان، وهو الإخلال في إشباع حاجة الناس إلى الأكل، وتفكير الناس في تحقيقها دون مبالاة بالتفكير في إشباع حاجة الإنسان إلى طلب العلم .

10. أنّه ﷺ يدعو إلى التفكير في إشباع الحاجات المعرفية أسوة بإشباع الحاجة إلى الطعام والأكل والشراب والجنس وغيرها من الحاجات البيولوجية.

11. يعلل الإمام الحسن الزكي ﷺ تعجبه من إخلالهم بإشباع الحاجات الرئيسة بتحذيره من سوء النتائج فيقول لماذا لا يفكر المرء في التفكير بتعادل الإشباع حتى يجنب بطنه ما يؤذيه من جهة، وحتى يودع صدره ما يرديه، وهنا تشير كلماته إلى نتائج وخيمة من أضرار التخمة في تناول الطعام وخواء العقل من العلم والمعرفة وتعطيل نشاطه كما ينبغي.

12. أنّ الإمام الحسن السبط ﷺ يقدّم نصّاً توجيهياً لإصلاح ما أخطأه الناس بدعوته إلى التفكير في التفكر والحاجات العقلية أسوة بتفكير الناس في إشباع حاجاتهم للحاجات الفسيولوجية وبخاصة الأكل وما يرتبط بها، وفي ذلت خطوة توجيهية لتحقيق التوازن في الإشباع بين الجانب المادي من كيان الإنسان والجانب المعنوي في شخصيته.

13. توازن الإشباع وعدم الشره في جانب دون جانب (رقم الحديث ٥٠، وحديث المأكول والمعقول، وحديث رقم ٧٤، وكذلك حديث "القصد في المعيشة نصف المؤونة" رقم الحديث ١٠٠، وأقرب ما نفهمه من هذا المقطع من نص الإمام الحسن الزكي بن علي وحديثه أن يكون في المجال المعيشي أو الاشباع في الجوانب المادية الأخرى لا المجال المعرفي فحسب) .

14. ظاهر النص التربوي الحسني في المقطع الثاني منه أنه يدعو إلى إشباع حاجات "المعقول" المهمل، وهو تعبير لا نراه خاصّاً بحاجات العقل وحده، وإنَّما يتجاوزه إلى إشباع الحاجات النفسية كالأمن والنجاح والانتماء والتقدير، وإنْ كان المعنى الظاهري يتمركز حول إشباع الحاجات العقلية.

رابعاً: أخلاقية الإشباع وسموّه .

كل سلوك – سيئاً كان أو حميداً – هو في نهايته موصول بأخلاقيات، ومما لا شك فيه أنَّ الإشباع بمختلف صوره وأساليبه يعد سلوكاً له علاقة بهذه الأخلاقيات، وإذا كان نمطها مادياً اصطبغ الإشباع بنزعة مادية،

وحينما نمطها الأخلاقي ربانياً وعبادياً يكون شكل الإشباع سويًّا موسوماً بأخلاقيات دينية، ولهذا فإنَّنا قصدنا من أخلاقية الاشباع مطابقتها الكاملة بالأخلاق التي يقرها الدين المستمدة من رؤى المشرع التربوي الإسلامي، أو على الأقل تأثرها في كثير أو قليل بهذه الأخلاق.

إنَّ أخلاقية الإشباع بالنسبة للإمام الحسن عمل عبادي، وثمّة صلة بين عملية الاشباع للحاجات وعملية التوجيه القيمي الأخلاقي الموزع في تراث الإمام الحسن ﷺ في خطب ورسائل وأدعية وكلمات قصار، وهي مصادر تفيض بالمعاني الأخلاقية، فالرزق على سبيل المثال حاجة مادية يحتاج فيها الإنسان إلى إشباع تحقيق الرضا الداخلي لدى الفرد، لكنه في نظر الإمام يجب أن يكون عفيفاً، فالإجمال – كما يقول الإجمال – في الطلب من العفة، وليست العفة بدافعة رزقاً، ولا الحرص بجالب فضلاً، فإنَّ الرزق مقسوم، واستعمال الحرص استعمال المأثم[1] «، والطلب هنا هو طلب الرزق أو الحاجة إليه، ولا بد من بضبطه بالعفاف، وتحدث الإمام الحسن عن صديق كان يصفه فقال عنه: « كان خارجاً من سلطان بطنه فلا يتشهى ما لا يحل، ولا يكنز إذا وجد[2]»، فالإمام الحسن يدعو للتحرر من سلطان البطن وزوائد شهواته غير الطبيعية.

ومتى اصطبغت عملية البحث عن الرزق وطلبه بالعفّة الداخلية والخارجية معاً كانت عملية إشباعه سلوكاً أخلاقياً مؤسساً على قيم ربانيّة إلهية، وحين يطلب المرء إشباعاً لحاجته في العلم والمعرفة من أجل رضا الله سبحانه، وتجنب نواهيه والعمل بأوامره يكون هذا الإشباع ربّانياً يتجلى في قيم وأخلاقيات تسود حياة الجماعة، وتحكم التزامها وانضباطها، ومن تداهمه غائلة الانحراف من الناس يشعر يوماً بالحاجة إلى الله، فيحاول التقرب إليه بالتوبة، لكن التوبة ليست مجرد علاقة مع الله، بل هي حركة أخلاقية في خدمة المجتمع، فكف النفس عن النميمة والغيبة وسوء الظن بالناس هو عمل أخلاقي يحقق للإنسان إشباعاً لحاجته إلى التوبة والعودة لله سبحانه وتعالى، وحاجته لترميم العلاقة من جديد مع الناس، والبدء بتقوية مشاعره في الانتماء للجماعة ورغبته في الحصول على تقدير اجتماعي جديد.

وهذه قيم تجعل الاشباع عملاً أخلاقياً يحظى برضا الله والرضا الاجتماعي، ومن هنا فإنّنا نجد في التراث الثقافي والأخلاقي والروحي عند الإمام الحسن حديثاً صريحاً عن قيم أخلاقية ربانية المصدر تحقق للفرد صحة نفسية من بوابة الإشباع السوي لحاجاته التي تنظمه القيم الأخلاقية بتوجيهاته، فكما قال الإمام علي بن أبي طالب ﷺ:

---

(١) الموسوي، الروائع المختارة، الحديث رقم ٤، ص ١٢٦ .

(٢) كلمة الإمام الحسن ﷺ، ص ٦٧، وكتاب الروائع المختارة للسيد مصطفى الموسوي، الحديث رقم ٣٢، ص ١٣٢ .

« من احتجت إليه هنت عليه[1] ».

نماذج العلاقة بين القيم الأخلاقية وعملية الإشباع .

وسنضع أمام القارئ الكريم ثلاثة نماذج من النصوص التي تكشف عن علاقة القيم الأخلاقية التي وردت في خطاب الإمام الحسن وبين عملية الإشباع السوي بمعايير عبادية لبيان أخلاقية "إشباع الحاجات الإنسانية" بمحددات إيمانية، والنّماذج الثلاثة هي:

١ - نموذج النص الأول.

يقول الإمام الحسن عليه السلام: « صاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به[2]».

وفي نص مماثل للحديث السابق زاد عليه "تكن عدلاً أو تكن عادلاً" فقال عليه الصلاة والسلام: صاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عدلاً[3] »، وفي رواية: « تكن عادلًا [4] » .

الحاجة هنا في النصين ذات طبيعة اجتماعية وهي البحث عن انتماء للجماعة ومحاولة الحصول على تقديرها، وتدل عملية البحث على رغبة المرء في البحث عن إشباع عملي سوي لهذه الحاجة، وتدل كذلك على رغبة الناس جميعاً في إشباعها، فالتوجيه الحسني في النصين مرتبط بسمة أخلاقية واضحة فيهما هي العدالة، فالنص الثاني ينادي بالعدالة في قسمة مشاعرنا الاجتماعية – السيكولوجية في البحث عن انتماء اجتماعي لوجودنا الفردي، فهذا النص يربط بين العدالة كقيمة أخلاقية وعملية الإشباع كحاجة سيكولوجية، فإذن .. أحدهما أخلاقي والآخر نفسي.

إنَّ النصين – بصورة مباشرة وغير مباشرة – يجعلان من العدالة كقيمة أخلاقية قوة مؤثرة في سلوك الأفراد الباحثين عن إشباع لحاجتهم في الانتماء الاجتماعي والحصول على تقدير الجماعة أو المجتمع، والمضمون الأخلاقي للعدالة المطلوبة في النصين أن يشعر الفرد بأنه كالآخرين يود – كما يودون – في مصاحبة الناس بنفس المعاملة التي يود المرء أن يصاحبوه بها، فالقسمة عدل، فعلى الفرد أن يصاحبهم بمثل ما يحب أن يصاحبوه، فالإحساس الموحد بالآخرين والاتحاد بوجدانهم في صحبتهم بنفس ما يرغب هو عدالة في توزيع الشعور الاجتماعي، وفي تحقيق الاشباع لهذه الحاجة لديه ولدى الآخرين.

---

(١) الآمدي التميمي، كتاب ((غرر الكلم ودرر الحكم))، رقم الحديث ٩٥٥، ج٢ ص ٢٠٢ .

(٢) الموسوي، الروائع المختارة، الحديث رقم ٨٢، ص ١٣٩ .

(٣) الروائع المختارة ص ١٩ .

(٤) كلمة الإمام الحسن ص ٤٥، ٤٩ .

٢- نموذج النص الثاني.

ويقول الإمام الحسن ﷺ في نص أخلاقي آخر:

« أمَّا الكرم فالتبرع بالمعروف، والإعطـاء قبل السؤال[١] ».

إن الكرم – كما في ثقافتنا الاجتماعية اليومية – سمة أخلاقية لها علاقة بإشباع حاجة الفرد للمال، لكن عملية الاشباع لم تترك بدون ضبط، وهنا يتجلى السمو الأخلاقي في عملية إشباع حاجتنا إلى المال، ومضمون الحديث أن الشخص الكريم يتبرع بماله لشخص أو يعطي المحتاج وغير المحتاج دون منٍّ أو معايرة أو إهانة، وهذا ما عناه النص التربوي الحسني " بالتبرع بالمعروف " وهو يصف سلوك الكرم كقيمة أخلاقية، حيث يوصف سلوكه بالتبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال لأنَّ العطاء قد تم بالمعروف على يد المعطي للمحتاج أو للشخص الذي خصه الكريم بعطائه، وبنبل أخلاقي يخلو من استكبار في النفس أو منٍّ أو تعيير وإهانة، ودون اضطرار المرء المحتاج أو المهدي له بهدية أو الضيف دون إراقة ماء الوجه، ويفسر نص آخر المعروف هنا بهذا المعنى الأخلاقي فقال الإمام الحسن بن علي ﷺ بما لفظه:

« المعروف ما لم يتقدمه مطل ولا يتبعه منٌّ، والإعطاء قبل السؤال من أكبر السؤدد[٢] ».

وتقول بعض المصادر الروائية أنه أتى الإمام الحسن: رجل في حاجة، فقال عليه أفضل الصلاة والسلام له: اذهب فاكتب حاجتك في رقعة، وارفعها إلينا نقْضِها لك، فرفع إليه حاجته فأضعفها له، فقال بعض جلسائه: ما أعظم بركة الرقعة عليه يا ابن رسول الله؟ فقال ﷺ: بركتها علينا أعظم، حين جُعِلْنا للمعروف أهلاً، أما علمت أن المعروف ما كان ابتداءً من غير مسألة، فأما أعطيته بعد مسألة فإنّما أعطيته بما بذل لك من ماء وجهه، وعسى أن يكون بات ليله متململاً أرقاً يميل بين اليأس والرجاء، لا يعلم لما يتوجه من حاجته، أبِكآبة الرد أم بسرور النُّجح ؟ فيأتيك وفرائصه ترتعد، وقلبه خائف يخفق، فإنْ قضيت له حاجة فيما بذل لك من ماء وجهه فإنَّ ذلك أعظم ممَّا نال من معروفك[٣] » .

لهذا كان عطاء الكريم وتبرعه موصوفاً بالمعروف بمعناه المتقدم، فيعطي من يعطي من المحتاجين وغيرهم ممن يستحق التقدير قبل أن يطلب منه وقبل أن يسألوه الإعطاء، ويلحظ من النصين تحقق الإشباع بدرجة عالية من السمو الأخلاقي بدرجة عالية لا يداخل قلبه منٌّ أو تعيير أو استكبار وعلو في النفس على الغير، ولم يصاحب إحساسه مشاعر عدائية كالمن والتعيير التي تسيء للمعطى وتريق ماء وجهه، كل ذلك في

---

(١) الموسوي، الروائع المختارة، رقم الحديث ٩٢، ص ١٤١ .

(٢) كلمة الإمام الحسن ﷺ ص ٢٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

أمر يخص المال، وهو كما يعلم الناس صعب في النفوس، لذلك وصف موقف الكريم بالمعروف كمظهر عملي على عفاف النفس واستقامتها الأخلاقية في إشباع حاجة الناس للعطاء المادي وغير المادي.

٣- نموذج النص الثالث.

وفي هذا النص يقول المجتبى الإمام الحسن الزكي بن علي عليهما السلام: « فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها[١] »، سواء كانت الحاجة هنا "مادية" أو "غير مادية" فإنَّ النص أعلاه ينطوي على احتمالين أساسيين وهما:

أولاً: طلب الحاجة من أهلها .

في هذا الخيار ينجح الفرد في تحديد الجهة التي يطلب منها حاجته، فيكون طلبه لحاجته من أهلها، لكن يواجه المرء هنا بأكثر من موقف يتباين فيه حجم تحقق "الاشباع" لدى الفرد، وترتفع بالكلية مشاعر الإساءة:

الموقف الأول:

هو لموقف طرف من أهل الحاجة، لكنه لا يملك ساعة الطلب القدرة على الاستجابة لتحقيقه، وهنا يضمن طالب الحاجة تحقّق أمرين أحدهما أن لا يعاير أو يمن عليه، والآخر وعد لطالب الحاجة بتحقيق طلبه أو مساعدته .

الموقف الثاني:

وموقف ثانٍ لطرف هو فعلاً موقف موفق بنسبة محددة لأنَّ طلب تم من "أهل الحاجة"، ويملك تحقيق الطلب بقدر أقل من مستواه، وفي هذا الموقف يضمن طالب الحاجة تحقيق بعض الطلب دون مستوى الاشباع المطلوب، ولكن في الوقت نفسه يخلو التحقق الجزئي للطلب من المنّ ومن المعايرة بنحو يريق ماء الوجه .

الموقف الثالث:

وهذا الطرف الثالث قادر على قضاء الحاجة كاملة مع ضمان عدم المعايرة، وفي هذا يحدث تحقق كامل للإشباع، وهو أفضل من المستويين السابقين بمقاييسنا الدنيوية، لكن مسألة الإثابة بيد الله وحده .. سبحانه وتعالى .

الموقف الرابع:

وهذا الطرف يملك القدرة على قضاء حاجة الفرد دون من أو تعيير مع زيادة في حجم العطاء، وبنحو يتجاوز الطلب ومقدار الحاجة كأن يضاعف حجم الحاجة ضعفين، فيعطي بدل المائة دينار مائتين.

---

(١) الموسوي، الروائع المختارة ن الحديث ٩٠، ص ١٤٠ – ١٤١

ثانياً: طلب الحاجة من غير أهلها.

وهنا يرى الإمام الحسن المجتبى في غير محله على الإطلاق لما ينطوي عليه الطلب من إحباط متوقع أو فشل ذريع أو شعور بالإهانة كالمنّ والتعيير، فهذا الخيار مرفوض أخلاقياً لدى الإمام لأنَّ الاشباع قد يتحقق، لكنه مصحوب بالمنّ والتعيير والإساءة للكرامة الإنسانية، ونعتقد أنّ الإمام الحسن ﷺ طالب جموع الناس على مختلف مشاربهم بـ "تفويت الحاجة"، وعدم طلبها من أشخاص ليسوا أهلاً لها، وخيار التفويت المصرح به في باطن النص هو خيار صحيح وموقف أخلاقي نبيل لأنَّه لا يوجد إنسان يرضى بجرح كرامته إلاَّ لئيماً في داخله، فالمألوف في التركيبة الإنسانية السوية أن يتحسس الفرد مشاعر العزة ويأبى الإهانة لنفسه أو سلب كرامته، وبالتالي لا فرار من الاستجابة الكاملة لكلام الحسن وتنفيذه بلا تردد « فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها [1]»، وبمقتضى هذا الموقف يفضل الإمام الحسن ﷺ في توجيهه للناس التنازل عن إشباع لحاجته بطريقة مذلة كأن يسمع كلاماً مشيناً أو ينظر إليه بنظرة احتقار أو يدفع إليه بطريقة مسيئة، فترك طلب الحاجة من غير أهلها يفسره قول الإمام علي ﷺ: « من احتجت إليه هنْت عليه[2] ».

وفي نص حدد الإمام الحسن " أهلها .. أي أهل الحاجة" المعنيين في النص السابق، فقال: إذا طلبتم الحوائج، فاطلبوها من أهلها، قيل يا بن رسول الله ! ومن أهلها ؟ قال: الذي خصَّ الله في كتابه، وذكرهم فقال: "إنَّما يتذكر أولو الألباب" هم أولو العقول[3] ».

وبعد السرد المتقدم يلحظ أن – كلا الاحتمالين– يرتبط الإشباع فيهما بأحد موقفين أخلاقيين متنافرين لا يلتقيان، أحدهما هابط النزعة، ومصحوب بالمنّ والتعيير وإراقة ماء الوجه من طالب الحاجة، أمَّا الموقف الثاني فموقف إنساني نبيل يعبر عن سمو أخلاقي وأريحية، فالإشباع في الموقف الثاني غير أخلاقي حتى لو تحقق في أحسن حالاته، أما الاشباع في الموقف الأول موقف نبيل حتى لو لم يتحقق في أسوأ حالاته .

---

(١) كلمة الإمام الحسن ﷺ ص ٢٠١ .

(٢) التميمي الآمدي، كتاب غرر الحكم ودرر الكلم، ج٢، رقم الحديث ٩٥٥، ص ٢٠٢.

(٣)كلمة الإمام الحسن ﷺ ص ٦٦ .

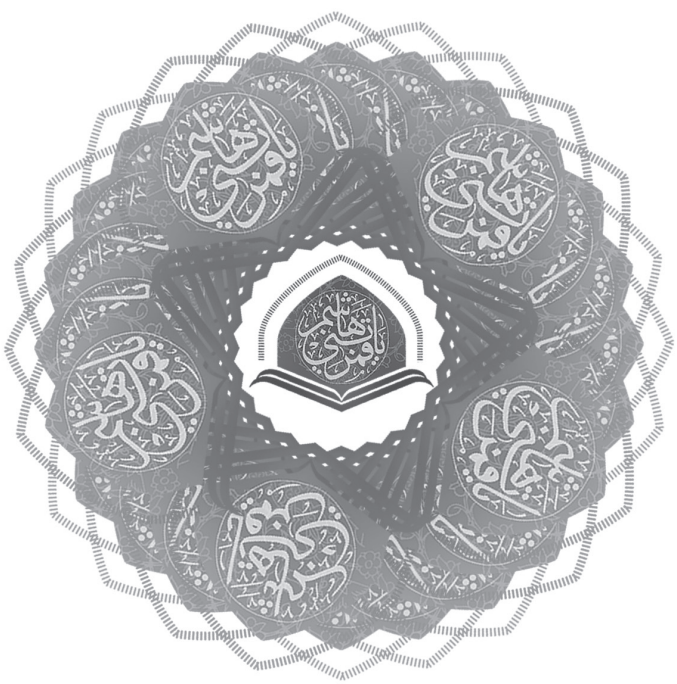

بدر ومستوى الأمة

الشيخ عبد الرزاق فرج الله الاسدي

معركة بدر تجربة تربوية

ارتبط اسم بدر بموقعها التأريخي والجغرافي معا، فهي وادٍ في الطريق بين مكة والمدينة، ولعله كان موسماً هاماً من مواسم العرب يترددون إليه في فترات متعاقبة ومنطقة يتوفر فيها الماء والكلأ، مما جعلها مرتعاً للنزاهة والراحة ولذا ورد:-

(إنّ أبا سفيان أرسل إلى قريش حين نجت تجارتهم يقول لهم: إنكم خرجتم لتمتّعوا عيركم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا ورأى راية من قريش عدد قليل لكن أبا جهل ما لبث حين سمع هذا الكلام أن صاح: والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم فيها ثلاثاً ننحر الجزر ونطعم الطعام، ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان)[1].

وجاء أيضاً: (وأمر رسول الله ﷺ بالرحيل إلى بدر وهو بئر، وفي حديث أبي حمزة الثمالي، بدر هو رجل من جهينة، والماء ماؤه وإنّما سمي باسمه.. الخبر)[2].

ومهما يكن موقع بدر وسبب تسميتها، فلا يهمنا سواء اتصلت تسميتها بموقع جغرافي أو باسم رجل معين، فإنما المهم من ذلك كله أن نسلط الأضواء القرآنية عليها بصفتها تجربة تربوية لعزائم الأمة في طريق كفاحها ضد الشرك الطاغوتية.

فهي الواقعة الأولى التي خاض المسلمون تجربتها بأحسن الأداء، واهتم القرآن الكريم بملازمة أحداثها وظروفها بالذكر والعرض، وكشف الحقائق التي تستحق الكشف لصلتها بتربية وإعداد الأمة.

وبين أيدينا سورة الأنفال، وهي التي احتضنت أحداثها بالذكر والعرض أكثر من بقية السور المباركة وكلمة (الأنفال) قد يراد بها معنى خاصاً.

أي: ما غنمه المسلمون في معركة بدر، أو معنى عاماً وهو: كل ما كسبه المسلمون من المشركين مما لم يوجف

---

(١) حياة محمد – محمد حسنين هيكل ص٢٦٠ .

(٢) تفسير الميزان – للسيد الطباطبائي ج٩ ص٢٦ .

عليه بخيل ولا ركاب، كبطون الأودية، ورؤوس الجبال، وهو ما يسمى بالفيء أحياناً باصطلاح الفقهاء، وقد جاء في بعض الروايات، أن الفيء والأنفال شيء واحد.

وسورة الأنفال سورة مدنية، وإن ذهب البعض كمجاهد وابن عباس إلى أنها مدنية عدا سبع آيات، تبدأ بقوله تعالى: **(وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)**[1].

وقال البعض أنّ السورة نزلت كلها في واقعة بدر الكبرى، وقيل: نزلت بعد الواقعة وهي تشرح أحداثها ونتائجها.

ولا تشكل هذه الأقوال عقبة في طريق النظر إلى السورة المباركة في جوّها العام، من العرض التذكيري والتربوي، بتناول وكشف نقاط القوة تارة، ونقاط الضعف تارة أخرى، واقتباس الدروس التربوية من معالم هذه الواقعة المشرفة.

السلبيات في طريق التربية

من خلال العرض الذي تكلفته السورة المباركة لأحداث بدر، ذكرت مواضع ضعف، وكشفت عن ظاهرتين سلبيتين في الأمة، تمخضت عنهما تلك الواقعة إلى جانب النتيجة الكبرى وهي النصر الذي كتبه الله تعالى للأمة، ولكن تتمخض من عرض هاتين الظاهرتين مفاهيم فكرية ودفقات روحية تقع في طريق الإعداد والتربية للأمة لمراحل الجهاد والمنازلات القادمة:

الظاهرة الأولى: الكره والجدال

عندما بدأت الخطوات الأولى على طريق المنازلة التأريخية وعند الخروج من المدينة، فقد لوحظ شيء من التثاقل والتباطؤ في السير، ينم عن وجود كراهية في بعض النفوس للقتال.

(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ)[2].

والآيتان بمنطقهما التربوي تفترضان أنّ السير إلى الجهاد ليس سوقاً إلى الموت كما يتصور المتثاقلون وضعاف النفوس، حيث لم يميزوا بين الموت وبين مفهوم الجهاد الذي تتمثل فيه عناصر وأسباب العزة والحياة الكريمة.

فقد عقدت الآية هذا التشبيه بين حالة التثاقل وبين الشعور بالموت لأمرين:

---

(١) الأنفال: ٣٠

(٢) الأنفال: ٥ – ٦ .

الأول: الوضع والصورة التي كان عليها بعض المسلمين حين التجهز للخروج، وهي صورة تعبر عن المضاضة والألم والتكاسل، مما يكشف عن الكره وعدم الرضا من البعض.

الثاني: بيان المغزى التربوي من هذا التشبيه وهو إشعار الأمة بأنّ السير إلى الجهاد كما أمر الله، يختلف تماماً عن السوق إلى الموت، لأنّ الله تعالى شرع الجهاد للحياة ومن أجل الحياة.

بماذا يتحدد معنى الحياة؟

وهل يتحدد معنى الحياة من خلال المنازلات العسكرية بالمقاييس المادية الصرفة؟ وهل يتحدد بالإطار النفسي والمزاجي المغلف؟

كلا وإنما حدده الله تعالى بما يرجى لديه من الخلود والنعيم المقيم للمؤمن، في مقابل العذاب الذي يصيب به الله عزّ وجل أعداءه من عنده أو بأيدي المؤمنين، كما أشار تعالى بقوله:

(وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)[1].

(قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ)[2].

قصة هذه الظاهرة

(قال أصحاب السير، وذكر أبو حمزة وعلي بن إبراهيم في تفسيرها – أي الآيتين:

(وإذ يعدكم .. وكما أخرجك ربك من بيتك) أقبل أبو سفيان بعير قريش من الشام وفيها أموالهم وهي اللظيمة، وفيها أربعون راكباً مع قريش، فانتدب النبي ﷺ اصحباه للخروج إليها ليأخذوها، وقال: لعل الله أن ينفلكموها، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم، ولم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى كيداً ولا حرباً فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان . والركب لا يرونها إلا غنيمة لهم)[3].

وجاء أيضاً من خلال العروض التأريخية لأحداث بدر:

أنه لما نجت قافلة أبي سفيان (وأصبح الغد والمسلمون في انتظار مروره بهم فإذا الأخبار أنه فاتهم وأن مقاتلة قريش هم الذين لا يزالون على مقربة منهم، فيذوي في نفوس جماعة منهم ما كان يملؤها من أجل الغنيمة، ويجادل بعضهم النبي ﷺ كي يعودوا إلى المدينة، ولا يلقوا القوم الذين جاؤوا من مكة لقتالهم وفي

---

(١) النساء: ١٠٤ .

(٢) التوبة: ٥٢ .

(٣) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج٩، ص٢٤ نقلاً عن المجمع .

ذلك نزل قوله تعالى (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين..)[1].

زاويـــة للنقـد

ومن خلال التثاقل والتباطؤ والجدال الذي يكشف عن كره في نفوس البعض لملاقاة العدو، تنفتح نافذة لنقد هذا الموقف الذي لم يكن فيه المسلمون بمستوى مسؤوليتهم بما يتطلبه الموقف منهم كحملة رسالة.

ولكن بالرغم من وجود إرادتين متعارضتين في المسلمين آنذاك، إرادة للدنيا وحطامها، وإرادة لله والآخرة، فعلينا ملاحظة الأمور التالية:

أولاً: بما أنّ الله تعالى وعد المسلمين إحدى الطائفتين، وودّ الضعفاء أن غير ذات الشوكة تكون لهم، فقد نفذت في نهاية المطاف إرادة الله تعالى، واختار لهم طائفة ذات الشوكة لأنه ولي التخطيط والتوجيه لهذه المعركة، ليتحقق الغرض الذي عبر عنه القرآن الكريم، بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وقطع دابر الكفر والكافرين.

ثانياً: لولا أنّ هناك صوتاً كبيراً من أصوات الاستبشار والرضا بقرار السماء، ولولا أن هناك نفراً قوياً أعلنوا الاستعداد للبذل والتضحية بالنفوس والدماء في سبيل إعلاء كلمة الله..وهوّنوا من خطر ذلك الصوت المغلف بضعف الإنسان وطمعه في الحياة الدنيا، لولا ذلك كله ما كان ليتحقق ذلك الغرض الذي اختار الله لتحقيقه المواجهة.

ثالثاً: إنّ ذلك الصوت الضعيف كان من مجموعة قليلة من الذين ألهتهم أموالهم وشغلهم حب الدنيا والحطام الزائل، فراحوا يعلنون أصواتهم باليأس والتشاؤم وينادون بالتمهّل، وهم لا يريدون أن يبذلوا ولو ذرة من العناء في سبيل الله تعالى، ولم يكن ذلك الصوت صادراً من الأمة كلها.

رابعاً: إنّ ذلك الصوت وإن كان يدل على الضعف في بعض النفوس، والشعور بالوهن أمام الدنيا وأمام العدو، إلا أنّ مثل هذا الضعف في بعض النفوس لا تخلو منه أمة قوية، ولا موقف من مواقف الأمة القوية فهو يصدر من أُناس تضيع أصواتهم وسط الأعم الأقوى.

ولقد ضاعت تلك الأصوات وسط موج كبير من أصوات الأمل والاستبشار والاستعداد للحرب انطلاقاً من نداء القرآن الكريم.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ

(١) حياة محمد ﷺ/ محمد حسنين هيكل ٢٦٠ .

المُؤْمِنِينَ)[1].

فعلى هذا الأساس العقائدي نفض المؤمنون غبار الضعف والذل والخمول وتدرعوا بالعزيمة والتصميم، وراحوا يشقون عباب اليأس بأشرعة الأمل وذلك:

(عندما استشار رسول الله ﷺ أصحابه وأخبرهم بما بلغه من أمر قريش) فقام إليه المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله إمض لما أراك الله فأنا معك، والله لا نقول كما قال بنوا إسرائيل لموسى عليه السلام إذهب أنت وربك قاتلا وإنّا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، وسكت الناس فقال الرسول ﷺ:

أشيروا عليّ أيّها الناس – وكان يريد بكلمته هذه الأنصار الذين بايعوا يوم العقبة على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ولم يبايعوه على اعتداء خارج مدينتهم – فلما أحس الأنصار أنه يريدهم وكان سعد بن معاذ صاحب رايتهم التفت إلى محمد ﷺ وقال:

لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال أجل، قال سعد:

لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض لما أردت فنحن معك، فو الله الذي بعثك لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، وما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى الله بنا عدونا غداً انا لصبر في الحرب، صدق في اللواء، لعل الله يريك منا ما تقربه عينك فسر بنا على بركة الله.

ولم يكد سعد يتم كلامه، حتى أشرق وجه محمد ﷺ بالمسرة، وبدى عليه كل النشاط وقال: (سيروا وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين)[2].

ثمرة القرار المشترك

ومن خلال الخطاب الخالد الذي ألقاه النبي ﷺ مسامع المسلمين، يبين جوهر الصلة الوثيقة بين القائد والأمة، تلك الصلة التي تعدّ من مميزات البنية السياسية للأمة.

فقد راح النبي القائد ﷺ يخاطب الأمة بأروع وأدق الأساليب، وأصرحها بياناً، وهو يطرح مبدأ المشاورة بقوله: أشيروا عليّ، بالرغم من قراره الصائب بحكم الصلاحيات الموكلة إليه من السماء، كرسول مبلغ عن الله تعالى، وقائد يتميز بالفكر والوعي والإرادة، فمن الطبيعي سوف يقابل قراره هذا، بتصميم وإيمان وتحفز من الصفوة المؤمنة من أصحابه وقد حقق رسول الله ﷺ بخطابه غرضين مهمين:

---

(١) الصف: ١٠ – ١٣ .

(٢) حياة محمد ﷺ محمد حسنين هيكل ٢٥٨ – ٢٥٩ .

الأول: وضع اللمسات على نبض الأمة، وكشف مستوى الاستعداد والإمكانات القتالية، ومعرفة مدى عمق الحس الإسلامي بالمسؤولية الملقاة على عاتق الأمة تجاه رسالتها، وليلمس مؤهلات القيادة لدى الشخصيات التي من حقها أن تتصدر مسيرة الركب إلى الجهاد وتكون قدوة المقتدين.

ولذلك كانت كلمة – (وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين)....قد مداها في أعماق القلوب المؤمنة ممن نذروا أنفسهم للرسالة اخذ صداها كذلك يصك مسامع الذين كرهوا الجهاد بغية الظفر بطائفة غير ذات الشوكة، ليقشع عن قلوبهم سحابة الطمع وحب الحطام الزائل.

الثاني: إشعار الأمة بشخصيتها وهيبتها وقيمة رأيها إلى جانب رأي القائد فإنه الرجل الذي يتفاعل قلبه مع قلب الأمة، ورأيه مع رأيها، فهو لا يرضى لنفسه أن يعيش لذاته، أو يستقل بقراراته وإن كان صائباً، بل هو منها وهي منه في الفكر والشعور، والإيمان والمسؤولية، والحب والثقة.

الموقف من شعار الديمقراطية

كثيراً ما وضع مصطلح الديمقراطية في أسواق المزاد السياسي وكثيراً ما أصبحت بضاعة يقايض بها لشراء المناصب السياسية والسلطة في الأرض، وعناوين تحملها وسائل الإعلام العالمية، وشعارات تملأ بها جدران الأبنية العامة عندهم، لترويج سيادة حكام الغرب الذين ينادون بالحريات في المجتمعات الرأسمالية.

والأمة من شرق الأرض إلى غربها تسمع وترى من ذلك الكثير، وهي تستوعب مدلول ما تسمع وترى، لأنها لم تتعامل مع مجتمعنا المسلح مدلولها من تأريخ الرسالة الإسلامية التي فرضت سيادتها العادلة على مجتمع الجزيرة العربية حيث ينتقل النبي ﷺ بهذا المجتمع من القرار المنفرد والانعزال السلطوي، إلى القرار الموحد، والوقف الاجتماعي والاشتراك السياسي الذي لا يخرج بالأمة عن إطار المصلحة الإسلامية العامة، ولا عن منهج الطاعة المطلقة للحاكم العادل.

في الوقت الذي كان واقع الجزيرة العربية يحتوي على مجتمع من البشرية، تحكم منه طبقة متزعمة بالمال والسيطرة بالجاه، ولها حق السيادة على جميع القبائل، وطبقة أخرى ترى لنفسها حق التكلم باسم السماء في سبيل الذات وهي طبقة الأحبار والرهبان.

فهناك طبقتان، طبقة جمعت بيدها زعامة الأرض وطبقة جمعت بيدها زعامة الأرض والسماء، لغرض التحكم الباطل في رقاب الضعفاء الأرقّاء، وقد جاءت رسالة السماء الإسلامية، التي هي رسالة تطوير وتحرير:

لتفهم هذا المجتمع أنهم بشر لهم الحق في الحرية والنور، وأنهم مغلولون لهم الحق في الانعتاق وأنّ هؤلاء الذين يدّعون الزعامة في الأرض من كلا الطبقتين، ليسوا سوى عبيداً مخلوقين لله تعالى.

ولتفهمهم أنّ المقياس للتفاضل هو: مقدار ما يؤديه كل فرد للناس من خدمات، وأنّ هؤلاء المتزعمين، ما هم إلا مفترون على الله تعالى، يشترون بآيات الله ثمناً قليلا.

ولتفهمهم أن الحاكم الذي يتسنم مركز القيادة، ويستلم زمام الإدارة في الأمة كرسول الله ﷺ يتمتع بشخصيتين:

شخصيته الذاتية البشرية، التي يشترك في خصائصها وعوارضها مع كلّ البشرية وهذه الشخصية ملكه، ويعدّ فيها كأيّ فرد من الناس، يخضع لكلّ العوارض الطبيعية ويفتقر إلى كل ما تفتقر إليه الطبيعة البشرية.

وشخصيّته الموهوبة، وهي شخصية المنصب، بصفته حاكماً ووليّاً لأمر هذه الأمة، والشخصية هذه، هي ملك الأمة والرسالة التي اعتبر أميناً عليها.

وإذن – فلا يجوز أن يستفيد من هذه الشخصية فائدة لذاته ولا يسخر منصبه إلا لتطبيق عدل السماء على الأرض واستدرار رحمة الله على الحياة، ولا مصلحة له في هذه الشخصية إلا في حدود ما يحفظ كرامته ويرفع شأنه ومركزه في الأمة لأنّ في إكرامه وتعظيمه إكراماً وتعظيماً للرسالة، وتقديساً للأمانة التي يحملها.

(وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ)[1].

ولا شك أنّ العمل المشترك بين الحاكم والأمة – كما جاءت أمثلته على يد رائد الرسالة الأول محمد ﷺ كقائد شارك الأمة آلامها – وامتزجت متاعبه ومباهجه بمتاعبها وبمباهجها – أن هذا العمل هو الأسلوب التطبيقي للديمقراطية وأما الأساس النظري فهو ما أكده القرآن الكريم في بياناته وتعاليمه لرسوله ﷺ.

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[2].

(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ)[3].

فالديمقراطية في إيديولوجية المجتمع المسلم والحاكم المسلم ليست هي الشعار المجرد الذي تشتري به المصالح وتستدر به المنافع السياسية الخاصة كما ينادي بها الحكام الغربيون المتسلطون على العالم بقوة الحديد والتسلح.

وليست هي الفوضى واللاقيود، التي تلقي على كل فرد مسؤولية نفسه، وتتركه يتصرف كيف يشاء خارج حدود ضوابط القانون، وتتخلى عن ملاحظة الخطأ وشذوذ الأهواء والنوازع كما هو الحال في تسيب وانحطاط

---

(١) المنافقون: ٨ .

(٢) آل عمران: ١٥٩ .

(٣) الشورى: ٣٨ .

المجتمع الغربي.

قال تعالى: (**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**)[1].

ولما كان الإسلام صرخة هدم لأسس الاستبداد والتسلط من ناحية، والفوضوية واللاقيود من ناحية أخرى فقد أعد أعداؤه العدة لتطويق هذه الصرخة، واستهدفوا القيادة العليا المتمثلة في شخصية سيدنا الرسول الكريم ﷺ بالحملات التشويهية منذ ذلك التأريخ متهمين إياه بالسحر والجنون وغير ذلك، وحتى هذا الآن، الذي يسعى فيه الكفر والماسونية العالمية إلى التقليل من شأنه والحط من قدره والحرب ضد كل بلد يحتضن رسالته ﷺ بل يسعى أولئك إلى طمس اسمه وذكره، ويأبى الله إلّا أن يتم نوره.

ومما يؤلم – أكثر – أنّ هناك ممن سمّوا مسلمين توحيديين قد اندفعوا بنفس الحرارة وعلى نفس الغاية التي اندفع إليها سلطويّو الشرق وفوضويّو الغرب، وعلى ديدن أولئك القدامى الذين هاجموا سيدنا الرسول الأعظم ﷺ عدا الاختلاف في الأبواب والأساليب التي ينفذون من خلالها إلى طعن صميم الإسلام وصاحب الرسالة محمد ﷺ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

الإسلام ومدلول التعامل الديمقراطي

فإذا أردنا أن نقرأ الواقع السياسي لحياة الأمة في عصر الرّسالة الإسلامية، نجد أنّ الديمقراطية المهذبة تعيش في أعماق وسلوك القائد الإسلامي مع رعيته، عدلاً وإحساناً ومودّة ورحمة، وتـنمو نموًّا مطردًا في وعي وتصرّف الرعية، طاعة وتسليماً ووفاءً ونصيحة على منهج القائد الإسلامي.

سواء كان القائد هو الإمام المعصوم عليه السلام، أو من نصبه الإمام عليه السلام بالنّص الخاص وهو السلطان العادل، أو بالنص العام وهو الفقيه المجتهد المطلق، ولنقرأ ذلك من خلال الملامح الآتية:

١ – الرسالة وإنسانية التعامل

فقد جلّى لنا حبيبُ الأمّة رسول الله ﷺ هذه الحقيقة في سيرته العملية، وأعطى مفهوم الديمقراطية على مستوى التعامل بينه وبين الأمم والأديان الأخرى من ناحية، وعلى مستوى التعامل بينه وبين الأمة من ناحية أخرى.

أما على مستوى التعامل بينه وبين الأمم والأديان الأخرى، فقد سجل أمثلة إنسانية عالية، حيث كان من أولى خطواته التي خطاها في تنظيم مجتمعه الجديد، أن وضع وثيقة ينظم فيها العلاقات بين الطبقات الثلاث

(١) الشورى ١١ .

التي كانت تؤلف المجتمع.

وهذه الطبقات هي: (المهاجرون) الذين وفدوا من مكة إلى المدينة، و(الأنصار) من الأوس والخزرج في داخل المدينة، (واليهود) الذين كانوا يؤلفون جالية كبيرة في المدينة، فأقرّهم على دينهم وأموالهم، وشرط عليهم وأشترط لهم.

واتخذ شعاره من قوله تعالى: **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَّ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِّ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)**[1].

اتخذها شعاراً لعلاقته مع أهل الكتاب، فضمّنها كتابه إلى (النجاشي) ملك الحبشة، وإلى (هرقل) عظيم الروم، وغيرهما من رؤساء الأديان والأمم، فإن هم لم يستمعوا إلى دعوته، فلهم شأنهم وله شأنه، ولهم دينهم وله دينه.

على أنّ هناك مودة بين المسلمين والنصارى، ظهرت ملامحها وآثارها في إيواء النجاشي لمهاجري المسلمين، وفي استقبال رسول الله ﷺ لنصارى نجران في مسجده، والسماح لهم بأداء عبادتهم فيه.

٢ – إشراك الأمة في القرار والموقف

أما على مستوى التعامل بينه وبين الأمة: فإنّه ﷺ قد سجّل أمثلة إنسانية نبيلة، ومكارم خلقية باهرة، وشارك الأمة آلامها وآمالها، ومباهجها ومتاعبها، وامتزجت روحه بروحها، وأشعرها بوجودها، وأعطاها مكانتها وكرامتها، وأشركها في قراراته ومواقفه، كما حدث في واقعة بدر الكبرى، حين قام خاطباً يحرّض المؤمنين على القتال، فكان ﷺ يقول: (أشيروا عليّ...)

وهي من أروع الصيغ، وأدق الأساليب، التي يطرح فيها حدود مبدأ المشاورة، بالرغم من قراره الصائب، الذي يتصل بأمر الله عز وجل، مع كون النفوذ لكلمته وقراره، لأنّ كلمته من كلمة الله: **(وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى)**[2].

إلا أنّ عمله بالمشاورة في كثير من المواقف، يرتبط بمكانة واعتبار الأمة، استناداً إلى الأساس النظري لهذا المبدأ الذي أكده الله عزوجل في بياناته وتعاليمه لرسول الله ﷺ.

قال تعالى: **(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِّ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِّ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)**[3].

---

(١) آل عمران:٦٤

(٢) النجم: ٣-٤

(٣) آل عمران: ١٥٩

ونخلص إلى أنّ مفهوم الديمقرطية في إيديولوجية المجتمع المسلم والحاكم المسلم، بأنها ليست هي الشعار المجرّد الذي تُشترى به المصالح، وتُستدر به المطامع، كما ينادي بها سلطويو الشرق.

كما أنها ليست هي الفوضى واللاقيود التي تلقي على كل فرد مسؤولية نفسه، وتتركه يتصرّف كيف يشاء دون حدود ولا ضوابط، كما هو الحال في تسيب وانحطاط المجتمع الغربي الذي لم تعد عنده الديمقراطية إلا تعبيراً عن الانفلات والفوضى الداخلية، وعن القمع والازدراء والاستهانة بشعوب الأرض.

٣ - تبادل الأدوار بين الحاكم والرعية

ومن ملامح الديمقراطية التي أفرزتها التجربة الإسلامية هي: إكرام الناس واحترامهم وحبهم على أساس العدل، على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأديانهم وطبقاتهم، مما يدعو إلى التعامل المنضبط بين الراعي والرعية، بالنحو الذي يضمن تبادل الأدوار والمسؤوليات بينهما.

ملامح مما رسمه الإمام علي عليه السلام

فقد رسم لنا أمير المؤمنين عليه السلام في كثير من بياناته وخطبه، معالم هذه المسؤولية المتبادلة بين الحاكم والرعية، وذلك في عدة ملامح من شأنها أن تنضج المفهوم الحقيقي للديمقراطية، وهذه الملامح:

أ- الموقع السياسي مسؤولية لا منصب

قال عليه السلام: (يا ابن عباس، إنّ إمرتكم هذه لا تساوي قيمة هذا النعل إلا أنْ أحق حقاً، أو أبطل باطلاً)[1].

فقد حدد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام للموقع السياسي والإداري مفهوما رساليا، وأوجب أن ينضج في أذهان الساسة المسلمين الذين يتحرون الحق والعدل.

وهذا المفهوم هو: أن جعل الموقع السياسي أو الإداري مسؤولية لا منصبا، لأنه متى ما كان منصبا كان مصبّا للمنافع والمصالح.

أما المسؤولية فهي تصب في رعاية مصالح الأمة، وهي أمانة تجب رعايتها حق الرعاية من قبل المسؤول، ويجب أداؤها على أتم وجه .

أي: أنّ الموقع السياسي في منطق الإنسان المؤمن ما هو إلا وسيلة للوصول إلى غاية أنبل وهدف أسمى هو: إحقاق الحق، وإبطال الباطل، وإقامة العدل، والانتصاف للمظلوم من الظالم ولو كان ذا قربى.

لذا فقد جاء في تأبين الإمام علي عليه السلام ليلة وفاته: (رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أوّل القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً ...الضعيف الذليل عندك قويّ عزيز حتى تأخذ له بحقّه، والقويّ العزيز عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ

(١) تاريخ الفقه الجعفري: ١/ ٢٤١.

منه الحقّ، والقريب والبعيد عندك في ذلك سواء)[1].

وهذا الهدف، هو غير ما يفكر به السياسيون في العالم اليوم، حيث جعلوا الموقع السياسي والإداري سلطة تستدر بها المنافع وتستجلب بها الثروات، وتملأ بها المطامع.

ب – علاقة التناصح بين الحاكم والرعية

قال عليه السلام: (أيها الناس، إنّ لكم علي حقا ولي عليكم حق، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا، وأمّا حقي عليكم: الوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم)[2].

فقد حدد الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العلاقة بين الحاكم والأمة بعلاقة التناصح، على أساس معرفة كلّ منهما ما له من حق وما عليه من واجب، وأنّ الحقوق والواجبات متبادلة بين الحاكم والأمة، وليس هناك ما يميز الحاكم عن أيّ مكلف من أفراد الأمة، لذا يقدم لنا في صدارة الحقوق المتبادلة بين الحاكم والأمة هو: النصيحة.

إذ نستوحي من النص المتقدم: أنه يريد أن يغرس الشعور بضرورة التناصح بين الحاكم والأمة، لأنّ الأمة إذا تهيبت من نصيحة الحاكم كان ذلك الصمت خدعة له، وغشا لوظيفته، وخيانة للأمة.

لذا قال: عليه السلام في موضع آخر: (إن أعظم الخيانة خيانة الأمة وأفضع الغش غش الأئمة والسلام)[3].

فهنا يفتح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الطريق أمام أي فرد من أفراد الأمة، ليقدم ما يجول في نفسه، وما يخالج فكره من رؤية تتحرّك باتجاه النصيحة له، وكأنه القاصر عن الوصول إلى الموقف الصحيح، لكيلا يدع الأمة تذوب في شخصية الحاكم خوفا منه، وتحفظًا على مصالحها لديه.

لذا قال عليه السلام في موضع آخر: (فلا تكلموني بما تكلمون به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة)[4].

أي: أن لا تهابوا لديّ منصبًا، أو مركزًا سياسيًّا، أو جاهًا، فيمنعكم عن مصارحتي بالحق ودعوتي إلى العدل، ولا تتحفظوا على مصالحكم من الضياع، أو تخافوا أن أبادركم بالحدّة والغضب وعدم الرّضا عنكم (ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالا في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظام لنفسي، فإنه من استثقل الحقّ

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٥ / ١٩٦.

(٢) نهج البلاغة: ١ / ٧٨ .

(٣) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي –: ٣٣ / ٥٢٩.

(٤) المصدر نفسه،: ٢٧ / ٢٥٣.

أن يقال له، والعدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشورة بعدل، فإني لست بنفسي بفوق أن أخطئ)[1].

وعلى هذا، لابد وأن ينطلق الحاكم للقبول والرضا بما تقدمه الرعية، من أعمق حالات التواضع لها، ومن أدق مواقع نقد الذات، والتضحية بالمصالح والأنانيات، وأن يتنازل عن ذاته وموقعه في السلطة في سبيل إحقاق الحق وإبطال الباطل.

ج – التحرّك باتجاه كسب الطبقة العامة

قال عليه السلام: (إنّ سخط العامة يجحف برضا الخاصة، وإنّ سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة)[2].

فقد أكد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على الحاكم أن يفتح صدره للأمة، وأن يتحرّك في كسب الطبقة العامة من الناس، حتى ولو سخط خاصتهم، حيث تنقسم الأمة على طبقتين: طبقة الخاصة وطبقة العامة.

أما الخاصّة من الناس: في نظر الإمام علي عليه السلام فهم أثقل الطبقتين على الحاكم، إذ غالبا ما تتحرّك بهم نوازع الذات نحو نمط مرفه من العيش في الحياة، في الوقت الذي يتحرك الحاكم على ضوء مقاييس الحق والعدل والمساواة.

لذا وصفهم عليه السلام في موضع آخر بقوله: (وليس أحد أثقل على الوالي من الرعية مؤونة في الرخاء، وأقلّ معونة في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكرا على الإعطاء، وأبطأ عذرا عند المنع، وأضعف صبرا عند ملمات الدهر، من أهل الخاصة، وإنما عماد الدين وجماع المسلمين، والعدة للأعداء: العامة من الأمة، فليكن صغوك لهم وميلك معهم)[3].

لأنّ العامة من الناس في نظر الإمام عليه السلام، يشكلون الرّصيد والقاعدة الشعبية الداعمة للحاكم، ويختزنون في داخلهم عناصر القوة والصلابة والوفاء والقدرة على التحمل، فعلى الحاكم أن لا تأخذه في الله لومة لائم في إرضاء هؤلاء، والإصغاء إليهم، واحترام قضاياهم ومطالبهم، ولو على حساب الخاصة.

د – الظهور والتعايش مع الرعية

قال الإمام علي عليه السلام في موضع من كلامه: (أأقنع من نفسي أن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره

---

(١) بحار الأنوار – للعلامة المجلسي – : ٢٧ / ٢٥٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٣ / ٦٠١.

(٣) المصدر نفسه: ٣٣ / ٦٠١.

الدّهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش)[1].

وقال لأحد ولاته: (**فَلاَ تُطَوِّلَنَّ اِحْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ اِحْتِجَابَ اَلْوُلاَةِ عَنِ اَلرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ اَلضِّيقِ، وَ قِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ، وَاَلِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا اِحْتَجَبُوا دُونَهُ، فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ اَلْكَبِيرُ وَ يَعْظُمُ اَلصَّغِيرُ، وَ يَقْبُحُ اَلْحَسَنُ وَ يَحْسُنُ اَلْقَبِيحُ، وَ يُشَابُ اَلْحَقُّ بِالْبَاطِلِ**)[2]

فقد دعى الإمام أمير المؤمنين ﷺ الحاكم أن يكون على صلة بالأمّة، وأن يشاركها مشاركة وجدانية، وأن يظهر مع رعيته بين حين وآخر، ولا يتقوقع ويحتجب عنها في موقع الرئاسة محاطا بالحمايات والجند والحرس.

بل عليه أن يتعايش مع مشاكلها وقضاياها ومعاناتها، وأن يستمع إلى شكاواها، وأن لا يقتصر على ما يسمع وما يكتب له من صحائف تحمل الشكاوى.

لأنّ بظهور الراعي لرعيّته – على الأقل – إشعاراً لهم بأنه يتجه إليهم بتفكيره وأحاسيسه، وبذلك يعطف عليه قلوبهم ويشدّ إليه إحساسهم.

وعلى العكس فإنّ احتجابه عنهم يجعله غائبا عن مشاكلهم، جاهلا بقضاياهم وأحوالهم وما يمرون به من المعاناة والضيق.

فقد ركز الإمام أمير المؤمنين ﷺ في كلماته على ما يترتب على احتجاب الحاكم عن رعيته من نتائج وآثار تتلخص في ما يلي:

1. الاحتجاب شعبة من الضيق، بمعنى: أنه يؤدي إلى تفاقم المشاكل، وبالتالي تتعقد الحياة وتتراكم همومها على الرعية لعدم المتابعة لوضع الحلول لهذه القضايا تباعا.
2. الاحتجاب يؤدي إلى قلة أو انعدام العلم بأحوال الرعية، إذ تحتجب أخبارها عن الحاكم وقد لا تصل إليه مجريات أمورها إلا عن طريق خواصه ومحيطه من ذوي الأغراض الذين يجدون في تزوير الأخبار وتغيير المطالب سبيلا إلى الغايات والمآرب.
3. الاحتجاب عن الرعية يؤدي إلى استبعاد ذوي الفضل وأصحاب الرأي من الناس الذين يمكن أن يستفيد الحاكم من حصافة رأيهم ومشورتهم، وقد تصل الحالة إلى تحقير هذه الطبقة وتنفيرها وتقريب الخدم والجند.

وبذلك تتفاقم النقمة في نفوس الرعية ويتحاملون على سوء الظن بالحاكم، لأنهم لم يشعروا برعايته،

---

(١) نهج البلاغة: ٢ / ٥٣.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٧٤/ ص/ ٢٦٠

ولم يسمعوا منه ما يبرر غيابه عنهم، فتلتبس عليهم الأمور...(فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ اَلْكَبِيرُ وَ يَعْظُمُ اَلصَّغِيرُ، وَ يَقْبُحُ اَلْحَسَنُ وَ يَحْسُنُ اَلْقَبِيحُ، وَ يُشَابُ اَلْحَقُّ بِالْبَاطِلِ..).

هـ - التواضع لكلّ طبقات الرعية

قال عليه السلام: (واخفض للرعيّة جناحك، وألن لهم جانبك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك والسلام)[1].

فقد وضع الإمام علي عليه السلام أساساً للحريّة والمساواة في حقوق الأمّة بالتعبير عن آرائها ووجهات نظرها من ناحية، وفي عرض مشاكلها وقضاياها التي تتطلب الحلول.

وهذا الأساس هو: أن يساوي الحاكم بين أفراد رعيته في حسن المعاملة، والتواضع لهم على اختلاف طبقاتهم، وهو ممّا يزرع الثقة في نفس كلّ فرد للتعبير عن رأيه وعرض مشاكله وقضاياه.

الظاهرة الثانية: التنازع على الفيء

ما حدث بعد انتهاء المعركة، وبعد أن ملك المسلمون زمام المبادرة العسكرية بالنصر المؤزر، فقد كان هناك تنازع وتخاصم يكشف عن حالة الضعف أمام حطام الدنيا، وعرض الحياة الزائل، لذا جاء قوله تعالى:

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لله وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا الله وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)[2].

والآية هذه تنطلق من السلبية تلك لتبني في النفوس عامل التقوى، أفضل زاد في الحياة الشاقة وتوصي في إصلاح هذا الشرح الذي لا يتناسب مع قيمة الإنتصار الباهر الذي أحرزه المسلمون على العدو وتؤكد على أن التخاصم والتنازع على الأنفال ليس من صالح المسلمين في شيء وهو يشكل خطراً على نتيجة المعركة وذلك:

أولاً: إنّ المشركين وإن صرفوا أنظارهم عن المسلمين وانهزموا ولكن ليستجمعوا قواهم ويعيدوا الكرة على المسلمين.

ثانياً: إنّ هزيمة المشركين هي أول هزيمة في تاريخ الشرك فالمطلوب من المسلمين في هذا الحال اليقظة التامّة، وأن لا يدعوا ثغرة ومنفذاً لعودة المشركين من جديد لأنّهم إن عادوا كانوا أقدر على إعادة الكرة بقوّة أكبر.

ثالثاً: إنّ التفاني والتنازع على حطام الدنيا بحد ذاته، أضعاف للروح المعنوية وإخماد لوهج العزيمة وتعكير

---

(١) بحار الأنوار/ للعلامة المجلسي / ٣٣ / ٤٨٢ .

(٢) الأنفال: ١ .

لصفو النفوس وودها وإخائها لأن المادة عامل تخريب وتفتيت لأواصر الأخوة، إذا كانت هدفاً مجرداً عن القيم.

فاهتم القرآن الكريم في هذه الجذوة التربوية من الآية، بسد هذا الضعف وأصدر حكمه القاطع أمام هذا الموقف، وأمر بالتقوى وإصلاح ذات البين والطاعة والإنقياد إلى أمر الله تعالى ورسوله.

أما التقوى: فهي صيغة عملية بمعان كثيرة ومواقف عملية حاسمة حية يترجمها المتقون على سلوكهم وحياتهم على صعيدي القانون والأخلاق.

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)[1].

والإصلاح فيما بينهم هو انطلاق للتفاعل الروحي على أساس الثقة والحب والهم المشترك والإنصهار في بوتقه التقوى، التي تؤهلهم لملازمة أهداف الرسالة وغاياتها السامية.

وأما الطاعة لله ورسوله، فهي تسليم وانقياد اختياري واع لكل قرارات وبيانات السماء، دونما تزلزل أو انكسار في النفس، لأن الله ورسوله أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

قصــة الموقف

وجاء في قصة هذا الموقف (أخرج سعد بن منصور وأحمد بن المنذر وابن أبي حاتم وابن حيان وأبو الشيخ والحاكم وصححه البيهقي وابن مردويه عن عبادة بن الصامت قال:

خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدراً فالتقى الناس، فهزم الله العدو فانطلقت طائفة في آثارهم منهزمين يقتلون.

واكبت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا تصيب العدو منهم غرة حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض.

قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب.

وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا نحن نفينا عنها العدو وهزمناه.

وقال الذين أحدقوا برسول الله: لستم بأحق بها منا ونحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو

(١) البقرة: ١٧٧ .

منه غرة واشتغلنا به، فنزلت (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول.. الآية) فقسمها رسول الله ﷺ بين المسلمين الحديث...)[1].

هذا جوهر الموقف – وهو الثاني – الذي تضعف معه إرادة الجهاد وتتضاءل نتيجة المنازلة، وعلاقة هذا الموقف بالموقف الأول وهو التثاقل في السير وكراهة القتال...تكون العلاقة بينهم على أساسين:

الأول: إن كلاً من الموقفين ضعف نفسي فالتثاقل ضعف أمام شوكة العدو وقوة سلاحه والتنازع على الأنفال ضعف أمام حطام الدنيا والمادة الزائلة، وكلاهما يتمثلان في حب الذات وإيثار المادة على مصلحة الرسالة.

الثاني: إنَّ الحكم الذي كان صادراً من الله تعالى في كلا الموقفين هو حكم بالحق سواء في الأمر بالخروج إلى الجهاد وملاقاة طائفة ذات الشوكة، أو القضاء بالأنفال إنها لله والرسول، ولا مغضبة في الحق ولا يجوز التنازل عن الحق في حال من الأحوال.

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)[2].

بل لابد من الإنصياع والإستجابة للحق لأنه اختيار الله تعالى، العالم المطلق بمصلحة الإنسان بالرغم من معاكسة ذلك لرغبات الإنسان ومطامحه الدنيوية.

(فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا)[3].

(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)[4].

زاويــة للنقــد

وربما كانت أو تكون هذه الظاهرة مثل سابقتها، ثغرة لتوجيه النقد والحملات ضد الإسلام، من حيث التشكيك بقدرته على تربية الأمة فقد يقال: إنَّ اختلاف المسلمين على سيف أو رمح أو متاع يكشف عن انهيار كل المثل والقيم المعنوية في الحياة الإسلامية فنقول:

أولاً: وإن كان يبدو هذا الاختلاف والتنازع أمراً غريباً، ومستهجناً في حياة أمة عاشت لرسالتها وتمثلت تعاليمها.

---

(١) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج٩، ص١٦ .

(٢) الأحزاب: ٣٦ .

(٣) النساء: ١٨ .

(٤) البقرة: ٢١٦ .

ولكن بأدنى التفات إلى أنّ القرآن الكريم استطاع بأي نحو من الأنحاء أن يصنع شخصيات عظيمة شامخة، أجمع على وجودها الأعداء والأولياء تتمثل في صحابة الرسول ﷺ الخلّص، الذين عاشوا بمستوى مسؤوليتهم.

وإنّ مجرد وجود مواقف شاذة عن جوهر حياة الأمة لا يمكن أن يكون مثاراً للشك في قدرة القرآن الكريم على تربية الأمة، ولا في قدرة الأمة على حمل مسؤوليتها.

ولا سيما وأنّ الخلاف والخصام كان يتمثل في مجموعة من المسلمين يستهويها جمع المال وبريق المادة، وهذا لا يدعو إلى الإستهجان والحكم على الأمة بأنها ضعيفة أو بعيدة عن تربية القرآن.

فكما لا يصح أن نحكم على مجتمع بأنه كافر إذا كانت غالبيتهم مسلمة ولا على مجتمع بأنه فارسي إذا كانت غالبيته تتكلم اللغة العربية فكذلك لا يصح أن نحكم عليه بالضعف إذا كانت غالبيته تمثل القوة في أروع صورها.

ثانياً: وإن أبى الناقد إلا لمغالطة بهدف الحط من مكانة القرآن الكريم ودوره في تربية الأمة.. فلا بد من القول: فليكن هذا الموقف ضعيفاً، إلا أنه وليد حالة نفسية خاصة، كان يعيشها بعض من المهاجرين والأنصار.

أما المهاجرون: فإنهم تركوا أموالهم ودورهم وعقاراتهم، وهاجروا فراراً إلى الله بدينهم، من ظلم قريش وإرهابها وجوها المكدر، فقضوا فترة من الزمن -بعد اليسر والثراء- حياة لا يغبطون عليها.

وهنا كان من حق كل فرد - بحكم حالته النفسية - أن يسلب ويأخذ لا لأجل الحصول على ما هو زائل- بل بعقلية إنسان يريد أن يسترجع حقاً من حقوقه المشروعة التي ضاعت غصباً وسرقة.

وأما الأنصار: فحالتهم النفسية ليست أفضل وأهون من حال المهاجرين، وإنما كانوا قد قدموا للمهاجرين كلّ ما يملكون من إمكانات مالية بحكم شعورهم بما يتطلبه حق الضيافة.

ومن الطبيعي أن يقف هؤلاء موقف الحائر بين أن يستمروا على ما تقتضيه شؤون الضيافة، وبين أن يقطعوا عن ذلك فيفشلوا في أداء هذا الحق كما يراد.

وبما أنّ الفرصة قد تهيأت لهم، وهم بأمس الحاجة إلى المال، فكانوا يتغالبون ويحوزون ما بوسعهم بعقليه المسلم الذي يشعر بواجب الضيافة ليؤديه.

ثالثاً: وليكن هذا الموقف ضعيفاً، فهو يحمل تبرير ضعفه معه وذلك: أنّ المسلمين من المهاجرين والأنصار، قد تأطروا - بحكم البيئة التي كانوا فيها- بأنماط سلوكية معينة لا يمكن لأية قوة اقتلاعها وتغييرها إلا بعد مرحلة زمنية طويلة.

فقد عاش المسلمون طباعاً ألّفوها من مجتمع الجزيرة العربية قبل الإسلام، وتأطروا بحياة السلب والنهب والغزو والقوة، فكانوا يجدون للسلب أثناء الحرب لذة وذوقاً طيباً.

فهل يمكن بمستطاع القرآن الكريم أن يغير هذا الواقع النفسي من جذوره في مدة قليلة؟ اللهم إلا أن تتبدل طبيعة الإنسان الذي عاش تلك الأجواء.

وواقعة بدر كانت بعد بدء دعوة الرسول ﷺ بسنوات قليلة، لأنّ بين بعثة الرسول ﷺ سنة ٦١٠، وبين هجرته سنة ٦٢٠، ٦٢١ مدّة عشر سنوات، كان المسلمون في هذه المدة في صراع نفسي مع الجاهلية المشركة وتحت سياطهم واضطهادهم.

ووقعت بدر في السنة الثانية للهجرة أي: في حدود سنة ٦٢٢، فما بين الواقعة والبعثة إلا اثنتا عشرة سنة إن كثرت، وبين الهجرة وبينها سنتان.

وعلى كل حال فالمسلمون حديثوا عهد بالإسلام وقد طغت تلك النزعة الجاهلية في ذلك الظرف، وفي تلك اللحظات الحاسمة، وهي لحظة غفلة الضمير وشرود الذهن عما يحيط الموقف من ملابسات الحرب والقتال.

فلا يصح -إذن - إلقاء اللائمة على القرآن الكريم، ولا على المسلمين الذين تصرفوا تصرفاً ليسوا على وعي بملابساته ونتائجه.

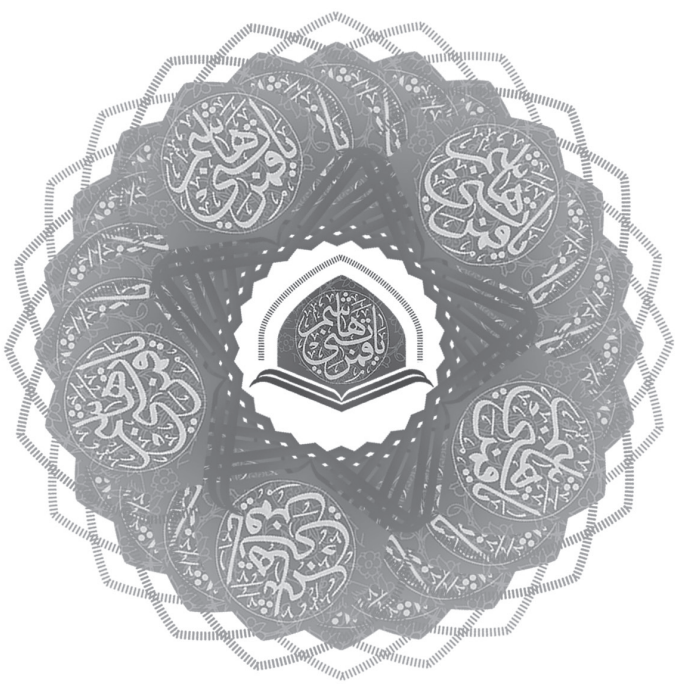

حق الله تعالى في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام

صباح نعيم الصافي

حق الله (تعالى) العام على العباد:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «... وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ...» (١).

وعنه عليه السلام: «عَلَيْكُمْ بِحُبِّ آلِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ حَقُّ اللهِ عَلَيْكُمْ وَالْمُوجِبُ عَلَى اللهِ حَقَّكُمْ أَ لَا تَرَوْنَ إِلَى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: «قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ (٢)**»** (٣).

وعنه عليه السلام: «حَقُّ اللهِ فِي الْعُسْرِ؛ الرِّضَا وَالصَّبْرُ وَحَقُّهُ فِي الْيُسْرِ؛ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ.»(٤).

وعنه عليه السلام: « أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لله أَلاَّ تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ»(٥).

وعنه عليه السلام: «... مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ الله عَلَى عِبَادِه، النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، والتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ... »(٦).

حق الله (تعالى) أعظم الحقوق:

أعظم الحقوق وأكبرها وأجلها هو حق الله (سبحانه) على عباده، فهو المنعم الأعظم والذي أسبغ على الإنسان وعلى كل المخلوقات نعماً ظاهرةً وباطنةً لا تعدُّ ولا تُحصى قال سبحانه وتعالى: «أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً » (٧).

---

(١) صبحي الصالح، نهج البلاغة، ط٢، (قم، مطبعة الوفا، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م) ص٤١٨ ٤١٩.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٣) عبد الواحد الآمدي (ت ٥٥٠) غرر الحكم و درر الكلم، تحقيق حسين الأعلمي، ط١، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م)، ص٢٠١.

(٤) أبو الحسن بن علي بن الحسين بن شفيق الجراني، (ت ٣٨١ هـ)، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله تحقيق: عي أكبر الغفاري: ط١ (بيروت: مؤسسة الفكر الإسلامي، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م) ص ٢٣٤.

(٥) صبحي الصالح، المصدر السابق، ص ٦٦٧.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٢٠.

(٧) سورة لقمان: الآية ٢٠.

ويمكن القول إن كل الحقوق الأخرى هي جزء من حق الله سبحانه، وأداء الحق الإلهي بوابة ومقدمة لأداء الحقوق الأخرى، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: « ... ثم جعل سبحانه، من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض ... »[1].وهذه الحقوق هي:

١ـ طاعته عزّ وجلّ.

٢ـ حب النبي محمد صلى الله عليه وآله .

٣ـ الرضا والصبر في العسر، والحمد والشكر في اليسر.

٤ـ عدم الاستعانة بنعمه (سبحانه) على المعصية.

٥ـ النصيحة بمبلغ الجهد، والتعاون على إقامة الحق .

الأول: طاعة الله عز وجلّ:

الطاعة لغة: الطوع: نقيض الكُره[2]، أي الانقياد[3]: والطاعة مثله لكن أكثر ما تقال في الائتمار بما أمر، والارتسام فيما رسم[4].

أما اصطلاحاً: هي الخضوع لله عزّ وجلّ وامتثال جميع أوامره ونواهيه[5]. ومما لاشك فيه أنَّ الطاعة من أشرف المزايا، وأشرف الخصال التي تؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة، قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾[6].

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[7]. فطاعة الله عزّ وجلّ تورث خير الدنيا والآخرة، وتركها يورث الخسران في الدنيا والآخرة، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «طاعة الله مفتاح سداد وإصلاح معاد»[8].

الثاني: حب الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله:

يُعدُّ الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله المثل الأعلى في كل نواحي الكمال، فقد بلغ القمة في الجانب العلمي

---

(١) صبحي الصالح، المصدر السابق، ص٤١٩.

(٢) ابن منظور، المصدر السابق، مج ٤، ص٢٧٢٠، مادة طوع.

(٣) ينظر الراغب الأصفهاني، ص ٥٢٩،مادة (طوع)، فخر الدين الطريحي (ت: ١٠٨٥هـ) معجم مجمع البحرين، تحقيق نضال علي، ط١، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م) ص ٥٢٩، مادة (طوع).

(٤) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص٥٢٩، مادة (طوع).

(٥) مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت عليهم السلام، ط١ (قم، دار الكتاب الإسلامي) ص ٢٠٢.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٧١.

(٧) سورة الفتح: الآية ١٧.

(٨) عبد الواحد الآمدي، المصدر السابق، ص ١٨١.

والعملي، فمدح الربُّ (تبارك وتعالى) علمه ووصفه بأنَّه عظيم فقال (عز من قائل): (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا)[1]، ومدح الجانب العملي والمتمثل بأخلاقه ﷺ فقال: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۚ)[2].

ويكفي في عظمته أنَّه استطاع خلال ثلاث وعشرين سنة أن يحقق العديد من الانجازات والانتصارات العظيمة والتي لم يحققها الأنبياء والأوصياء عليهم السلام السابقون بالشكل الذي حققها رسول الله ﷺ.

فهو الفاتح الأعظم، والنور الذي أزال الله (سبحانه) به ظلمات الجهل والأوهام، قال الله (سبحانه) يصف حبيبه محمد ﷺ: (وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا أَجْرًا)[3].

وقد عانى النبي ﷺ من أجل إحياء دين الله (سبحانه) ما لم يعانيه أي نبي، لذلك و لغيره من الانجازات فقد كرَّم الله (سبحانه) نبيه محمداً ﷺ بان جعل له عدة مميزات و خصائص منها، أنّ حبه ﷺ هو أحد حقوق الله (سبحانه). بل والموجب على الله (سبحانه)، حق العباد، وبعبارة أخرى، إن حقوق العباد و ثوابهم وأجرهم وقيمتهم مرتبطة بحب النبي ﷺ.

ولابد من التنبيه إلى أنَّ الله (سبحانه) فرض حب النبي ﷺ لأجل نفع الناس، فالحب مقدمة العمل، والارتباط بالله عزّ وجلّ، فحبُّ الله (تبارك وتعالى) والارتباط به لا يكون إلاّ عن طريق الارتباط بالنبي ﷺ، وهذا ما صرح به القرآن الكريم.

قال الله (سبحانه): (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)[4].

فحبُّ النبي ﷺ هو في صالح المحب، قال الله (سبحانه): (قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ [5]، ثم قال (تبارك وتعالى) مبيناً قيمة هذا الحب ودفعه للإنسان نحو الصلاح والفلاح والسلوك للسبيل المنجي: (قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا)[6].

فحبُّ المعصومين عليهم السلام ومودتهم والتفاني في حبهم سينتهي كما هو واضح من الآية الكريمة إلى العمل بأحكام الله (سبحانه) وسنته الموجبة لنيل سعادة الدنيا والآخرة .

---

(١) سورة النساء: الآية ١١٣.

(٢) سورة القلم: الآية ٤.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣١.

(٥) سورة سبأ: الآية ٤٧.

(٦) سورة الفرقان: الآية ٥٧.

الثالث: الرضا والصبر في العسر، والحمد والشكر في اليسر:

العسر: نقيض اليسر[1]، ويمكن تعريف العسر إصطلاحاً من خلال الإطلاع على قوله (تعالى): فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا[2] أنَّه: الأزمات، والعقبات، والمشاكل، والمحن، ونظائرها[3].

وحقُّ الله سبحانه في العسر: الرضا والصبر، ورضا العبد عن الله سبحانه: ألا يكره ما يجري به قضاؤه[4]

أما الرضا اصطلاحاً: هو ترك الاعتراض والسخط باطناً وظاهراً، قولاً وفعلاً، وهو من ثمرات المحبة ولوازمها، إذ المحب يستحسن كل ما يصدر عن محبوبه[5].

وصفة الرضا من المقامات العظيمة التي إذا حصل عليها الإنسان، حصل على الخير الكبير، فهو باب الرضا الإلهي.

قال الله تعالى: (قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ)[6]، وعن الإمام علي عليه السلام: «الرضا بقضاء الله يهوِّن عظيم الرزايا»[7]، وعنه عليه السلام: «الرضا ينفي الحزن»[8]، وعنه عليه السلام: «الرضا غناء»[9].

أما الصبر لغة فهو: نقيض الجزع[10].

واصطلاحاً: ثبات النفس وعدم اضطرابها في الشدائد والمصائب، بأن تقاوم معها بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر وما كانت عليه قبل ذلك من السرور والطمأنينة، فيحبس لسانه عن الشكوى، وأعضاءه عن الحركات غير المتعارف، وهذا هو الصبر على المكروه، وضده الجزع[11].

---

(١) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٥٦٦، مادة (عسر).

(٢) سورة الانشراح: الآية ٥ -٦.

(٣) ينظر ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل . ج٢، ط١، (بيروت: الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع،١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص١٨٣؛ محمد الشيرازي (ت: ١٤٢٢هـ)، تقريب القرآن إلى الأذهان، مج ٥، ط١، (بيوت: دار العلوم للطباعة والتوزيع والتحقيق والنشر، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٢م)،ص٦٩٧؛ حسن الشيرازي، خواطري عن القرآن، ج٣، ط١ (بيروت: دار العلوم للطباعة والتوزيع والتحقيق والنشر، ١٤١٤هـ/ ١٩٤٩م) ص٣٧٩.

(٤) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٣٥٦، مادة (رضي).

(٥) محمد مهدي النراقي، (ت: ١٢٠٩هـ) جامع السعادات، ج١، ط١، (النجف، دار المجتبى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م) ص٥٩٧.

(٦) سورة المائدة: الآية ١١٩.

(٧) عبد الواحد الامدي: المصدر السابق، ص١٥٣.

(٨) المصدر نفسه، ص١٥٣.

(٩) المصدر نفسه، ص١٥٣.

(١٠) ابن منظور، المصدر السابق، مج ٤، ص ٣٩٢، مادة ((صبر)).

(١١) محمد مهدي النراقي، المصدر السابق، ج٣، ص٦٤٤.

وله أقسام أخرى لها أسماء خاصة تعد فضائل أخرى: كالصبر في الحرب، وهو من أنواع الشجاعة، وضده الجبن، والصبر في كظم الغيظ، وهو الحلم، وضده الغضب، والصبر على المشاق، كالعبادة وضده الفسق، أي الخروج عن العبادات الشرعية، والصبر على شهوة البطن والفرج من قبائح اللذات، وهي العفة ... وضده الشره، والصبر عن فضول العيش وهو الزهد، وضده الحرص، والصبر في كتمان السر، وضده الإذاعة ... ويظهر من ذلك أنَّ أكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر[1].

والصبر من الأخلاق الفاضلة والمزايا الشريفة، قال الله (سبحانه): (وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ)[2].

وقال عزّ وجلّ: (إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ)[3].

وعن الإمام علي عليه السلام: «الصبر على المصائب من أفضل المواهب»[4]، وعنه عليه السلام: «الصبر مطية لا تكبو»[5].

سبب اقتران الرضا بالصبر:

والظاهر أنَّ الإمام عليه السلام قرن الرضا بالصبر وجعلهما حق الله (سبحانه) في العسر؛ لوجود التلازم بينهما، فكلُّ راضٍ هو صابر، وكلُّ صابرٍ هو راض، ولذلك نجد في الروايات الشريفة حينما تمدح الرضا أو الصبر في أغلب الأحيان تضمهما معاً.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحب العبد أو كره، ولا يرضى عبد عن الله فيما أحب أو كره إلاّ كان خيراً له فيما أحب أو كره»[6].

وعنه عليه السلام: « قال الله عزّ وجلّ: عبدي المؤمن لا أصرفه في شيءٍ إلاّ جعلته خيراً له، فليرض بقضائي، وليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، اكتبه يا محمد من الصادقين عندي»[7].

---

(١) محمد مهدي النراقي، المصدر السابق، ج٣، ص٦٤٤.

(٢) سورة البقرة: الآيات ١٥٥- ١٥٧.

(٣) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٤) عبد الواحد الآمدي، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

(٦) محمد بن يعقوب الكليني، (ت: ٣٢٩هـ)، الكافي، ج٢، ط١، (بيروت: دار المرتضى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٤٦٤.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٦٥.

ما يسبب الرضا والصبر:

ويمكن تحصيل الرضا والصبر بالأمور التالية:

١ـ تحصيل اليقين والإيمان، عن الإمام علي عليه السلام: «الرضا ثمرة اليقين»[١]، وعنه عليه السلام: « الصبر ثمرة الإيمان »[٢]، وعنه: «الصبر ثمرة اليقين»[٣].

٢ـ أن يكثر فكرته فيما ورد من فضلهما وحسن عاقبتهما في الدنيا والآخرة[٤].

٣ـ أن يعلم الإنسان أنَّ كلَّ شدةٍ وأزمة محدودة، فهي تهيج كالعاصفة وتموت كالعاصفة، فقبلها لم تكن وبعدها لا تكون[٥].

وأنَّ السخط والكراهية لا يغير ولا يبدل شيئاً، بل يزيدان الأمر سوءاً، وأنّهما مضران بالدين والدنيا معاً .

عن الإمام علي عليه السلام: «إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور»[٦].

٤ـ غلبة الهوى: فالهوى يدفع صاحبه إلى الانحراف عن خط الله سبحانه، ويدفع أيضا إلى التبرم والسخط والجزع، والغلبة عليه سببٌ لنيل السعادة .

عن الإمام علي عليه السلام: «من أحب الدرجات العلى فليغلب الهوى»[٧].

٥ـ تكلف هذين الخلقين حتى يصبحا ملكة .

فالتكلف والتكرار يحول هاتين الصفتين من حالة غير مستقرة إلى ملكة تستقر في النفس والبدن.

عن الإمام علي عليه السلام: «من تجرَّع الغصص أدرك الفرص»[٨].

---

(١) عبد الواحد الامدي، المصدر السابق، ١٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ١٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ١٧٣.

(٤) للمزيد راجع عبد الواحد الآمدي، المصدر السابق، ص١٥٣،١٧٣،١٧٢؛ الكليني، المصدر السابق، ج٢، ص٤٦٤، ٤٦٥.

(٥) حسن الشيرازي، المصدر السابق، ص ٣٨٠.

(٦) محمد مهدي النراقي، المصدر السابق، ج٣، ص ٦٥٥.

(٧) عبد الواحد الآمدي، المصدر السابق، ص٣٠١.

(٨) عبد الواحد الآمدي، المصدر السابق، ص٣١٥.

الحمد والشكر في اليسر:

اليسر: ضد العسر[١].

قال الله (سبحانه): (فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ)[٢]، وتيسر كذا واستيسر أي تسهل[٣].

وحق الله (سبحانه) في اليسر الحمد والشكر.

والحمد لغةً: نقيض الذم[٤].

والحمد: هو الثناء بالجميل على قصد التعظيم والتبجيل للممدوح سواء النعمة وغيرها[٥].

وذُكر أيضا أنَّ الحمد: هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري[٦].

أي حينما يؤدي شخص عملاً طيباً عن وعي، أو يكتسب صفةً تؤهله لأعمال الخير فإنَّنا نحمده ونثني عليه[٧].

والفرق بين الحمد والمدح، أنَّ المدح عام، بينما مفهوم الحمد خاص[٨].

والحمد من الأفعال و المزايا الشريفة، والتي ترفع مقام الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة.

ولذلك وردت العديد من الروايات القرآنية الكريمة.

فالقرآن الكريم افتتحت آياته بعد البسملة بلفظ الحمد، وهذا إن كان يدل على شيء فإنَّه يدل على فضيلة هذا العمل.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: «لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال الله عزّ وجلّ: قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل إذا قال العبد: ... الحمد لله رب العالمين قال (جل جلاله): حمدني عبدي وعلم إن النعم التي له من عندي، وإن البلايا التي اندفعت عنه فبتطولي، أشهدكم أني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة و ادفع عنه بلاء الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا....»[٩].

والحمد من الأذكار العظيمة، والذي يرتبط بأهم الأذكار، فغالباً ما تجد أنَّ الحمد مرتبطٌ بالتهليل والتسبيح

---

(١) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٨٩١، مادة (يسر).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

(٣) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٨٩١ ٨٩٢.

(٤) فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص٣٢٥ مادة (حمد).

(٥) ابن منظور، المصدر السابق، مج ٢، ص ٩٨٦، مادة ((حمد)).

(٦) محمد رضا الشيرازي (ت ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨م)، التدبر في القرآن، ج١ ،ط١، (بيروت: ط١، دار العلوم، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨م)، ص٢٩.

(٧) جعفر الشيرازي، التفكير في القرآن، ج١ ،ط١ (بيروت: ط١، دار العلوم، ١٤٣١هـ ٢٠١٠م)، ص ١٣.

(٨) ناصر مكارم الشيرازي، المصدر السابق، ج١، ص٢٩.

(٩) محسن الفيض الكاشاني، (ت١٠١٩هـ) تفسير الصافي . ج١، ط٢ (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،١٩٨٢م)، ص ٨٨.

و التكبير.

عن رسول الله ﷺ: «أكثروا من قول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر، فإنّهنَّ يأتين يوم القيامة لهنَّ مقدمات ومؤخرات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات»(١).

أما الشكر لغة: عرفان الإحسان ونشره(٢).

والشكر أيضاً: الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف(٣)ويضاده الكفر(٤).

وأما اصطلاحاً: هو عرفان النعمة من النعم و الفرح به، والعمل بموجب الفرح بإضمار الخير والتحميد للمنعم، واستعمال النعمة في طاعته.

والحاصل أنَّه يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، أما المتعلق بالقلب فقصده الخير وإضماره لكلِّ الخلق، وأما المتعلق باللسان فإظهار الشكر بالتحميدات الدالة عليه، و أما المتعلق بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته، و التوقي من الاستعانة بها على معصيته، حتى إن من جملة شكر العينين أن يستر كلَّ عيبٍ يراه من مسلم، ومن جملة شكر الأذنين أن يستر كلَّ عيبٍ يسمعه من مسلم، فيدخل هذا وأمثاله في جملة شكر نعمة هذه الأعضاء((٥)).

وعلى هذا فإنَّ لكلِّ نعمةٍ من نعم الله عزّ وجلّ شكراً يلائمها.

من فوائد الشكر:

شكر المنعم من الأخلاق التي تدل على عظم النفس و كمالها، فكيف إذا كان المنعم هو الله عزّ وجلّ فإنَّ هذا باعث على كمال النفس أكثر فأكثر، والإغداق عليه بالنعم الظاهرة والباطنة.

فالشكر يحفظ النعم ويوجب زيادتها والكفر يسبب النعم ويوجب رفعها.

قال الله (سبحانه):(وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ)(٦).

فشكر النِّعم وصرفها في ما أمر الله سبحانه بصرف العقل في التفكر في آيات الله تعالى وصرف الجوارح في طاعته يسبب زيادة نعمةٍ على نعمة، ولطفٍ على لطف(٧).

(١) محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق، (ت ٣٨١هـ)، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ط١ (قم، مطبعة الصدر، ١٤٢٨هـ) ص ٢٨ ـ٢٩.

(٢) ابن منظور، المصدر السابق، مج ٤، ص ٢٣٠٥ مادة (شكر).

(٣) المصدر نفسه، مج٤، ص ٢٣٠٥.

(٤) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص٤٦١، مادة ((شكر)).

(٥) محمد الشيرازي، الفضائل والأضداد، تحقيق: علي المنصوري، ط١ (بيروت: مؤسسة البلاغ ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م)، ص٢٧٩ / وينظر محمد مهدي النراقي، المرجع السابق ج٣، ص ٦١٦، ٦١٧ / وأيضا مهدي الصدر، المصدر السابق، ص١١٠.

(٦) سورة إبراهيم: الآية ٧.

(٧) محمد الشيرازي، تقريب القرآن إلى الأذهان، مج٣، ص١٠٩.

عن رسول الله ﷺ: «ما فتح الله على عبدٍ بابَ شكرٍ فخزن عنه بابَ الزيادة»[1]، وعن الإمام علي عليه السلام: «شكر الإله يدرُّ النعم»[2] وعنه عليه السلام: «شكر النعمة يقضي بزيدها ويوجب تجديدها»[3].

وعنه عليه السلام:« شكر النعمة أمانٌ من تحويلها، وكفيلٌ بتأييدها»[4]. كما أنَّ الشكر فيه أداء لبعض حقوق الربِّ تبارك وتعالى عن أبي عبد الله عليه السلام: «... ما أنعم، الله على عبدٍ بنعمةٍ صغرت أو كبرت فقال: الحمد لله إلا أدَّى شكرها»[5].

وبالتالي فإنَّه يؤدي إلى محبة الله سبحانه للعبد الشكور، عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام:

«إن الله يحب كلَّ قلبٍ حزينٍ، ويحبُ كلَّ عبدٍ شكورٍ» [6].

ما يسبب الشكر:

١ـ استقامة النفس توجب الأعمال الصالحة، التي تؤدي إلى الخير والرفاهة والزيادة[7].

قال الله سبحانه: (ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ)[8]. أي ائتوا بالشكر العملي[9].

٢ـ الشعور بالتقصير أمام المولى عزّ وجلّ، عن أبي عبدا لله عليه السلام: «فيما أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام يا موسى: اشكرني حقَّ شكري، فقال: ياربِّ وكيف أشكرك حقَّ شكرك وليس من شكرٍ أشكرك به إلاّ وأنت أنعمت به عليَّ؟ قال: يا موسى الآن شكرتني حين علمت أنَّ ذلك مني »[10].

٣ـ التذكر والتفكر فيما أنعم الله سبحانه علينا من النعم والخيرات، فإنَّ ذلك باعثٌ على الشكر.

٤ـ شكر الآخرين بوابة لشكر الخالق سبحانه وتعالى، عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: «... يقول الله تبارك وتعالى لعبدٍ من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلاناً؟ فيقول: بل شكرتك يا ربِّ، فيقول: لم تشكرني إذ لم تشكره، ثم قال: أشكركم لله أشكركم للناس»[11].

---

(١) الكليني، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٨٨.

(٢) عبد الواحد الآمدي، المصدر السابق، ص ١٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٩.

(٤) المصدر نقسه، ص ١٦٩.

(٥) الكليني، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٩٠.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٩٢.

(٧) محمد الشيرازي، تقريب القرآن إلى الأذهان، مج٣، ص١٠٩.

(٨) سورة سبأ: الآية ١٣.

(٩) محمد الشيرازي، تقريب القرآن إلى الأذهان، مج٣، ص١٠٩.

(١٠) الكليني، المصدر السابق، ج٢، ص٤٩١.

(١١) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٩٢.

٥ـ الاطلاع على ما ورد في شأن شكر الله وثواب وأجر ذلك؛ لأنه يرغِّب في هذا الفعل، وبالمقابل الاطلاع على آثار الكفر وما يؤدي.

الفرق بين الحمد والشكر:

ذكر الإمام علي عليه السلام أنَّ حقَّ الله سبحانه في اليسر الحمد والشكر، ولعلَّ هذا يعني أنَّ هناك فرقاً بين الحمد والشكر.

وبالرجوع إلى المعاجم اللغوية، وكتب تفسير القرآن الكريم عند البحث في مصطلح (الحمد) يظهر أنَّ هناك مجموعة من الفروق أهمها:

١ـ إن الحمد ضد الذم، وهو الثناء على الجميل الاختباري، ويكون بالكلام فقط، وحتى في غير النعمة، فلذا يحمد الله تعالى على المصيبة[١].

وأما الشكر فهو ضد الكفران، ويكون في النعمة خاصة، سواء كان بالكلام أم بالقلب[٢] فالحمد أعم من الشكر، والشكر أخص[٣]. فالشكر لا يكون إلّا عن يدٍ، والحمد يكون عن يدٍ وعن غير يد[٤].

٢ـ كما ذُكر أنَّ الحمد مختصٌ بالله (سبحانه) فهو المستحق لكلِّ أنواع الحمد حقيقة؛ لأنه تعالى يرجع إليه كل كمال[٥].

فكلُّ جميلٍ منه، وكلُّ خيرٍ من عنده، و هو ربُّ العالمين، و ما بذله الأنبياء والأوصياء صلى الله عليه وآله في هداية البشرية. بل كلُّ عطاءٍ من أي فردٍ تجاه الآخرين، إنما هو في الأصل من الله سبحانه[٦].

قال الله (تبارك و تعالى): (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ)[٧].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: « إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرات: (اللهم ما أصبحت بي من نعمةٍ، أو عافية من دين أو دنيا، فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد والشكر بها علي يا رب حتى ترضى وبعد الرِّضا، فإنَّك

---

(١) جعفر الشيرازي، التفكر في القرآن، ج١، ص١٣.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص١٣.

(٣) ينظر الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص٢٥٦، ناصر مكارم الشيرازي، المصدر السابق، ج١، ص٢٩، فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص٣٢٥، مادة (حمد).

(٤) ابن منظور، المصدر السابق، مج ٤، ص ٢٣٠٥، مادة (شكر).

(٥) ينظر محمد الشيرازي، تقريب القرآن إلى الأذهان، مج ١، ص ١٠، ناصر مكارم الشيرازي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩، جعفر الشيرازي، التفكر في القرآن، ج ١، ص١٣.

(٦) ينظر محمد الشيرازي، تقريب القرآن إلى الأذهان، مج ١، ص ١٠٠، ناصر مكارم الشيرازي، المصدر نفسه، ج١، ص ٣٠.

(٧) سورة النحل: الآية ٥٣.

إذا قلت ذلك، كنت قد أديت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك الليلة»[١].

وعنه عليه السلام: «كان نوح عليه السلام يقول ذلك إذا أصبح، فسُميَ بذلك عبداً شكوراً»[٢].

الرابع: عدم الاستعانة بالنعم على المعصية:

كلُّ ما حول الإنسان وما يملكه هو من نعم الله سبحانه فكلُّ عضوٍ، وكلُّ جارحةٍ، وكلُّ مالٍ وجاهٍ وغيرها، ينبغي أن يستغلها الإنسان في طاعة الرب تبارك وتعالى؛ لأن هذا مقتضى العدل.

فإن لم تُستغل النعم في طاعته تعالى فيجب ألا تُستغل في المعصية والآثام، فإنَّ هذا مقتضى الكفر والجحود لعطاء الله سبحانه.

واستغلال النعم في المعاصي من الأسباب التي تؤدي إلى زوالها. عن الإمام علي عليه السلام: «كفر النعم مجلبةٌ لحلول النِّقم»[٣] وعنه عليه السلام: «كفران الإحسان يوجب الحرمان»[٤]، وعنه عليه السلام: «كفر النعم مزيلها»[٥].

الخامس: النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم:

النصح: تحري فعلٍ أو قولٍ فيه صلاح صاحبه[٦].

ونصحت له الود، أي أخلصته ..... و نصحت الجلد: خطته[٧].

والنصيحة لها دور كبير في نجاح الفرد والمجتمع، فكلُّ فردٍ في هذا المجتمع له تأثيرٌ على غيره، ويكون هذا التأثير إما إيجاباً وإما سلباً لوجود الترابط بين أفراد المجتمع، فالخير يسري إلى الآخرين إذا أبدى الفرد خيراً، والشر يسري إلى الناس إذا أبدى الفرد شراً، فالناس أشبه ما يكونون في سفينة واحدة وهي المجتمع، فيتضرر إذا كان فرد أو أكثر يمارس الخطأ.

من هنا يكون النقد والنصح واجباً اجتماعياً بالإضافة إلى كونه واجباً دينياً وإنسانياً أيضاً، ولذلك نجد أنَّ الإمام علي عليه السلام يركز على هذا الحق الإلهي، وينبه إلى أن يكون بمبلغ جهدهم، أي منتهى مقدار طاقتهم[٨].

والنصيحة والتعاون أقل ما يلزم من حقوق الله (سبحانه)، فطاعة الله (سبحانه) وعبادته (تعالى) لا يمكن

---

(١) الكليني، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٩١ ٤٩٢.

(٢) الكليني، ج٢، ص٤٩٢.

(٣) عبد الواحد الآمدي، المصدر السابق، ص٢٣١.

(٤) المصدر نفسه، ٢٣١.

(٥) المصدر نفسه، ٢٣١.

(٦) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص٨٠٨، مادة (نصح).

(٧) المصدر نفسه، ص٨٠٨.

(٨) محمد الشيرازي، توضيح نهج البلاغة، ج٢، ط١ (بيروت: دار العلوم، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م) ج٢، ص٣٥٣.

لأحد أن يدركها، وان اجتهد في ذلك، ولكن رحمة الله عزّ وجلّ بالعباد أن جعل لهم ما ينجيهم إذا عملوا به.

عن الإمام علي عليه السلام: « ... فليس أحدٌ وإن اشتد على رضا الله حرصه، وطال في العمل اجتهاده ببالغٍ حقيقته ما الله (سبحانه) أهله من الطاعة له، ولكن من واجب حقوق الله...» [1].

والظاهر إن الإمام علي عليه السلام عطف بين النصيحة والتعاون لما لهما من دورٍ كبيرٍ في أداء الحقوق، فالنصيحة تعرِّف بالحقوق، وتصلح الأضرار.

أما التعاون فإنَّه أهم وسيلة في أداء الحقوق، إذ حق الله سبحانه لا يمكن أن يؤديه الإنسان وحده، فبعض الحقوق لا يؤدى إلاّ بالاجتماع والتعاون ... فكلُّ إنسان كبيراً كان أو صغيراً يلزم أن يعين غيره ويُعان من ناحيةِ غيره، فالحقوق الاجتماعية لا تأتي إلاّ بالتعاون[2].

قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[3].

المبحث الثاني

حق الله (تعالى) الخاص على أئمة الحق عليهم السلام:

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنَّ الله جعلني إماماً لخلقه، ففرض عليَّ التقدير في نفسي، ومطعمي، ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يقتدي الفقير بفقري، ولا يطغي الغني غناه» [4].

وعنه عليه السلام: « إنَّه ليس على الإمام إلاّ ما حمِّل من أمر ربه: الإبلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقيها، وإصدار السهمان على أهلها»[5].

من ألطاف الله (سبحانه) على العباد:

من لطف الله (سبحانه) ورحمته بالعباد إنزال الرسالات، وإرسال الرُّسل والأنبياء عليهم السلام، وتنصيب الأوصياء (سلام الله عليهم أجمعين).

ولعلَّ ذلك من أهم مظاهر رحمته (سبحانه)، إذ جعل أئمة يقتدي الخلق بهديهم، ويخرجونهم من الظلمات

---

(١) صبحي الصالح، المصدر السابق، ص٣٨٧.

(٢) محمد الشيرازي، توضيح نهج البلاغة،ج٢، ص٣٥٣ ٣٥٤.

(٣) سورة المائدة: الآية ٢.

(٤) الكليني، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٩.

(٥) محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج١، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م) ص١٦١.

إلى النور، ويكونوا مرآة الربِّ (سبحانه) ويثيروا دفائن العقول، وكنوز الرسالات الإلهية.

عن الإمام علي عليه السلام: «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه: ألا إنَّ فيه علم ما يأتي، والحديث عن الماضي، و دواء دائكم، ونظم ما بينكم»[1].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل فرض وكلف وشرف أئمة الحق عليهم السلام بمجموعة من الفرائض تعكس مدى اهتمام الرب (سبحانه) ورحمته بعباده من جانب، ومدى عظمة ورأفة الأئمة عليهم السلام بالناس من جانبٍ آخر.

وأهم هذه الفرائض ما ورد في رواية الإمام علي عليه السلام وهي:

أولاً: التقدير في النفس والمطعم والمشرب والملبس:

« فرض عليَّ التقدير في نفسي ومطعمي و مشربي كضعفاء الناس »[2].

والتقدير: التضييق[3]، وتبيين كمية الشيء[4]،... والتقدير من الإنسان على وجهين: أحدهما التفكر في الأمر بحسب نظر العقل، وبناء الأمر عليه، وذلك محمود. والثاني: أن يكون بحسب التمني والشهوة وذلك مذموم كقوله: (إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ)[5]»[6].

والمراد هنا أنَّه فُرض على الإمام عليه السلام أن يكون كضعفاء الرعية في نفسه، ومطعمه، ومشربه وملبسه، والعلة في ذلك ما بينه عليه السلام وهو:

١ـ «كي يقتدي الفقير بفقري »[7].

٢ـ «ولا يطغي الغني غناه »[8].

أي ليكون الإمام عليه السلام سبباً في اقتداء واتباع الفقير بإمامه، ولا يجد في نفسه كرهاً أو استحقاراً للحالة التي عليها، لما يرى الإمام الأعظم عليه من ذلك، هذا بالنسبة للعلة الأولى .

والعلة الثانية: أن لا يتكبر الغني على الفقير، أو يخرج عن حدود الله (سبحانه)، بل يتواضع ويشكر الله (سبحانه) وأسوته في ذلك الإمام الذي بيده خزائن الأرض، فهو المثال الأفضل في التواضع للفقراء والشكر

---

(١) صبحي الصالح، المصدر السابق، ص ٢٧٨.

(٢) الكليني، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٩.

(٣) ابن منظور، المصدر السابق. مج٥، ص٣٥٤٧ / الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص٦٥٩، (مادة قدر)، فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص١٠٢٣ (مادة قدر).

(٤) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ٦٥٨ مادة ((قدر)).

(٥) سورة المدثر: الآية ١٨- ١٩.

(٦) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ٦٥٩ مادة ((قدر)).

(٧) الكليني، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٩.

(٨) الكليني، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٧.

لنعم الله (سبحانه)[1].

شبهة ورد:

وقد يُسأل البعض لماذا لم يظهر هذا التقدير في بعض حياة الأئمة عليهم السلام ؟

والجواب على ذلك:

إنَّ الأئمة عليهم السلام كانوا يراعون الزمان واختلافه، فإذا قلَّت الفقراء وظهرت الثروة وعمَّت جاز ذلك، ولم يكن فيه ترك للسيرة، والإمام في كل زمان يراعي التقدير في جميع حالاته بما يصلح حال الضعيف والقوي .

قال رجلٌ لأبي عبد الله عليه السلام: أصلحك الله، ذكرت إنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس الخشن، يلبس القميص بأربعة دراهم، وما أشبه ذلك، ونرى عليك اللباس الجديد؟

فقال له: إنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام كان يلبس ذلك في زمان لا ينكر عليه، و لو لبس مثل ذلك اليوم شُهِّر به، فخير لباس كل زمان لباس أهله. غير أنَّ قائمنا أهل البيت عليهم السلام إذا قام لبس ثياب علي عليه السلام وسار بسيرته»[2] .

ورغم هذا فالإمام في هذه الحالة أيضاً لا يلبس إلاّ الخشن باطناً دون الناعم[3]، روي أنَّه مرَّ سفيان الثوري في المسجد الحرام فرأى أبا عبد الله عليه السلام وعليه ثياب كثيرةُ القيمة حِسانٌ، فقال: الله لآتينه ولأوبخنه فدنا منه، فقال: يا ابن رسول الله ما لبس رسول الله صلى الله عليه وآله مثل هذا اللباس ولا علي عليه السلام ولا أحدٌ من آبائك فقال له أبو عبد الله عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله في زمن قَتْر مُقْتِر وكان يأخذ لقتره واقتتاره، وإنَّ الدنيا بعد ذلك أرخت عزاليها فأحق أهلها بها أبرارها، ثم تلا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[4].

ونحن أحق من أخذ منها ما أعطاه الله، غير أنّي يا ثوري ما ترى علي من ثوب إنما ألبسه للناس، ثم اجتذب يد سفيان فجرَّها إليه ثم رفع الثوب الأعلى واخرج ثوباً تحت ذلك على جلده غليظاً، فقال: هذا ألبسه لنفسي، وما رأيته للناس، ثم جذب ثوباً على سفيان أعلاه غليظ خشن وداخل ذلك الثوب لين فقال: لبست هذا الأعلى للناس، ولبست هذا لنفسك تسرُّها »[5].

---

(١) ينظر فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص٧٩٩-٨٠٠، مادة ((طغى)).

(٢) الكليني، المصدر السابق، ج٢، ص٣٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ج ٦، ص١٤٩٧.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٣٢.

(٥) الكليني، المصدر السابق، ج٦، ص١٤٩٦.

ثم إنَّ الأئمة عليهم السلام لم يجعلوا هذا التكليف على غيرهم بل هو مختص بهم، وهم أعرف بهذا التكليف من غيرهم، وبعبارةٍ أخرى إنَّ التقدير في المطعم والمشرب من مختصات الأئمة عليهم السلام من الرب (تبارك وتعالى).

روي أنه شكا الربيع بن زياد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أخاه حسين لبس العباء وترك الملاء، إشارة إلى لبسه الخشن وتركه اللين، وأنَّه قد غمَّ أهله وأحزن ولده بذلك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام عليَّ بعاصم بن زياد، فجيء به، فلمَّا رآه عبس في وجهه، فقال له أما استحييت من أهلك؟ أما رحمت ولدك، أترى الله أحلَّ لك الطيبات وهو يكره أخذك منها؟ أنت أهون على الله من ذلك، أو ليس الله يقول: (وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ)[1] أو ليس الله يقول: (مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ [2] إلى قوله: (يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ)[3].

فبالله لابتذال نعم الله بالفعال أحب إليه من ابتذاله لها بالمقال، وقد قال الله عزّ وجلّ: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)[4].

فقال عاصم: يا أمير المؤمنين فعلى ما اقتصرت في مطعمك على الجشوبة، وفي ملبسك على الخشونة؟

فقال: ويحك إنَّ الله عز وجل فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس... [5].

ثانياً: الإبلاغ في الموعظة:

البلوغ والبلاغ: الانتهاء إلى أقصى المقصد المنتهى، مكاناً كان أو زماناً، أو أمراً من الأمور المقدرة[6].

أما الوعظ: زجرٌ بتخويف[7].

وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب والموعظة: الاسم[8].

أي وعظ الناس وتذكيرهم بما بصلحهم في الدنيا، وما يذكرهم بالآخرة من الأمور التي تسبب رقة القلب.

وذكر أيضاً أنَّ الموعظة: عبارة عن الوصية بالتقوى والحث على الطاعات والتحذير من المعاصي والاغترار

---

(١) سورة الرحمن: الآية ١٠- ١١.

(٢) سورة الرحمن: الآية ١٩ -٢٠.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٢٢.

(٤) سورة الضحى: الآية ١١.

(٥) الكليني، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٠٨.

(٦) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص ١٤٤، مادة ((بلغ)).

(٧) المصدر نفسه، ص٨٧٦، مادة ((بلغ)).

(٨) المصدر نفسه، ص٨٧٦، مادة ((بلغ)).

بالدنيا وزخارفها ونحو ذلك[١].

وبيان هذا الحق لعله لأجل بيان أهمية الوعظ والمواعظ، عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «..المواعظ حياة القلوب»[٢]، وعنه عليه السلام: «..المواعظ شفاء لمن عمل بها»[٣]، وعنه عليه السلام: «المواعظ صقال النفوس، وجلاء القلوب»[٤]، وعنه عليه السلام «المواعظ كهفٌ لمن وعاها»[٥].

ثالثاً: الاجتهاد في النصيحة:

الاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة[٦].

والاجتهاد في النصيحة بذل الطاقة، وتحمل المشاق، من أجل إرشاد الناس إلى خير الدنيا و الآخرة، وبيان ما يجلب لهم السوء وحثهم على الابتعاد عنه.

رابعاً: الإحياء للسُّنة:

الإحياء: النجاة من الهلاك[٧].

أما السنة: لغة: الطريقة والسيرة، والجمع سنن كغرفة وغرف[٨].

أما اصطلاحاً: فهي طريقة النبي صلى الله عليه وآله قولاً وفعلاً و تقريراً أصالة أو نيابة[٩].

والمراد من النيابة سنة من ينوب عن النبي صلى الله عليه وآله في المقام والوظيفة، وهو عند الإمامية الإمام المعصوم عليه السلام ونحوه، ومن هنا ينبغي تعريفها: بأنها قول المعصوم وفعله وتقريره[١٠].

وهذا التركيز على إحياء السنة إنما هو بسبب أنَّ سنة النبي محمد صلى الله عليه وآله هي ترجمة لكلِّ الرسالات الإلهية، وأنَّها وحي السماء كما أنَّ القرآن وحي السماء.

وما نزل من عند الله (سبحانه) هو ما يسبب الحياة السعيدة للبشرية، وغيرها من الأفكار والمناهج التي لا ترد عن الإمام المعصوم عليه السلام لا تجلب إلاّ الويلات والمشاكل للشعوب .

---

(١) فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص١٣٨٦، مادة (وعظ).

(٢) عبد الواحد الامدي، المصدر السابق، ص٣٥٢.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٥٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٥٢.

(٥) المصدر نفسه، ص٣٥٢.

(٦) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص٢٠٨، مادة ((جهد)).

(٧) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص٢٦٩، مادة ((حيى)).

(٨) فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص٦٥٢، مادة ((سنن)).

(٩) المصدر نفسه، ص٦٥٢، مادة ((سنن)).

(١٠) فاضل الصفار، أصول الفقه و قواعد الاستنباط، ج٢، ط١، (بيروت: مؤسسة الفكر الاسلامي، ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م)، ص٩٣.

ولذلك نجد التركيز الكبير على الاهتمام بسنة النبي محمد ﷺ، لأنها ترجمان القرآن الكريم.

قال الله(سبحانه): (مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ)[1].

وقال الله (تبارك وتعالى): (وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ)[2].

وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أما وصيتي فالله لا تشركوا به شيئاً، ومحمداً ﷺ فلا تضيعوا سنته أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذم ..» [3].

وعنه عليه السلام: «..هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين، لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان، وإنما ينطق عنه الرجال، ولما دعانا القوم إلى أن نحكِّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولي عن كتاب الله (سبحانه) وقد قال الله (سبحانه): (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[4].

فردَّه إلى الله أن نحكم بكتابه، وردَّه إلى الرسول أن نأخذ بسنته، فإذا حكم بالصدق في كتاب الله، فنحن أحق الناس به، وإن حكم بسنة رسول الله ﷺ فنحن أحق الناس وأولاهم بها[5].

خامساً: إقامة الحدود على مستحقيها:

إقامة الشيء: توفيه حقه[6].

قال الله (سبحانه): (قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ)[7]، فأقيموا الحدود: أي توفون حقوقهما بالعلم والعمل[8].

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) سورة النجم: الآية ٣ -٤.

(٣) صبحي الصالح، المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٤) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٥) صبحي الصالح، المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٦) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص٦٩٢.

(٧) سورة المائدة: الآية ٦٨.

(٨) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص٦٩٢.

أما الحدود لغة: جمع حدٍّ، والحد: الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدها بالآخر[١].

أما اصطلاحاً: فإنها تطلق تارة على الأحكام المذكورة في اليتامى و المواريث وسماها حدوداً؛ لأنَّ الشرائع كالحدود المضروبة للمكلفين لا يجوز لهم أن يتجاوزوها[٢]. وتارة عبارة عن الأحكام الشرعية مثل حد الغائط كذا، وحد الوضوء كذا، وحد الصلاة كذا[٣]؟

وتارة: هي العقوبة الشرعية التي حددها الشرع على مخالفة التكليف الشرعي[٤].

فالعقوبة الشرعية على نحوين: حد وتعزير، فإنَّ الشرع إما أن يكون قد حدد مقدار العقوبة على مخالفة التكليف الشرعي أو يكون قد أوكل أمر ذلك إلى نظر الحاكم الشرعي، والأول هو الحد، والثاني هو التعزير[٥].

والظاهر أنَّ المعنى الثالث هو المراد أي: العقوبة الشرعية على من يستحقها. «إن الشريعة الإسلامية جعلت حدوداً وتعزيرات للحدِّ من المفاسد الفردية والاجتماعية، ثم إن الإسلام قد عالج المشاكل والمفاسد من جذورها بحيث لا يتوجه إليها الإنسان ولا يرغب فيها وبعد ذلك إذا ارتكبها شخص فعليه الحد، وقد ورد في الأحاديث: إن إجراء هذه الحدود يمنع الناس من القبيح وتحفظ دنياهم وآخرتهم وهو أفضل لهم من إن تمطرهم السماء أربعين يوماً »[٦].

سادساً: إصدار السهمان على أهلها:

السُّهْمان جمع سَهْم، والسهم: تطلق على النصيب[٧]

والسُّهمان في عبارة الإمام علي عليه السلام يريد بها الحظوظ والحقوق الثابتة لكلّ فرد سواء كانت الزكاة أم الخمس أم غيرهما. وإصدارهما على أهلها أي المستحقين لها كالفقراء والمساكين والمؤلفة قلوبهم والغارمون وفي سبيل الله تعالى وابن السبيل وغيرهم ممن ثبت لهم حق معين.

---

(١) الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص٢٢١، مادة (حد).

(٢) فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص٢٦٩، مادة (حد).

(٣) المصدر نفسه، ص٢٦٩.

(٤) باقر الايرواني، تفسير آيات الأحكام، ج١، ط١، (العراق:مكتبة دار المجتبى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م) ص٥٦٣.

(٥) باقر الايرواني، المصدر السابق، ج١، ص٥٦٣.

(٦) صادق الشيرازي، المسائل الإسلامية، ط٢٣ (قم: مطبعة العشرة، ١٤٣٠هـ ٢٠١٠م) ص٥٠٤.

(٧) فخر الدين الطريحي، المصدر السابق، ص ٦٥٤، ٦٥٥، مادة (سهم)، وينظر لسان العرب، مج٣، ص٢١٣٥، مادة (سهم).

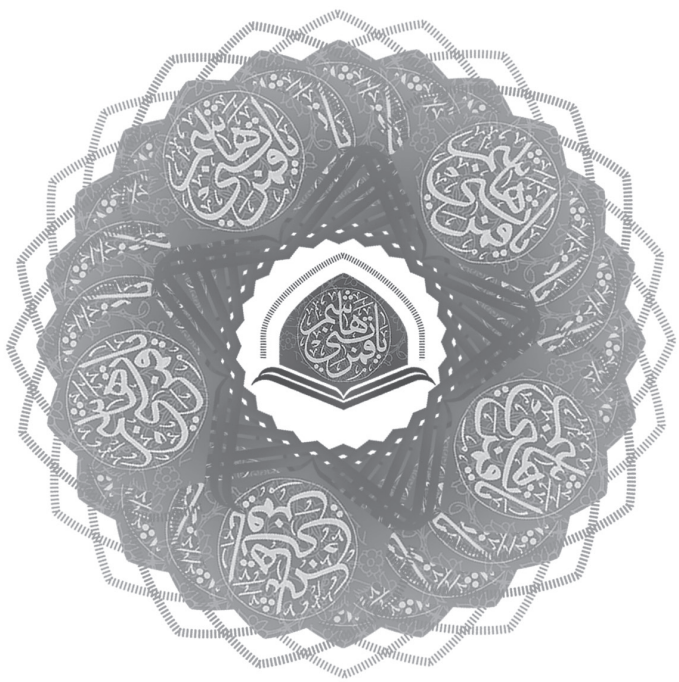

شهر شوال

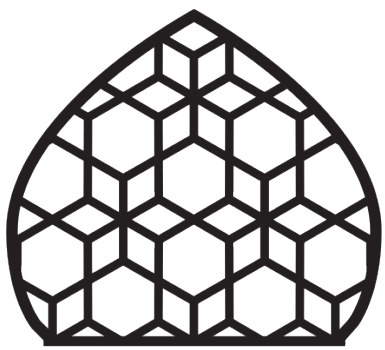

الإمام الصادق عليه السلام والصدقات

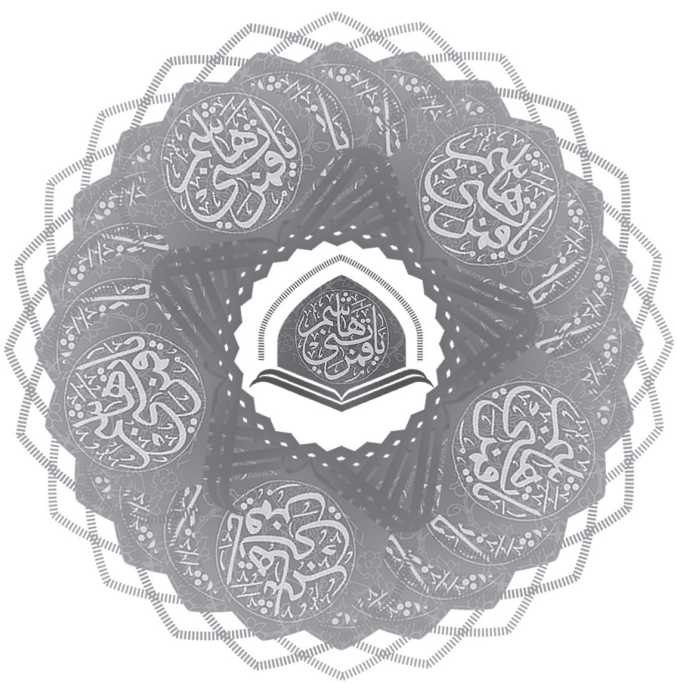

الإمام الصادق عليه السلام والصدقات

مجتبى الموسوي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الرسول الأعظم محمد وآله الطيبين الطاهرين.

إنّ من كرم الله سبحانه وتعالى ورحمته على خلقه أن جعل سبل التقرّب إليه كثيرةً ومتعددةً، وقد حثّ عليها كلّها وجعل بينها تفاوتاً في الفضائل والأجور؛ حتّى يرفع الهِمم، ويحاول كلّ إنسان أن يجتهد ليُصيب أكبر قَدْرٍ ممكنٍ من أبواب الخير، ومن هذه الأبواب باب الصّدقة.

فمن آثار الصدقة أنها تبارك المال وتقي من مصرع السوء وتزيد الإيمان وتشرح الصدور وتهذب النفوس وتؤلف بين القلوب وتستر العيوب.... كما أن للصدقة انعكاساً نفسياً وعاطفياً واجتماعياً على المتصدق وعلى المحتاج.. وبذات الوقت تقي المجتمع من أسباب الانحراف والفساد والسرقات.. لأن الفقر ومثالبه يجعل الإنسان المعسر.. يتجه إلى مستنقع الفساد والجريمة أحيانا.. فيقع بالتالي فريسة لأصحاب الفساد والمخدرات والانحراف الأخلاقي الذين يستغلونه وحاجته في تحقيق أهدافهم ومآربهم وتنفيذ رغباتهم، كما أن التصدق يوّثق روابط الإخوة.. ويظهر مبدأ التكافل الاجتماعي والأخلاقي، وبالتالي يشعر الغني بحاجة أخيه الفقير فيسرع ويمد يد العون له ليقضيها له وبالتالي يترك أثراً عميقاً في النفوس والوجدان.

ولشعيرة التصدق.. عدة مظاهر قد تكون (معنوية) كإفشاء السلام والابتسامة في الوجه، وقد تكون (مادية) وتشمل أعمال البر التي يقصد بها وجه الله تعالى وقد تكون (عينية) مثل ما يقدم من طعام وملابس وأدوية.. إلخ.

ويمكن القول إن الصدقات بين الناس بابه واسع جداً، فالكلمة الطيبة، والتبسم، وإغاثة الملهوف، وإعانة ذا الحاجة، وتبسمك في وجه أخيك، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، وإماطتك الحجر والشوكة عن الطريق، وما أشبه ذلك، كل هذا من الصدقة.

وقد جعلت الشريعة للمتصدّق ثواباً عظيماً صرّح به الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، وهناك أحاديث عن أهل بيت العصمة: مفادها أن الله تعالى يبارك كثيراً في الصدقة ولو كانت قليلة، فليست

العبرة في القلة والكثرة، وإنما في تحسس المسلم حاجات إخوانه وتكافله معهم

وسنحاول في هذا البحث بعد تمهيد أن ننقل روايات وقصص في حياة الإمام الصادق عليه السلام حول هذا الموضوع يمكن أن نستضيء بها للحصول على خير الدنيا والاخرة.

تعريف الصدقة لغة واصطلاحاً:

أولاً: مفهوم الصدقة: لغة واصطلاحاً.

الصدقة لغة: جمع صدقات، وتَصَدَّقتُ: أعطيتُهُ صدقةً، والفاعل مُتصَدِّقٌ، [وهو الذي يُعطي الصدقة]، ومنهم من يخفف بالبدل والإدغام فيقال: مُصَّدِّقٌ، والمتصدِّقُ: المُعطي، وفي التنزيل: (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ الله يُجزِي المُتَصَدِّقِين)[1].

وقد جاء المتصدِّقُ والمصَّدِّقُ في القرآن العظيم: (وَالمُتَصَدِّقِيَن وَالمُتَصَدِّقَاتِ)[2]. و(المُصَّدِّقِيَن وَالمُصَّدِّقَاتِ)[3].

وأما المُصَدِّق بتخفيف الصاد: فهو الذي يأخذ صدقات النَّعَم» [4].

والصدقة اصطلاحاً[5]: العطية التي يُبتغى بها الثواب عند الله تعالى[6].

قال العلامة الأصفهاني: «الصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة، كالزكاة، لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوَّع به، والزكاة للواجب، وقد يُسمَّى الواجب صدقةً إذا تحرَّى صاحبها الصدق في فعله»[7].

إنَّ أغلب الناس ينظرون إلى الصدقة بأنها المال القليل الذي يُعطى للفقير لدفع البلاء، ورغم أن المال الذي يتصدق به على الفقير يُعدُّ صدقة ومن مصاديقها إلَّا أن تعريف الصدقة أعم من هذا التعريف والفهم المحدود.

لكن هذا التعريف وإن كان صحيحاً إلا أنه ليس جامعاً، حيث أن دائرة الصدقة أوسع بكثير ولا تنحصر في المساعدات المالية أبداً، وبمراجعة سريعة إلى النصوص الدينية المأثورة عن النبي المصطفى -صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل البيت عليهم السلام يتضح بأنَّ الصدقة تشمل كلَّ عمل خيري مادي أو معنوي أو خدمي يقوم به الإنسان قربة إلى الله تعالى وبنية خالصة لا يشوبها الرياء والسمعة، بل وكل نية طيبة وصادقة على فعل الخير هي أيضاً من مصاديق الصدقة.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٨.

(٤) المصباح المنير، الفيومي ١/ ٣٣٦.

(٥) تطلق الصدقات أحياناً على الزَّكاة الواجبة، كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ...).

(٦) التعريفات للجرجاني، ص ١٧٣، ص ٢٤٣.

(٧) مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني، ص ٤٨٠.

ويمكن صياغة تعريف جامع بعض الشيء لحدود الصدقة، ألا وهو: الصدقة بذل مال أو خدمة أو النطق بكلمة في معروف أو دفع خطر عن ذي نفس أو جلب منفعة للنفس والأهل والمجتمع بهدف القربة إلى الله عَزَّ وجَلَّ ومرضاته، ومما يؤيد هذا التعريف قول رسول ﷺ: **"كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَالدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ، وَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ يُحِبُّ إِغَاثَةَ اللهْفَانِ"**(١).

أنواع الصدقة:

الصدقة على نوعين، صدقة واجبة، وأخرى مستحبة .

الصدقة الواجبة فهي زكاة الأموال وهي التي تجب في الذهب والفضة والأنعام والغلات، وزكاة الأبدان، وهي زكاة الفطرة، ويجب صرفها في مواردها المقررة في الفقه الاسلامي.

الصدقة المستحبة، وهي ما يدفعه الشخص لغيره تقرباً لله تعالى وكسب مرضاته، وعرَّفها بعض الفقهاء بالعطية المتبرع بها من غير نِصاب للقربة، ويجوز إعطائها للفقير وللغني، و يتأكد استحباب إعطائها للأرحام، وللمؤمنين.

وأما أقسامها بلحاظ الظهور إلى:

أوّلاً: صدقة السرّ.

ثانياً: صدقة العلانية.

وقد ذكر الله تعالى هذين النوعين بقوله: (**إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**).(٢)

وعن الامام جعفر بن محمد الصادق ﷺ أَنَّهُ قال: «صَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ تَدْفَعُ سَبْعِينَ نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، وَ صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»(٣).

السر أم الإعلان أفضل:

ويمكن التفصيل في ذلك:

لقد وردت نصوص شريفة تمدح التصدق علنا كما تمدحه سراً:

فقد شَرَعَ اللهُ تعالى في القرآنِ الكريمِ إنفاقَ السِّر إلى جانبِ إنفاق العَلانية، وَجَعَل كليْهِما سلوكًا عامًّا للمؤْمنين، ومَدَحَ كلا النَّوعين في سياقٍ واحدٍ

---

(١) الكافي: ٤ / ٢٧.

(٢) سورة البقرة/ الآية: ٢٧١.

(٣) وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة): ٩/ ٣٩٦.

آيات الانفاق علانية

الآية الأولى: قوله تعالى: (**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**) (١).

الآية الثانية: قوله تعالى: (**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**)(٢).

الآية الثالثة: قوله تعالى: (**وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**)(٣).

الآية الرابعة: قوله تعالى: (**قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ**) (٤).

الآية الخامسة: قوله تعالى: (**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**) (٥).

الآية السادسة: قوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ**) (٦).

فهذه الآيات فيها الثناء على من أنفق حيث دعت الحاجة سرًّا وعلانية، من النفقات الواجبة، والمستحبة، والزكاة الواجبة، والصدقات المستحبة.

عن الصادق ﷺ في حديث قال: إِنَّ صَدَقَةَ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَ تَمْحُو الذَّنْبَ الْعَظِيمَ، وَ تُهَوِّنُ الْحِسَابَ، وَ صَدَقَةَ النَّهَارِ تُثْمِرُ الْمَالَ، وَ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ ..(٧)

وعن الصادق ﷺ: "صَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ تَدْفَعُ سَبْعِينَ نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، وَ صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ" (٨).

وعن أبي عبد الله ﷺ قال:" إِنَّ الله عَزَّ وَ جَلَّ فَرَضَ الزَّكَاةَ كَمَا فَرَضَ الصَّلَاةَ فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا حَمَلَ الزَّكَاةَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٢.

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣١.

(٥) سورة النحل، الآية: ٧٥.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٢٩.

(٧) الكافي: ٤ / ٨ .

(٨) وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة): ٩/ ٣٩٦.

فَأَعْطَاهَا عَلَانِيَةً لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ عَيْبٌ وَ ذَلِكَ أَنَّ الله عَزَّ وَ جَلَّ فَرَضَ لِلْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ مَا يَكْتَفُونَ بِهِ وَ لَوْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي فَرَضَ لَهُمْ لَا يَكْفِيهِمْ لَزَادَهُمْ وَ إِنَّمَا يُؤْتَى الْفُقَرَاءُ فِيمَا أُوتُوا مِنْ مَنْعِ مَنْ مَنَعَهُمْ حُقُوقَهُمْ لَا مِنَ الْفَرِيضَةِ "[1]

وهذه النصوص والأحاديث الصحيحة لا تلغي الصدقة في العلانية، ولا تفسدها فلكل منهما أهمية بالغة، ومن هذه الأحاديث امتدح مطلق الصدقة من غير قيد، ومنها أمتدح صدقة السر، ومنها امتدح الصدقة في العلانية، ويمكن الجمع بين المصلحتين، فيظهر إخراج بعض الزكاة، ويسر بعضها حسب المصلحة المترتبة على ذلك.

وبعد هذا التمهيد سنجعل لكل حديث وقصة عنوانًا خاصًّا بها حتى نستفيد من هذه النصوص المباركة:

أفضل الصدقة

عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَحَدِهِمَا [2] عليهما السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: «جُهْدُ الْمُقِلِ[3]، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الله عَزَّ وَجَلَّ- ﴿ ... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ... ﴾ يَرَى هَاهُنَا فَضْلًا"[4]..

من آثار الصدقة

قَالَ الصَّادِقُ (عليه السَّلام): «الصَّدَقَةُ بِالْيَدِ تَقِي مِيتَةَ السَّوْءِ، وَتَدْفَعُ سَبْعِينَ نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاءِ، وَتَفُكُّ عَنْ لَحْيَيْ سَبْعِينَ شَيْطَاناً كُلُّهُمْ يَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَفْعَلَ"[5].

فضل صدقة

قَالَ الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟

قَالَ: « عَلَى ذِي الرَّحِمِ الْكَاشِحِ "[6]، [7].

---

(١) وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)ج٩/ ص١٠.

(٢) أي أحد الإمامين: محمد بن علي الباقر ﷺ، أو جعفر بن محمد الصادق ﷺ.

(٣) أي قدر ما يحتمله حال القليل المال.

(٤) الكافي: ٤ / ١٨.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦٦

(٦) الكاشح: هو الذي يضمر لك العداوة . مجمع البحرين: ٢ / ٤٠٧ .

(٧) الكافي: ٤ / ١٠.

من كسا أخاه

يقول الإمام الصادق ﷺ: « مَنْ كَسَا مُؤْمِناً كَسَاهُ الله مِنَ الثِّيَابِ الْخُضْرِ وَقَالَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ لا يَزَالُ فِي ضَمَانِ الله مَا دَامَ عَلَيْهِ سِلْكٌ» (١)

وعنّه ﷺ في حديث آخر: « مَنْ كَسَا مُؤْمِناً ثَوْباً مِنْ عُرْيٍ كَسَاهُ الله مِنْ إِسْتَبْرَقِ الْجَنَّةِ وَمَنْ كَسَا مُؤْمِناً ثَوْباً مِنْ غِنًى لَمْ يَزَلْ فِي سِتْرٍ مِنَ الله مَا بَقِيَ مِنَ الثَّوْبِ خِرْقَةٌ»(٢).

من كان له دار

عن الإمام الصادق ﷺ « مَنْ كَانَتْ لَهُ دَارٌ فَاحْتَاجَ مُؤْمِنٌ إِلَى سُكْنَاهَا فَمَنَعَهُ إِيَّاهَا قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ يَا مَلائِكَتِي أَبَخِلَ عَبْدِي عَلَى عَبْدِي بِسُكْنَى الدَّارِ الدُّنْيَا وَعِزَّتِي وَجَلالِي لا يَسْكُنُ جِنَانِي أَبَداً »(٣).

كيف تداوي مريضك بالصدقة؟

قَالَ الصَّادِقُ (عليه السَّلام): دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَادْفَعُوا الْبَلَاءَ بِالدُّعَاءِ، وَاسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّهَا تَفُكُّ مِنْ بَيْنِ لَحْيَيْ سَبْعِمِائَةِ شَيْطَانٍ، وَلَيْسَ شَيْءٌ، أَثْقَلَ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنَ الصَّدَقَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِ، وَهِيَ تَقَعُ فِي يَدِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ الْعَبْدِ»(٤)

الصدقة تدر بالخير على الاولاد

عَنِ السَّكُونِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَحْسَنَ عَبْدٌ الصَّدَقَةَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا أَحْسَنَ اللهُ الْخِلَافَةَ عَلَى وُلْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ". وَقَالَ: «حُسْنُ الصَّدَقَةِ يَقْضِي الدَّيْنَ، وَ يَخْلُفُ عَلَى الْبَرَكَةِ"(٥).

الصدقة أول النهار

قَالَ الإمام جعفر بن محمد الصَّادِقُ ﷺ:» بَاكِرُوا بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ الْبَلَايَا لَا تَتَخَطَّاهَا، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ أَوَّلَ النَّهَارِ، دَفَعَ اللهُ عَنْهُ شَرَّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَإِنْ تَصَدَّقَ أَوَّلَ اللَّيْلِ دَفَعَ اللهُ عَنْهُ شَرَّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ"(٦).

متى يحل اخذ الصدقة ؟

رُوِيَ عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ وَ الْحُسَيْنِ عليهما السلام وَ

---

(١) ثواب الأعمال: ١٤٦.

(٢) اصول الكافي ٢: ٢٠٥ / ٥

(٣) ثواب الأعمال: ٢٤١، المحاسن ١: ١٠١ / ٣٦.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦٦

(٥) الكافي: ٤ / ١٠.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦٧

هُمَا جَالِسَانِ عَلَى الصَّفَا فَسَأَلَهُمَا.

فَقَالا: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا فِي دَيْنٍ مُوجِعٍ أَوْ غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ فَقْرٍ مُدْقِعٍ فَفِيكَ شَيْءٌ مِنْ هَذَا»؟

قَالَ: نَعَمْ. فَأَعْطَيَاهُ، وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ سَأَلَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ وَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ فَأَعْطَيَاهُ وَ لَمْ يَسْأَلَاهُ عَنْ شَيْءٍ. فَرَجَعَ إِلَيْهِمَا فَقَالَ لَهُمَا: مَا لَكُمَا لَمْ تَسْأَلَانِي عَمَّا سَأَلَنِي عَنْهُ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ عليهما السلام، وَأَخْبَرَهُمَا بِمَا قَالا. فَقَالا: إِنَّهُمَا غُذِّيَا بِالْعِلْمِ غِذَاءً" [1].

حاجة العيال اولا ثم الصدقة

عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ[2] عليه السلام يَقُولُ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى[3] وَ ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[4].

صدقة السر

رَوَى عَمَّارٌ عَنِ الصَّادِقِ عليه السلام قَالَ: قَالَ لِي: «يَا عَمَّارُ الصَّدَقَةُ وَ اللهِ فِي السِّرِّ أَفْضَلُ مِنَ الصَّدَقَةِ فِي الْعَلَانِيَةِ، وَ كَذَلِكَ وَ اللهِ الْعِبَادَةُ فِي السِّرِّ أَفْضَلُ مِنَ الْعِبَادَةِ فِي الْعَلَانِيَةِ"[5]

أجر الوسطاء في الصدقات كأجر صاحب المال

قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام فِي الرَّجُلِ يُعْطِي غَيْرَهُ الدَّرَاهِمَ يَقْسِمُهَا؟

قَالَ: «يَجْرِي لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ مَا يَجْرِي لِلْمُعْطِي وَ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ، وَ لَوْ أَنَّ الْمَعْرُوفَ جَرَى عَلَى سَبْعِينَ يَداً لَأُوجِرُوا كُلُّهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ صَاحِبِهِ شَيْءٌ"[6]

الصدقة تظل

أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ عَنْ جَدِّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ (عليه السلام) قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أَرْضُ الْقِيَامَةِ نَارٌ مَا خَلَا ظِلَّ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّ صَدَقَتَهُ تُظِلُّهُ"[7].

---

(١) الكافي: ٤ / ٤٧.

(٢) أي الإمام جعفر بن محمد الصَّادق (عليه السَّلام)، سادس أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

(٣) المقصود باليد العليا اليد المنفقة، و اليد السفلى هي اليدالسائلة.

(٤) الكافي: ٤ / ١١.

(٥) من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦٧

(٦) المصدر نفسه: ٢ / ٦٩.

(٧) من لا يحضره الفقيه: ج٤/ ص٣.

تصدقوا ولو بصاع

عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله (عليه السلام) قَالَ " قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله تَصَدَّقُوا وَ لَوْ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ وَ لَوْ بِبَعْضِ صَاعٍ وَ لَوْ بِقَبْضَةٍ وَ لَوْ بِبَعْضِ قَبْضَةٍ وَ لَوْ بِتَمْرَةٍ وَ لَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ لَيِّنَةٍ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَاقٍ الله فَقَائِلٌ لَهُ أَ لَمْ أَفْعَلْ بِكَ أَ لَمْ أَجْعَلْكَ سَمِيعاً بَصِيراً أَ لَمْ أَجْعَلْ لَكَ مَالًا وَ وَلَداً فَيَقُولُ بَلَى فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى فَانْظُرْ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ قَالَ فَيَنْظُرُ قُدَّامَهُ وَ خَلْفَهُ وَ عَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَجِدُ شَيْئاً يَقِي بِهِ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ "[1].

صَدَقَةِ اللَّيْلِ

عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ كَانَ أَبُو عَبْدِ الله (عليه السلام) إِذَا أَعْتَمَ وَ ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ شَطْرُهُ أَخَذَ جِرَاباً فِيهِ خُبْزٌ وَ لَحْمٌ وَ الدَّرَاهِمُ فَحَمَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ إِلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَقَسَمَهُ فِيهِمْ وَ لَا يَعْرِفُونَهُ فَلَمَّا مَضَى أَبُو عَبْدِ الله (عليه السلام) فَقَدُوا ذَلِكَ فَعَلِمُوا أَنَّهُ كَانَ أَبَا عَبْدِ الله (عليه السلام)[2] .

و عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عَنْ آبَائِهِ (عليهم السلام) قَالَ قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله إِذَا طَرَقَكُمْ سَائِلٌ ذَكَرٌ بِلَيْلٍ فَلَا تَرُدُّوهُ[3].

عَنْ مُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ خَرَجَ أَبُو عَبْدِ الله (عليه السلام) فِي لَيْلَةٍ قَدْ رُشَّتْ وَ هُوَ يُرِيدُ ظُلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ فَاتَّبَعْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ فَقَالَ بِسْمِ الله اللهُمَّ رُدَّ عَلَيْنَا قَالَ فَأَتَيْتُهُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ قَالَ فَقَالَ مُعَلَّى قُلْتُ نَعَمْ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَقَالَ لِي الْتَمِسْ بِيَدِكَ فَمَا وَجَدْتَ مِنْ شَيْءٍ فَادْفَعْهُ إِلَيَّ فَإِذَا أَنَا بِخُبْزٍ مُنْتَشِرٍ كَثِيرٍ فَجَعَلْتُ أَدْفَعُ إِلَيْهِ مَا وَجَدْتُ فَإِذَا أَنَا بِجِرَابٍ أَعْجِزُ عَنْ حَمْلِهِ مِنْ خُبْزٍ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ أَحْمِلُهُ عَلَى رَأْسِي فَقَالَ لَا أَنَا أَوْلَى بِهِ مِنْكَ وَ لَكِنِ امْضِ مَعِي قَالَ فَأَتَيْنَا ظُلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ فَإِذَا نَحْنُ بِقَوْمٍ نِيَامٍ فَجَعَلَ يَدُسُّ الرَّغِيفَ وَ الرَّغِيفَيْنِ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِمْ ثُمَّ انْصَرَفْنَا فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْحَقَّ فَقَالَ لَوْ عَرَفُوهُ لَوَاسَيْنَاهُمْ بِالدُّقَّةِ وَ الدُّقَّةُ هِيَ الْمِلْحُ إِنَّ الله تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً إِلَّا وَ لَهُ خَازِنٌ يَخْزُنُهُ إِلَّا الصَّدَقَةَ فَإِنَّ الرَّبَّ يَلِيهَا بِنَفْسِهِ وَ كَانَ أَبِي إِذَا تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ وَضَعَهُ فِي يَدِ السَّائِلِ ثُمَّ ارْتَدَّهُ مِنْهُ فَقَبَّلَهُ وَ شَمَّهُ ثُمَّ رَدَّهُ فِي يَدِ السَّائِلِ إِنَّ صَدَقَةَ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَ تَمْحُو الذَّنْبَ الْعَظِيمَ وَ تُهَوِّنُ الْحِسَابَ وَ صَدَقَةَ النَّهَارِ تُثْمِرُ الْمَالَ وَ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام لَمَّا أَنْ مَرَّ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ رَمَى بِقُرْصٍ مِنْ قُوتِهِ فِي الْمَاءِ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَوَارِيِّينَ يَا رُوحَ الله وَ كَلِمَتَهُ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا وَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ قُوتِكَ قَالَ فَقَالَ فَعَلْتُ هَذَا لِدَابَّةٍ تَأْكُلُهُ مِنْ دَوَابِّ الْمَاءِ وَ ثَوَابُهُ عِنْدَ الله عَظِيمٌ"[4] .

---

(١) الكافي/ ج٤/ ص ٤.

(٢) المصدر نفسه/ ج/ ٤ / ص ٧.

(٣) المصدر نفسه / ج٤ / ص٧.

(٤) المصدر نفسه/ ج٤/ ص ٩.

الصَّدَقَةَ تَزِيدُ فِي الْمَالِ .

عَنْ هَارُونَ بْنِ عِيسَى قَالَ قَالَ أَبُو عَبْدِ الله (عليه السلام) لِمُحَمَّدٍ ابْنِهِ يَا بُنَيَّ كَمْ فَضَلَ مَعَكَ مِنْ تِلْكَ النَّفَقَةِ قَالَ أَرْبَعُونَ دِينَاراً قَالَ اخْرُجْ فَتَصَدَّقْ بِهَا قَالَ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَعِي غَيْرُهَا قَالَ تَصَدَّقْ بِهَا فَإِنَّ الله عَزَّ وَ جَلَّ يُخْلِفُهَا أَ مَا عَلِمْتَ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مِفْتَاحاً وَ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ الصَّدَقَةُ فَتَصَدَّقْ بِهَا فَفَعَلَ فَمَا لَبِثَ أَبُو عَبْدِ الله (عليه السلام) عَشَرَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاءَهُ مِنْ مَوْضِعٍ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ فَقَالَ يَا بُنَيَّ أَعْطَيْنَا لله أَرْبَعِينَ دِينَاراً فَأَعْطَانَا اللهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَارٍ [1].

الصَّدَقَةِ عَلَى مَنْ لَا تَعْرِفُهُ .

عَنْ حَرِيزٍ عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ الله (عليه السلام) أُطْعِمُ سَائِلًا لَا أَعْرِفُهُ مُسْلِماً فَقَالَ نَعَمْ أَعْطِ مَنْ لَا تَعْرِفُهُ بِوَلَايَةٍ وَ لَا عَدَاوَةٍ لِلْحَقِّ إِنَّ الله عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَ لَا تُطْعِمْ مَنْ نَصَبَ لِشَيْءٍ مِنَ الْحَقِّ أَوْ دَعَا إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَاطِلِ [2] .

الْبُخْلِ وَ الشُّحِّ .

عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله (عليه السلام) قَالَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (عليه السلام) إِذَا لَمْ يَكُنْ لله فِي عَبْدٍ حَاجَةٌ ابْتَلَاهُ بِالْبُخْلِ [3] .

وعَنْ مِسْمَعِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله (عليه السلام) بِمِنًى وَ بَيْنَ أَيْدِينَا عِنَبٌ نَأْكُلُهُ فَجَاءَ سَائِلٌ فَسَأَلَهُ فَأَمَرَ بِعُنْقُودٍ فَأَعْطَاهُ فَقَالَ السَّائِلُ لَا حَاجَةَ لِي فِي هَذَا إِنْ كَانَ دِرْهَمٌ قَالَ يَسَعُ اللهُ عَلَيْكَ فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ رُدُّوا الْعُنْقُودَ فَقَالَ يَسَعُ اللهُ لَكَ وَ لَمْ يُعْطِهِ شَيْئاً ثُمَّ جَاءَ سَائِلٌ آخَرُ فَأَخَذَ أَبُو عَبْدِ الله (عليه السلام) ثَلَاثَ حَبَّاتِ عِنَبٍ فَنَاوَلَهَا إِيَّاهُ فَأَخَذَ السَّائِلُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي رَزَقَنِي فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله (عليه السلام) مَكَانَكَ فَحَشَا مِلْءَ كَفَّيْهِ عِنَباً فَنَاوَلَهَا إِيَّاهُ فَأَخَذَهَا السَّائِلُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله (عليه السلام) مَكَانَكَ يَا غُلَامُ أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ مِنَ الدَّرَاهِمِ فَإِذَا مَعَهُ نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ دِرْهَماً فِيمَا حَزَرْنَاهُ أَوْ نَحْوِهَا فَنَاوَلَهَا إِيَّاهُ فَأَخَذَهَا ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لله هَذَا مِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ الله عليه السلام مَكَانَكَ فَخَلَعَ قَمِيصاً كَانَ عَلَيْهِ فَقَالَ الْبَسْ هَذَا فَلَبِسَهُ ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي وَ سَتَرَنِي يَا أَبَا عَبْدِ الله أَوْ قَالَ جَزَاكَ اللهُ خَيْراً لَمْ يَدْعُ لِأَبِي عَبْدِ الله عليه السلام إِلَّا بِذَا ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ قَالَ فَظَنَنَّا أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَدْعُ لَهُ لَمْ يَزَلْ يُعْطِيهِ لِأَنَّهُ كُلَّمَا كَانَ يُعْطِيهِ حَمِدَ الله أَعْطَاهُ [4] .

---

(١) الكافي/ ج٤ / ص ٩.

(٢) المصدر نفسه/ ج٤ / ص ١٤.

(٣) المصدر نفسه/ ج٤/ ص ٤٤.

(٤) المصدر نفسه/ ج٤/ ص ٤٩.

وعَنْ حَرِيزٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ إِذَا ضَاقَ أَحَدُكُمْ فَلْيُعْلِمْ أَخَاهُ وَ لَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ[1] .

الصدقة تدفع ميتة السوء

رَوى سَالِمُ بْن مُكْرَمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: « مَرَّ يَهُودِيٌّ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ: السَّامُ عَلَيْكَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: عَلَيْكَ .

فَقَالَ أَصْحَابُهُ: إِنَّمَا سَلَّمَ عَلَيْكَ بِالْمَوْتِ، قَالَ الْمَوْتُ عَلَيْكَ .

قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: وَ كَذَلِكَ رَدَدْتُ .

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: إِنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ يَعَضُّهُ أَسْوَدُ[2] فِي قَفَاهُ فَيَقْتُلُهُ .

قَالَ: فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ فَاحْتَطَبَ حَطَباً كَثِيراً فَاحْتَمَلَهُ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنِ انْصَرَفَ .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: ضَعْهُ .

فَوَضَعَ الْحَطَبَ فَإِذَا أَسْوَدُ فِي جَوْفِ الْحَطَبِ عَاضٌّ عَلَى عُودٍ .

فَقَالَ: يَا يَهُودِيُّ مَا عَمِلْتَ الْيَوْمَ ؟

قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا إِلَّا حَطَبِي هَذَا احْتَمَلْتُهُ فَجِئْتُ بِهِ، وَ كَانَ مَعِي كَعْكَتَانِ فَأَكَلْتُ وَاحِدَةً وَ تَصَدَّقْتُ بِوَاحِدَةٍ عَلَى مِسْكِينٍ .

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: بِهَا دَفَعَ اللهُ عَنْهُ، وَ قَالَ إِنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ مِيتَةَ السَّوْءِ عَنِ الْإِنْسَانِ [3]

الصدقة مفتاح الرزق

عَنْ هَارُونَ بْنِ عِيسَى قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام لِمُحَمَّدٍ ابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، كَمْ فَضَلَ مَعَكَ مِنْ تِلْكَ النَّفَقَةِ»؟

قَالَ: أَرْبَعُونَ دِينَاراً.

قَالَ: «اخْرُجْ فَتَصَدَّقْ بِهَا".

قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَعِي غَيْرُهَا!

قَالَ: «تَصَدَّقْ بِهَا فَإِنَ اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ يُخْلِفُهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مِفْتَاحاً وَ مِفْتَاحَ الرِّزْقِ الصَّدَقَةُ، فَتَصَدَّقْ بِهَا".

فَفَعَلَ، فَمَا لَبِثَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام عَشَرَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاءَهُ مِنْ مَوْضِعٍ أَرْبَعَةُ آلَافِ دِينَارٍ.

---

(١) الكافي/ ج٤/ ص ٤٩.

(٢) الأسود: الحيَّة العظيمة .

(٣) الكافي: ٤ / ٥.

فَقَالَ: «يَا بُنَيَّ أَعْطَيْنَا لله أَرْبَعِينَ دِينَاراً فَأَعْطَانَا اللهُ أَرْبَعَةَ آلَافِ دِينَارٍ" [1]

صدقة الليل و النهار

عَنْ مُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ، قَالَ: خَرَجَ أَبُو عَبْدِ الله ﷺ فِي لَيْلَةٍ قَدْ رُشَّتْ[2] وَ هُوَ يُرِيدُ ظُلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ، فَاتَّبَعْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ .

فَقَالَ: « بِسْمِ الله، اللهُمَّ رُدَّ عَلَيْنَا " .

قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ .

قَالَ، فَقَالَ: « مُعَلَّى « ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، جُعِلْتُ فِدَاكَ .

فَقَالَ لِي: « الْتَمِسْ بِيَدِكَ، فَمَا وَجَدْتَ مِنْ شَيْءٍ فَادْفَعْهُ إِلَيَّ " .

فَإِذَا أَنَا بِخُبْزٍ مُنْتَشِرٍ كَثِيرٍ، فَجَعَلْتُ أَدْفَعُ إِلَيْهِ مَا وَجَدْتُ، فَإِذَا أَنَا بِجِرَابٍ[3] أَعْجِزُ عَنْ حَمْلِهِ مِنْ خُبْزٍ .

فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، أَحْمِلُهُ عَلَى رَأْسِي ؟

فَقَالَ: « لَا، أَنَا أَوْلَى بِهِ مِنْكَ، وَ لَكِنِ امْضِ مَعِي " .

قَالَ: فَأَتَيْنَا ظُلَّةَ بَنِي سَاعِدَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِقَوْمٍ نِيَامٍ، فَجَعَلَ يَدُسُّ الرَّغِيفَ وَ الرَّغِيفَيْنِ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا .

فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، يَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْحَقَّ ؟

فَقَالَ: « لَوْ عَرَفُوهُ لَوَاسَيْنَاهُمْ بِالدُّقَّةِ ـ وَ الدُّقَّةُ هِيَ الْمِلْحُ، إِنَّ الله تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقْ شَيْئاً إِلَّا وَ لَهُ خَازِنٌ يَخْزُنُهُ إِلَّا الصَّدَقَةَ، فَإِنَّ الرَّبَّ يَلِيهَا بِنَفْسِهِ، وَ كَانَ أَبِي إِذَا تَصَدَّقَ بِشَيْءٍ وَضَعَهُ فِي يَدِ السَّائِلِ، ثُمَّ ارْتَدَّهُ مِنْهُ فَقَبَّلَهُ وَ شَمَّهُ، ثُمَّ رَدَّهُ فِي يَدِ السَّائِلِ، إِنَّ صَدَقَةَ اللَّيْلِ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَ تَمْحُو الذَّنْبَ الْعَظِيمَ، وَ تُهَوِّنُ الْحِسَابَ، وَ صَدَقَةَ النَّهَارِ تُثْمِرُ الْمَالَ، وَ تَزِيدُ فِي الْعُمُرِ .

إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ لَمَّا أَنْ مَرَّ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ رَمَى بِقُرْصٍ مِنْ قُوتِهِ فِي الْمَاءِ .

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْحَوَارِيِّينَ: يَا رُوحَ الله وَ كَلِمَتَهُ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا، وَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ قُوتِكَ ؟!

قَالَ، فَقَالَ: فَعَلْتُ هَذَا لِدَابَّةٍ تَأْكُلُهُ مِنْ دَوَابِّ الْمَاءِ، وَ ثَوَابُهُ عِنْدَ الله عَظِيمٌ « [4] .

---

(١) الكافي: ٤ / ٩،.

(٢) أي ليلة قد أمطرت .

(٣) الجِراب بالكسر: وعاء من إهاب شاة يوعى فيه الحب و الدقيق و نحوهما، (مجمع البحرين: ٢ / ٢٣ .

(٤) الكافي: ٤ / ٨،.

كيف تُبعد الشيطان عن نفسك بُعد المشرق عن المغرب ؟

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ [1] عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام :

أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ لِأَصْحَابِهِ:

" أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَبَاعَدَ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ كَمَا تَبَاعَدَ الْمَشْرِقُ مِنَ الْمَغْرِبِ؟

قَالُوا: بَلَى .

قَالَ صلى الله عليه وآله: الصَّوْمُ يُسَوِّدُ وَجْهَهُ .

وَ الصَّدَقَةُ تَكْسِرُ ظَهْرَهُ .

وَ الْحُبُّ فِي اللهِ، وَ الْمُوَازَرَةُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَقْطَعُ دَابِرَهُ .

وَ الِاسْتِغْفَارُ يَقْطَعُ وَتِينَهُ .

وَ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَ زَكَاةُ الْأَبْدَانِ الصِّيَامُ[2] .

الجنة محرمة على الشحيح

رُوِيَ عَنْ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام ، أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ إِنَّ الشَّحِيحَ أَغْدَرُ مِنَ الظَّالِمِ .

فَقَالَ لَهُ: « كَذَبْتَ إِنَّ الظَّالِمَ قَدْ يَتُوبُ وَ يَسْتَغْفِرُ، وَ يَرُدُّ الظُّلَامَةَ عَلَى أَهْلِهَا، وَ الشَّحِيحُ إِذَا شَحَّ مَنَعَ الزَّكَاةَ، وَ الصَّدَقَةَ، وَ صِلَةَ الرَّحِمِ، وَ قِرَى الضَّيْفِ، وَ النَّفَقَةَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَ أَبْوَابَ الْبِرِّ، وَ حَرَامٌ عَلَى الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَهَا شَحِيحٌ » [3].

المال يفنى و العمل يبقى

رُوِيَ عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أَنَّهُ قال لِعَمَّارٍ: «يَا عَمَّارُ، أَنْتَ رَبُّ مَالٍ كَثِيرٍ»؟

قَالَ: نَعَمْ، جُعِلْتُ فِدَاكَ.

قَالَ: «فَتُؤَدِّي مَا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ مِنَ الزَّكَاةِ»؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «فَتُخْرِجُ الْمَعْلُومَ مِنْ مَالِكَ»؟

قَالَ: نَعَمْ.

---

(١) أي الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، سادس أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

(٢) الكافي: ٤ / ٦٢.

(٣) المصدر نفسه: ٤ / ٤٤.

قَالَ: «فَتَصِلُ قَرَابَتَكَ»؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «فَتَصِلُ إِخْوَانَكَ»؟

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ: «يَا عَمَّارُ، إِنَّ الْمَالَ يَفْنَى، وَ الْبَدَنَ يَبْلَى، وَ الْعَمَلَ يَبْقَى، وَ الدَّيَّانُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، يَا عَمَّارُ إِنَّهُ مَا قَدَّمْتَ فَلَنْ يَسْبِقَكَ، وَ مَا أَخَّرْتَ فَلَنْ يَلْحَقَكَ» (١).

الخاتمة

لا ندم مع الإنفاق، ولا فقر مع العطاء، ولكن قطعاً هناك ندم وخسارة مع تركهما.

إن الصدقة التي يدفعها المتصدق تقع بيد الله تعالى، فهم يأخذونها بالنيابة عن الله تعالى، فيدهم القابضة للصدقة هي يد الله تعالى، وهذا التعبير واحد من أفضل وألطف التعابير التي تجسّد عظمة الحكم الإسلامي، بالإضافة التشجيع الوارد للعمل بهذه المسألة أو الفريضة الإلهية المتجسدة في الصدقة المستحبة والواجبة وهي الزكاة، فالصدقات تدفع البلاء وتدفع الفقر وتزيد العمر وتجلب الرزق وتُظلُّ المتصدّق يوم القيامة وتقوم بالتطهير والتزكية. وتضاعف الحسنات عند الله وتمحو الخطايا، وتطهر المال مما دخله من الحرام، وتحقق البركة في الرزق؛ ولذلك ترى الآيات القرآنيّة تجزل الثواب على المتصدّقين وتمدحهم، وتتوعّد الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله بالهلاك والعذاب الأليم، فالعبادة في الإسلام وإن كانت تمثل علاقة بين الإنسان وربه ولكنها صيغت في الشريعة الإسلامية بنحو لتكون أداة لعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، ولا تؤدي هذه العبادة ـ أياً كانت ـ دورها ما لم تكن قوة فاعلة في توجيه ما يواكبها من علاقات اجتماعية توجيهاً صالحاً. فالزكاة ـــ الخمس والزكاة ـــ ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتهذيب نفس وروح الفرد المسلم المطيع لربه، فهي تعلمه وتشجعه على البذل والإنفاق في سبيل الله -تعالى- لتنفي البخل والشح عنه، وتسهم بشكل فاعل في عملية تقدم وتطور المجتمع المسلم.

إنَّ من أبخل الناس من بخل بإخراج ما افترضه الله سبحانه في أمواله من حق معلوم للسائل والمحروم، ومنع الأموال من مستحقها، ومن بخل على نفسه بماله فقد خلّفه لوراثه في النهاية فيكون المهنأ لغيره والوزر عليه حيث ينوء بحمله.

إنّ مال الإنسان وديعة عنده ويأتي يوم ترد الوديعة، أليس من الأفضل إذاً أن يتزود الإنسان من هذه

(١) الكافي: ٤ / ٢٧.

الوديعة؟. والتزود منها ليس حلالاً فحسب، بل يؤدي إلى حسن الذكر في الدنيا وجميل الثواب في الآخرة، وسيأتي يوم يندم فيه من لم يتزود ولكن لا ينفعه الندم.

إن متعة الحياة ولذة العيش سوف تشعر بها كلما قمت بعمل طيب تجاه الآخرين، سواء تلقيت الشكر عليه أو لا. وفي الحقيقة إن سعادتك هي انعكاس لسعادة الآخرين.

السعادة لا تتم إلَّا إذا اشترك فيها أكثر من شخص. فالسعادة لا تظفر بها إلَّا بالمشاركة والسعادة مخزون من الفيض الإلهي، وحصتك منه هو بمقدار ما تحمله لغيرك، فمن أجل حياتك اعمل المعروف.

وعندما يقرر الإنسان أن يساعد الآخرين يجد الكثير من الطرق لذلك، فالمجال واسع جدًّا لتكون معطاء.

المال لا تظهر فائدته إلَّا بالإنفاق في المصالح النافعة، أما كنزه وجمعه وعدّه فهو قتل له، وحرمان لثمراته من أن تظهر ولخيراته من أن تزهر، ولطاقاته من أن تتحرك وتنتج، والممسكون معطلون ومتلفون، ومحرومون وجمّاعون لغيرهم.

إنَّ الصدقة والتصدق لا يقتصرُ على المال وما يقوَّمُ بالمال بل يشمل كل عملٍ صالح؛ من طيب الكلمة وبشاشة الوجه، وإنظار المعسر والتخفيف عنه.

لذلك يلزم على الإنسان أن لا يؤخّر الأمر إلى غد.. وبعد غد، فلعلّ المنية توافيه بدون إخبار أو سابق إنذار، أو لم يقدر غداً على ما يقدر عليه اليوم؟.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ﷺ، للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، المولود بإصفهان سنة: ١٠٣٧، و المتوفى بها سنة: ١١١٠ هجرية، طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت / لبنان، سنة: ١٤١٤ هجرية .
2. تنبيه الخواطر و نزهة النواظر (مجموعة ورام)، لورّام بن أبي فراس، مسعود بن عيسى، المتوفى سنة: ٦٠٥ هجرية، الطبعة الأولى، قم/ ايران سنة ١٤١٠ هجرية.
3. تحف العقول: الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٢، (بيروت: مؤسسة الفكر الإسلامي، ١٤٢٥ هـ) .
4. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١هـ)، ط ٤، (منشورات طليعة النور، قم المقدسة، ١٤٢٥ هـ) .
5. حلية الأبرار في أحوال محمد واله الأطهار ﷺ، للسيد هاشم بن سليمان البحراني، المتوفى سنة: ١١٠٧ هجرية، طبعة مؤسسة المعارف الاسلامية، قم/ إيران، الأولى، سنة: ١٤١١ هجرية.
6. عيون الحكم والمواعظ: ٤٨، لعلي بن محمد الليثي الواسطي، المتوفى في القرن السادس الهجري، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨ هجرية، قم/ إيران
7. غرر الحكم ودرر الكلم/ عبد الواحد الآمدي (ت ٥٥٠ هـ)/ تحقيق: حسين الأعلمي/ الطبعة: الأولى/ (بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٤٢٢هـ).
8. قرب الإسناد: ١٢٠، لأبي عباس عبدالله بن جعفر الحميري القمي، من أصحاب الإمام حسن العسكري ﷺ و فقهاء القرن الثالث، طبعة مؤسسة آل البيت ﷺ، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣ هجرية، قم / ايران.
9. القَصص التربويَّة عند الشيخ محمَّد تقي فلسفي، للطيف الراشدي، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الاولى ٢٠٠٤ م.
10. القصص الواعظة/ علي شقير/ ط١/ ١٤٢٦/ ٢٠٠٥/ دار الاميرة بيروت لبنان.
11. الكافي:، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني، المُلَقَّب بثقة الإسلام، المتوفى سنة: ٣٢٩ هجرية، طبعة دار الكتب الإسلامية، سنة: ١٣٦٥ هجرية/ شمسية، طهران/ إيران.

12. تفسير الكاشف/ المؤلف: محمّد جواد مغنية/ الناشر: دار الأنوار، طباعة ـ نشر ـ توزيع/
13. لسان العرب/ محمد بن مكرم بن منظور/ تحقيق: عبد الله الكبير وآخرون/ د . ط/ (القاهرة: دار المعارف د. ت).
14. مفردات ألفاظ القران/ الراغب الأصفهاني/ تحقيق: صفوان عدنان الداوودي/ ط ٢/ قم: مطبعة سليمان/ ١٤٢٧ هـ.
15. المحاسن، للشيخ أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي، طبعة دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧١ هجرية، قم / إيران.
16. من لا يحضره الفقيه، للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، المولود سنة: ٣٠٥ هجرية بقم، و المتوفى سنة: ٣٨١ هجرية، طبعة انتشارات اسلامي التابعة لجماعة المدرسين، الطبعة الثالثة، سنة: ١٤١٣ هجرية، قم / إيران.
17. مستدرك وسائل الشيعة، للشيخ المحدث النوري، المولود سنة: ١٢٥٤ هجرية، و المتوفى سنة: ١٣٢٠ هجرية، طبعة: مؤسسة آل البيت، سنة: ١٤٠٨ هجرية، قم / إيران.
18. معجم مجمع البحرين فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ)، تحقيق: نضال علي، ط١، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٣٠ هـ) .
19. مناقب آل أبي طالب ﷺ، للعلامة المُحدِّث رشيد الدين محمد بن شهر آشوب المازندراني، المولود سنة: ٤٨٩ هجرية بمازندران / إيران، و المتوفى سنة: ٥٨٨ هجرية بحلب / سوريا، طبعة مؤسسة العلامة للنشر، قم / إيران، سنة: ١٣٧٩ هجرية.
20. منازل الآخرة والمطالب الفاخرة عباس القمي(ت١٣٥٩هـ)، تعريب وتحقيق: سيد ياسين الموسوي ط: الأولى، (مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم- إيران، ١٤١٩هـ).
21. وسائل الشيعة (تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة)، للشيخ محمد بن الحسن بن علي، المعروف بالحُر العاملي، المولود سنة: ١٠٣٣ هجرية بجبل عامل لبنان، و المتوفى سنة: ١١٠٤ هجرية بمشهد الإمام الرضا ﷺ و المدفون بها، طبعة: مؤسسة آل البيت، سنة: ١٤٠٩ هجرية، قم / إيران .
22. الوافي بالوفيات، الصفدي، دار إحياء التراث، بيروت، طبع عام ١٤٢٠هـ.

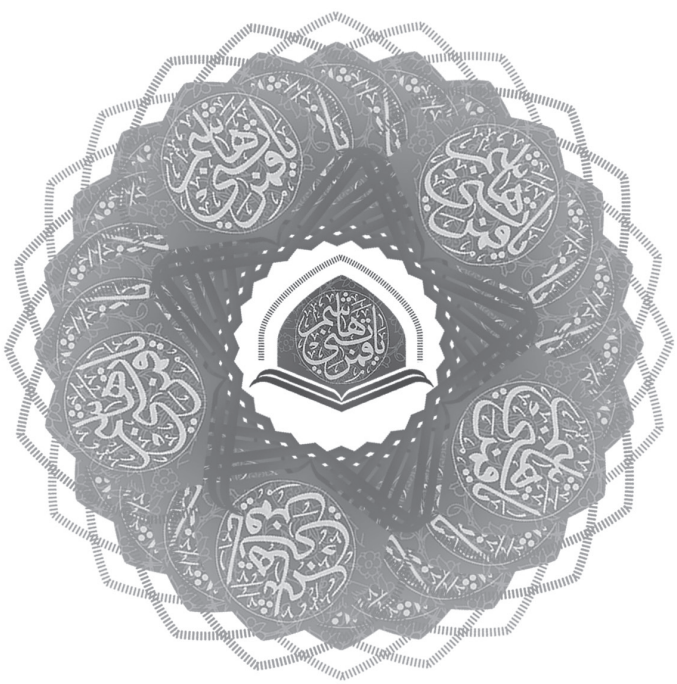

شهر
ذي القعدة

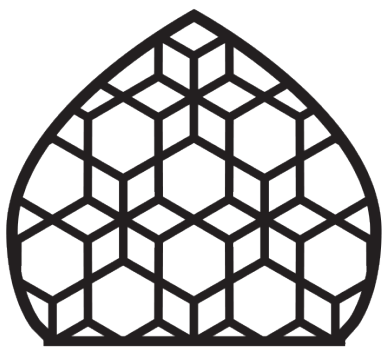

ولاية العهد وبيعة المأمون

الإجبار في قبول الولاية

ولاية العهد وبيعة المأمون
الإجبار في قبول الولاية

الشيخ حيدر حسن

إنَّ المحقق المسلّم هو أنّ المأمون قد أجبر الإمام الرضا عليه السلام على قبول ولاية العهد، وهدّده بالقتل إن لم يستجب له، فاضطرّ الإمام عليه السلام على كره إلى إجابته، وإنّما رشّحه لولاية العهد لعوامل عديدة، ولسياسة خطيرة ألجأته إلى ذلك.

ولا مرية أن إقدام المأمون على ذلك لم يكن لرجوعه من باطله إلى الحقّ، واعترافه وإقراره بأنّ خلافة النبوة وإمامة الأمة الإسلامية حقّ شرعيّ لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، ولا لميله إلى ذريّة علي وفاطمة بأنَّ الحق لهم ومعهم وفيهم وبهم.

لا.. لم يكن لشيء من ذلك.

والذي يزعم أنّه أقدم على ذلك اعترافاً بالحقّ، ورجوعاً إليه اشتبه عليه الأمر، ولا ينظر إلى الأحداث والوقائع التاريخية في هذا المجال بإمعان ودقّة وتحقيق.

فإنّ المأمون لم يقدم على ذلك الأمر الخطير إلاّ بعد أن اضطر إليه، فإن من العوامل السياسيّة التي اضطرّته هي:

أولاً: إنَّ الدولة العباسيّة كانت مهدّدة بخطر الانقراض بواسطة الحركات والثورات الداخلية التي كانت بقيادة العلويّين الذين أعلنوا الثورة على الحكم العباسي بسبب ما عانت الأمة من الظلم والجور والاضطهاد، وقد تولّى قيادة بعض هذه الحركات والثورات أبو السرايا.

أبو السريا هو السر بن منصور الشيباني، وكان علوي الرأي ويكنّ في نفسه أعظم الحبّ والولاء للعلويّين، ويحترق على ما أصابهم من العنف والاضطهاد، وكان يسعى جاهداً إلى قلب الحكم العباسي وإعادته إلى العلويين..

ولمّا ظهر محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بالكوفة، وهو المعروف بابن طباطبا،

انضّم إليه أبو السرايا، وأبو السرايا كان قد خاض في كثير من الحروب، ومارس عملياتها، واشترك مع يزيد بن مزيد في «أرمينية» لمقاتلة الخرّمية، وبعدما توفى يزيد تولّى ابنه قيادة الجيش وانضم أبو السرايا إليه، وكان معه إلى أن عزل، فالتحق أبو السرايا بأحمد بن مزيد، وقد أرسل الأمين بن هارون أحمد بن مزيد لحرب هرثمة بعد أن أعلن العصيان والتمرّد، وقد أوعز إليه أن يجتمع به ليطّلع على شؤونه..

والتقى به أحمد فشرح له هرثمة أسباب تمرّده وخروجه وما تعانيه الأمّة الإسلاميّة من ظلم العباسيين وجورهم، فمال إليه أحمد، ولحق به، فانضمّ إليه ما يزيد على ألفي فارس.. وبعد قتل الأمين عزم أبو السرايا على التخلّي عن هرثمة، لأنّه نقص من عطايا الجيش ومرتباتهم، فاستأذن أبو السرايا هرثمة للحج فأذن له، وأعطاه عشرين ألف درهم، فأخذها وفرّقها بين أصحابه، وقال لهم: اتبعوني متفرّقين ففعلوا فاجتمع معه منهم نحواً من مائتي فارس، فسار بهم إلى عين التمر، وحصر عاملها وأخذ ما معه من المال، وفرّقه في أصحابه، وسار، فلقى عاملاً آخر ومعه مال فأخذه، وسار فلحقه عسكر قد سيّره هرثمة خلفه... فقاتلهم وهزمهم وقسم ما غنم من المال بين أصحابه فلحق به من تخلف عنه من أصحابه وغيرهم، فكثر جمعه... فسار إلى الرقة، فبايع ابن طباطبا... فصمّما على القضاء على الحكم العباسي، وإعلان البيعة للرضا من آل محمد صلى الله عليه وآله فدخلا الكوفة، وابتدأ أبو السرايا بقصر العباس بن موسى بن عيسى، فأخذ ما فيه من الأموال والجواهر.

فبايع أهل الكوفة، ونواحيها ابن طباطبا، وكان العامل عليها الحسن بن سهيل بن سليمان بن المنصور، فلامه الحسن، ووجّه زهير بن المسيّب الضبيّ إلى الكوفة في عشرة آلاف فارس وراجل، فخرج إليه ابن طباطبا وأبو السرايا... فهزموه، واستباحوا عسكره [1].

وفاة ابن طباطبا:

ومن المؤسف أنّ في تلك الفترة الحاسمة توّفي زعيم الحركة محمد بن إبراهيم ابن طباطبا، وكان ذلك مستهل رجب المرجب سنة (١٩٩) فقام أبو السرايا بتجهيز جثمانه... فدفنه بالغري [2]، وبايعوا بعده محمد بن محمد بن زيد الشهيد ابن علي بن الحسين عليه السلام، وفي الوقت بلا تريث نظم شؤونه، وبعث عمّاله إلى الأقطار الإسلاميّة..

فولّى إسماعيل بن علي على الكوفة، وروح بن الحجّاج على شرطته، وعاصم بن مزاحم السوق، وعقد لإبراهيم الأكبر بن موسى بن جعفر عليه السلام على اليمن، وولّى زيد بن موسى عليه السلام على الأهواز، والعباس بن محمد

---

(١) الكامل: ج٥ / ص١٧٣.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ج٢ ص٤٠٣.

على البصرة، والحسن بن الأفطس على مكة.. وضربت النقود ـ الدينار والدرهم ـ بالكوفة، وكتب عليها الآية الكريمة: (إنّ الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّاً كأنهم بنيان مرصوص) [1].

فأخذت الحركة تتسّع في مناطق العالم الإسلامي، وأدرك المأمون والعباسيون الخطر الذي كان يهدّدهم بزوال ملكهم بين عشيّة أو ضحاها، وقد مني والي العراق ـ الحسن بن سهل ـ بالفشل الذريع، فكتب إلى طاهر بن الحسن لينفذه إلى قتال أبي السرايا، فأتاه الجواب بهذه الأبيات:

قناع الشّك يكشفه اليقين وأفضل كيدك الرأي الوصين

تثبت قبل ينفذ فيك أمر يهيّج نشره داء دفين

أتندب طاهراً لقتال قوم بنصرتهم وطاعتهم يدين

سيطلقها عليك معقلات تصير ودونها حرب زبون

ويبعث كامناً في الصدر منه ولا يخفى إذا ظهر المصون

فشأنك واليقين فقد أنارت معالمه وأظلمت الظنون

ودونك ما تريد بعزم رأي تدبّره ودع ما لا يكون

فكتب إلى هرثمة بن أعين يسأله التعجيل..

فقال هرثمة: نوطئ نحن الخلافة، ونمهّد لهم أكنافها، ثم يستبدّون بالأمور، ويستأثرون بالتدبير علينا، فإذا انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم وإضاعتهم الأمور أرادوا أن يصلحوه بنا، لا والله حتى يعرف أمير المؤمنين سوء آثارهم، وقبيح أفعالهم.

وسار هرثمة إلى خراسان مغاضباً للحسن بن سهل، فجاءته رسالة من المنصور بن المهدي فقرأها، وأجاب بعد ذلك، ورجع إلى بغداد، فخرج لاستقباله البغداديون.. وأمر الحسن بن سهل بدواوين الجيش، وجعلت تحت اختياره ليختار من الرجال ما شاء، وأطلق له بيوت الأموال، فأخذ يجمع الجيوش حتى صار عنده ثلاثون ألف مقاتل، ما بين فارس وراجل.. فزحف بهم نحو الكوفة... فوقع بينه وبين أبي السرايا الحرب، وكانت له الغلبة والظفر على أبي السرايا، فاضطر أبو السرايا لمغادرة الكوفة قاصداً نحو القادسية منهزماً حتى أتى إلى «السوس».. ثم انهزم منها قاصداً إلى خراسان... فبالطريق أخذ أسيراً ومن معه فحملوه إلى الحسن بن سهل

---

(١) سورة الصف: ٤.

بالمدائن، فأمر الحسن بقتله فقتل، وكانت المدّة بين حركته وقتله عشرة أشهر[1].

نعم، كانت حركة ابن طباطبا منبعثة من الإيمان بالحقّ والحقيقة، حيث كان يعلم بأنّ خلافة النبوّة حق شرعي للرضا من آل محمد ﷺ لما يدل على ذلك الكتاب والسنّة ويؤيده العقل السليم والعرف اللبيب، ولذلك كانت الحركة والدعوة ـ أي الدعوة للرضا من آل محمد ﷺ ـ خطر عظيم على الدولة العبّاسية.

ثانياً: من العوامل السياسية التي اضطرت المأمون إلى بيعة ولاية العهد: تنحيته لطاهر بن الحسين عمّا كان إليه من أعمال البلدان التي كان هو فاتحها، واستعماله الحسن بن سهل عليهما.

وتلك البلاد التي افتتحها طاهر هي «كور الجبل» و«العراق» و«فارس» و«الأهواز» و«الحجاز» و«اليمن»[2] فبعد قتل الأمين كتب المأمون إلى طاهر بتسليم ذلك إلى الحسن بن سهل، وهذا العمل من المأمون صار سبب استياء في الأوساط العراقية.

ثالثاً: استياء العراقيين من غلبة الفضل بن سهل والحسن بن سهل عليه، وقد اشتد الاستياء خاصة لما ولي الحسن بن سهل على العراق، فأثارت هذه التولية تقوّلات الناس وتحدّثوا بينهم أن الفضل بن سهل قد غلب المأمون، وأنزله قصراً قد أحجبه فيه عن أهل بيته ووجوه قواده من الخاصة والعامة، وهو يبرم الأمور على هواه، ويستبدّ بالرأي دونه، فغضب لذلك من في العراق ممن كان بها من بني هاشم، ووجوه الناس، وأنِفوا من غلبة الفضل بن سهل على المأمون[3].

رابعاً: نقمة بني العباس على المأمون لتفضيله في أول الأمر العنصر الفارسي، ونقله عاصمة الملك إلى مرو.

وهذه العوامل صارت سبب النفرة بين زعماء العباسيين في بغداد، وبين المأمون، كما أدّت إلى اختلاف الرأي بين زعماء العباسيين أنفسهم في العراق، ممّا فسحت المجال للتيارات العكسيّة أن تلعب دورها.

خامساً: الفتنة بين الأخوين ـ الأمين والمأمون ـ وقتل الأمين قد زعزعت ثقة بعض أقسام الإمبراطورية العبّاسية في قوة العائلة العباسيّة نفسها.

سادساً: غلبة ولاء العلويّين على أكثرية سكّان الكوفة وكثير من البلاد الإسلامية.

سابعاً: علم المأمون بحقد المسلمين على العباسيّين لظلمهم آل رسول الله ﷺ وهم لم يبلغوا الملك والسلطان إلاّ باسم آل محمد ﷺ وبسيوف محبيهم ومواليهم.

---

(١) الكامل لابن الأثير: ج٥ ص١٧٦.

(٢) المصدر نفسه: ج٥ ص١٧٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج٧ ص١١٧.

وكان المأمون يعلم بأنّ خلافة النبوّة، وإمامة الأمّة الإسلامية حق شرعي وعقلي وعرفي لذريّة رسول الله ﷺ وأهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وكان يرى أنّ الأوضاع والأحوال لا تساعده، وأن ما حدث من الحركات والنهضات في الأقطار الإسلامية العربيّة كلها تستهدف الحقّ الواقع وإرجاع الخلافة إلى محله الشرعي، البيت العلوي، فأراد أن يسيطر على هذه الظاهرة بشكل من الأشكال.

حركة في خراسان

ويحدّث التاريخ أنّه كانت هناك حركة علويّة في خراسان أيضاً في عهد المأمون، سنة (١٩٨)، وكان زعيم الحركة الحسين بن هرش، وكان يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ وتبعه كثير من الفرس لحبهم وولائهم للبيت العلوي.

ولقد خشي المأمون تلك الحركة كثيراً، لأنّها كانت تهدد قاعدته بمرو، إلاّ أنّ عقليّة الفضل بن سهل والتزامه المأمون جعلت الجيوش المأمونية أن تنتصر على تلك الحركة سنة (١٩٩) ثم ألقي القبض على زعيم الحركة (الحسين بن هرش) وجيء به إلى المأمون، فأمر بقتله [١].

دوافع بيعة المأمون

وهنا يأتي السؤال: ما هي دوافع المأمون في البيعة للإمام الرضا ﷺ بولاية العهد؟

أكانت عقيدته أن الخلافة النبويّة تكون حقاً شرعيّاً له ﷺ كما هي عقيدة الشيعة الاثني عشريّة، أو كانت الظروف السياسيّة أملت عليه ذلك؟.

أكان المأمون قاصداً أن يعيد الحقّ إلى صاحبه الشرعي قربة إلى الله، أو كان هناك أمر سياسيّ أملى عليه ذلك، أو أنّه فكر أن يجعل ولي عهده أكفأ البيتين ـ العلوي والعباسي ـ في وقته؟.

نعم، لم تكن بيعة المأمون للإمام الرضا ﷺ إلاّ لغرض سياسي، وإظهاره فضل الإمام ﷺ وبيعته له ﷺ بولاية العهد إنما كان تصنعاً وقشرياً وإن كان يعلم بأحقية الإمام للخلافة، ففعل ذلك ليتخلص من الحركات والثورات التي ظهرت في عهده بزعامة العلويّين، ونشبت نيرانها في أكثريّة أقطار ملكه، حتى أن خراسان معقل آماله قد سرت إليها روح التمرد، فليس من المعقول أن لا تنبهه الحركات ولم يفكر في الحيلة للقضاء عليها.

إنّ الحوادث وسيرة المأمون تدلاّن على أنّه كان يتتبع الحركات بدقّة، ويقتفي بواعثها وإنّه لم يكن يفكر بكيفية القضاء عليها قضاء مؤقتاً فحسب، بل فكر أن يضع إصبعه على موطن العلّة ليقطع دابرها، ويأمن من نتائجها.

---

(١) الإمام علي الرضا ؑ، لعبد القادر أحمد: ص٢٤.

فما كانت العلّة في تلك الحركات؟.

ألم تكن هي الدعوة العلويّة، وميل الناس إليها، في وقت كان المأمون ممقوتاً عليه من بني أبيه، العباسيّين؟.

إنّه كان ممقوتاً عليه من بني العباس لأسباب عدة، منها قتله أخاه الأمين، وتنكيل أمّه زبيدة، وإقامته في مرو، وجعله إيّاها عاصمة ملكه، وكان لهذا أثر في نفوس البغداديّين عامة، وفي العبّاسيين خاصة، ولأنّه قد فضّل العنصر الفارسي على العنصر العربي، ولما كان يبديه للفضل بن سهل من رحابة صدر وتقليده منزلة ليست فوقها منزلة إلاّ الخلافة.

إذن لوحظ أن الظروف المحيطة بالمأمون قد ألجأته إلى أن يفكر بإرضاء العلويّين، أم العباسيين، ولكن أي الفريقين يفضل في تلك الحالة الحرجة، فكان له مشكل آخر، ولا شك أن دهاء المأمون كان تهمس في أذنه أن الحكمة تقتضي في ذلك الظرف أن يتقرّب إلى البيت العلوي حفظاً لمركزه الذي كان فيه، ورجاء أن لا ينكر الناس عليه ذلك لما كان يتظاهر بالتشيع، والعطف على العلويّين.

نعم، إن الذي لا مرية فيه هو أنّ الدعاية الواسعة الفعالة التي نشطت كثيراً للعلويّين هي عمدة ما جعلت المأمون أن يفكر بعلاج ناجح لتسكين الحركات.

وكان يزعم أنّ بيعته للإمام الرضا ﷺ هي العلاج المنشود لسلامة الامبراطورية العبّاسية.

كما ولم تكن بيعة المأمون للإمام الرضا ﷺ من تدبير الفضل بن سهل ولاغيره، بل كان الفضل، وأخوه الحسن، من مخالفي تلك البيعة، وكانت هي من سياسة المأمون نفسه، ولم يكن لأحد فيها دخل.

فعن الريّان بن الصلت، قال: أكثر الناس في بيعة الرضا ﷺ من القواد والعامة، ومن لا يحبّ ذلك، وقالوا: إنّ هذا من تدبير الفضل بن سهل ذي الرياستين، فبلغ المأمون ذلك فبعث إليَّ في جوف الليل، فصرت إليه، فقال: يا ريّان بلغني أن الناس يقولون: إن بيعة الرضا ﷺ كانت من تدبير الفضل بن سهل؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، يقولون هذا؟.

قال: ويحك يا ريّان، أيجسر أحد أن يجيء إلى خليفة قد استقامت له الرعيّة والقواد، واستوت له الخلافة، فيقول له: ادفع الخلافة من يدك إلى غيرك، أيجوز هذا في العقل؟.

قلت له: لا والله يا أمير المؤمنين، ما يجسر على هذا أحد.

قال: لا والله ما كما يقولون، ولكن أخبرك بسبب ذلك.

إنّه لما كتب إليَّ محمد ـ الأمين ـ أخي، يأمرني بالقدوم عليه، فأبيت عليه، عقد لعلي بن عيسى بن ماهان، وأمره أن يقيدني بقيد، يجعل الجامعة في عنقي، فورد عليَّ ذلك الخبر، وبعثت هرثمة بن أعين إلى سجستان

وكرمان وما وراهما، فافسد عليَّ أمري، وانهزم هرثمة وخرج صاحب السري، وغلب على كور خراسان من ناحيته، فورد عليَّ هذا كله في أسبوع.

فلمّا ورد ذلك عليَّ لم يكن في قوّة بذلك، ولا كان لي مال أتقوّى به، ورأيت من قوادي ورجالي الفشل والجبن، وأردت أن الحق بملك كابل، فقلت في نفسي: ملك كابل رجل كافر، ويبذل محمد ـ الأمين ـ له الأموال فيدفعني إلى يده، فلم أجد وجهاً أفضل من أن أتوب إلى الله عزّ وجل من ذنوبي، واستعين به على هذه الأمور، وأستجير بالله عز وجل... لبست ثوبين أبيضين وصليت أربع ركعات، قرأت فيها من القرآن ما حضرني ودعوت الله عزّ وجل واستجرت به، وعاهدته عهداً وثيقاً بنيّة صادقة إن أفضى الله بهذا الأمر إلي وكفاني عاديته وهذه الأمور الغليظة، أن أضع هذا الأمر في موضعه الذي وضعه الله عزّ وجلّ فيه.

ثم قوي فيه قلبي، فبعثت طاهر بن الحسين إلى علي بن عيسى بن هامان، فكان من أمره ما كان، ورددت هرثمة إلى رافع بن أعين فظفر به وقتله، وبعثت إلى صاحب السرير فهادنته وبذلت له شيئاً حتى رجع، فلم يزل أمري يقوى حتى كان من أمر محمد ـ الأمين ـ ما كان، وأفضى الله إليَّ بهذا الأمر واستوى لي.

فلمّا وافى الله عزوجل لي بما عاهدته عليه، أحببت أن أفي الله تعالى بما عاهدته، فلم أر أحداً أحق بهذا الأمر من أبي الحسن الرضا عليه السلام فوضعتها فيه، فلم يقبلها إلاّ على ما قد علمت، فهذا كان سببها [1].

أقول: لو سلمنا أن المأمون في شدته وضيقه عاهد الله على أن يرجع الخلافة إلى أهله ولكن عندما انتصر على أخيه الأمين قد نسي ذلك، وما كانت خطته إلا للسيطرة على الأوضاع الراهنة التي كانت لصالح العلويين، فلم يكن الدافع الديني والعهد إلى الله تعالى هو السبب، وإنّما أراد تلبيس الأمر على ريان، نعم يستفاد من هذا الخبر انه لم يكن للفضل بن سهل تأثير في الموضوع وغلبة على رأي المأمون.

ولعلّ المأمون كان بإظهاره هذه الحجّة استهدف شيئين: هما التقليل من شأن الفضل ليرى العبّاسيين على الأخصّ أن الفضل ليس كما هم يتصوّرون أنّه مسيطر عليه، ويشد أفواه الذين يتقوّلون في أمر البيعة إنَّها لأغراض دنيويّة.

أجل، الإنسان إذا وقع في ضنك وضيق لا مخرج له منه، قد تصيبه حالة من الإعياء العقلي، هناك يستلم لمشيئة الأقدار، ويتشبث بالدعاء والنذر والعهد إلى الله طالباً منه العفو والغفران، عن الذنوب والآثام، ويتوب ويتضرّع إليه سبحانه وتعالى، ويسأله أن ينقذه من المضيق والمهلكة.. (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٩ / ص١٣٧ / ط بيروت.

بجانبه وإذا مسّه الشر فذو دعاء عريض) [1].

فإنّ المأمون لما علم أنه سيغلب رأى أنّه قد وقع في مضيق لا يمكنه الخروج منه، هناك تاب وأناب إلى الله عز وجل، وعاهده ونذر له سبحانه ما عاهد ونذر، ولا مرية أنّه عاهد الله ونذر، ودعا الله وتضرّع إليه لأن ينجيه من الضيق والهلكة، ويغلبه على أخيه محمد الأمين، ويؤتيه الملك.. ومن المسلم أنّ الإنسان حينما يقدم على تقرير أشياء وهو في حالة مثل ما كان فيها المأمون لا تكون قراراته فيها ثابتة، وذلك لأنّ حالته في إثنائها أبعد ما تكون عن الوضع الطبيعي في الظروف الاعتيادية، ولهذا فهي تختلف تمام الاختلاف فيما إذا ذهب حظر الشدّة، ورجعت القوى النفسانية إلى حالتها المستوية، وهذا ما كان قد وقع للمأمون..

وتعامل المأمون مع الإمام الرضا عليه السلام وقتله إيّاه عليه السلام بالسّم في الرمان والعنب، كان دليلاً ساطعاً وبرهاناً قاطعاً على أنه كذب في مقالته وكان من المنافقين.

طلبه عليه السلام من المدينة

وقد بعث المأمون رجاء بن أبي الضحاك لحمل الإمام علي الرضا عليه السلام من المدينة إلى مرو خراسان على طريق الأهواز، ولا يمرّ به على طريق الكوفة.

فعن مخول السجستاني، قال: لما ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة، فدخل الإمام عليه السلام المسجد ليودّع رسول الله صلى الله عليه وآله فودّعه مراراً، كل ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب، فتقدّمت إليه وسلّمت عليه فردّ السلام، وهنأته، فقال عليه السلام: زرني، فإني أخرج من جوار جدّي صلى الله عليه وآله فأموت في غربة وأدفن إلى جنب هارون [2].

وعن الوشاء، قال: قال لي الرضا عليه السلام: إني حيث أرادوا الخروج بي من المدينة جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليَّ حتى أسمع، ثم فرّقت بينهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً [3].

وعن أبي هاشم الجعفري، قال: لمّا بعث المأمون رجاء بن أبي الضحاك لحمل أبي الحسن الرضا عليه السلام على طريق الأهواز... فلما سمعت به سرت إليه بالأهواز، وانتسبت له عليه السلام وكان أوّل لقائي له عليه السلام وكان مريضاً، وكان زمن القيظ، فقال عليه السلام: ابغني طبيباً، فأتيته بطبيب، فنعت عليه السلام له بقلة.

فقال الطبيب: لا أعرف أحداً على وجه الأرض يعرف اسمها غيرك، فمن أين عرفتها؟! إلاّ أنها ليس هذا أوانها، ولا هذا الزمان.

---

(١) سورة فصّلت: ٥١.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج٢ ص٢٠٥.

(٣) المصدر نفسه: ج٢ ص٢١٨.

قال عليه السلام له: فابغ لي قصب السكر.

فقال الطبيب: وهذه أدهى من الأولى، ما هذا بزمان قصب السكر.

فقال عليه السلام: هما في أرضكم هذه وزمانكم هذا، وهذا ـ أبو هاشم الجعفري ـ معك فامضيا إلى شاذروان الماء، واعبراه، فيرفع لكم جوخان ـ بيدر ـ فاقصداه، فستجدان رجلاً هناك أسوداً في جوخانه، فقولا له: أين منبت القصب السكر، وأين منابت الحشيشة الفلانيّة؟ ـ نسي أبو هاشم إسمها ـ.

فقال عليه السلام: يا أبا هاشم دونك القوم، فقمت، فإذا الجوخان والرجل الأسود، فسألناه، فأومأ إلى ظهره، فإذا قصب السّكر، فأخذنا منه حاجاتنا.. الخ.

قال أبو هشام: فقال لي المتطبّب: ابن من هذا؟

قلت: ابن سيّد الأنبياء.

قال: فعنده من أقاليد النبوّة شيء؟

قلت: نعم، وقد شهدت بعضها وليس بنبيّ.

قال: وصيّ نبيّ؟

قلت: أما هذا فنعم، فبلغ ذلك رجاء بن أبي الضحاك، فقال لأصحابه: لئن أقام بعد هذا ليمدّن إليه الرقاب، فارتحل به ـ من الأهواز ـ[1].

وروده عليه السلام الى نيسابور

أبو الصلت الهروي قال: كنت مع الرضا عليه السلام لما دخل نيسابور، وهو راكب بغلة شهباء[2] وقد خرج علماء نيسابور في استقباله فلما صار إلى المربعة تعلّقوا بلجام بغلته وقالوا: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله حدّثنا بحق آبائك الطاهرين حديثاً عن آبائك عليهم السلام.

فأخرج رأسه عليه السلام من الهودج، وعليه مطرف خزّ فقال: حدّثني أبي موسى ابن جعفر، عن أبيه، جعفر بن محمد... الحديث المعروف بسلسلة الذهب، وقد تقدّم عن «نور الأبصار» للشبلنجي.

كرامته عليه السلام في نيسابور

أبو واسع، محمد بن أحمد، بن محمد بن إسحاق النيسابوري، قال: سمعت جدّتي خديجة بنت حمدان بن بسنديدة قالت:

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٩ ص١١٨ ح٤ ط بيروت.

(٢) لشهباء من الشهبة في الألوان، وهو البياض الذي غلب عليه السواد (المجمع).

لما دخل الرضا ﷺ نيسابور نزل محلة الغربي ناحية تعرف بـ «لاش آباد» في دار جدتي «بسنديدة» فلما نزل ﷺ دارنا زرع لوزة في جانب من جوانب الدار فنبتت وصارت شجرة، وأثمرت في سنة، فعلم الناس بذلك، فكانوا يستشفون بلوز تلك الشجرة، فمن أصابته علّة تبرّك بالتناول من ذلك اللوز، مستشفياً به فعوفي، ومن أصابه رمد جعل ذلك اللوز على عينه فعوفي، وكانت الحامل إذا عسر عليها ولادتها تناولت من ذلك اللوز فتخفّ عليها الولادة وتضع من ساعتها، وكان إذا أخذ دابة من الدواب القولنج أخذ من قضبان تلك الشجرة فأمر على بطنها فتعافى ويذهب عنها ريح القولنج (كل ذلك) ببركة الرضا ﷺ... الخ والحديث طويل [1].

وفي عيون أخبار الرضا ﷺ:

إنّ الرضا ﷺ لما دخل نيسابور نزل في محلّة يقال لها: الفروييني (الغربي خ ل) فيها حمّام وهو الحمام المعروف اليوم بحمام الرضا ﷺ . وكانت هناك عين قد قلّ ماؤها، فأقام عليها من أخرج ماءها حتى توفر وكثر، واتخذ خارج الدرب حوضاً ينزل إليه بالمراقي إلى هذه العين، فدخله الرضا ﷺ واغتسل فيه، ثم خرج منه فصلّى على ظهره، والناس ينتابون ذلك الحوض ويغتسلون فيه، ويشربون منه التماساً للبركة، ويصلّون على ظهره، ويدعون الله عزّ وجلّ في حوائجهم فتقضى لهم، وهي العين المعروفة بعين كهلان، يقصدها الناس إلى يومنا هذا[2].

القرية الحمراء

عيون أخبار الرضا ﷺ:

لما خرج ﷺ من نيسابور إلى المأمون بمرو، فبلغ القرية الحمراء، قيل له: يا ابن رسول الله ﷺ قد زالت الشمس، أفلا تصلي؟.

فنزل ﷺ فقال: أئتوني بماء، فقيل: ما معنا ماء، فبحث ﷺ بيده الأرض فنبع من الماء ما توضأ به هو ﷺ ومن معه، وأثره باق إلى اليوم.

دخوله ﷺ سناباد

فلمّا دخل سناباد أسند إلى الجبل الذي تنحت منه القدور فقال ﷺ: «اللّهم انفع به وبارك فيما يجعل فيما ينحت منه».

ثمّ أمر ﷺ فنحت له قدور من الجبل، فاهتدى الناس إليه من ذلك اليوم، وظهرت بركة دعائه ﷺ فيه.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٢١.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٢٣، وعيون أخبار الرضا : ج٢ ص١٣٥.

ثم دخل ﷺ دار حميد بن قحطبة الطائي، ودخل القبة التي فيها قبر هارون الرشيد، ثم خطّ بيده ﷺ إلى جانبه، ثم قال: هذه تربتي، وفيها أدفن، وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبتي، ولا يزورني منهم زائر ولا يسلّم عليَّ منهم مسّلم إلاّ وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت.

ثم استقبل القبلة، وصلّى ركعات، ودعا بدعوات فلما فرغ سجد سجدة طال مكثه، فأحصيت له فيها خمسمائة تسبيحة، ثم انصرف [1].

خطبته ﷺ في مجلس المأمون

ولّما أراد المأمون أن يستخلفه ﷺ جمع بني هاشم ـ من آل عباس ـ فقال: إني أريد أن أستعمل الرضا ﷺ على هذا الأمر من بعدي..

فحسده بنو هاشم ـ العبّاسيون ـ وقالوا: أتوّلي رجلاً جاهلاً، ليس له بصر بتدبير الخلافة؟ فابعث إليه يأتنا فترى من جهله ما تستدّل به.

فبعث إليه فأتاه، فقال له بنو هاشم ـ العباسيون: يا أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه.

فصعد ﷺ المنبر فقعد ملياً... ثم انتفض انتفاضة فاستوى قائماً وحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه، وأهل بيته، ثم قال:

أوّل عبادة الله معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه بشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كل مخلوق أنّ له خالقاً، ليس بصفة ولا موصوف، وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدث، وشهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث.

فليس الله عرف من عرف ذاته بالتشبيه، ولا إيّاه وحّد من اكتنهه، ولاحقيقته أصاب من مثّله، ولا به صدّق من نهاه، ولا صمد صمده من أشار إليه، ولا إيّاه عنى من شبّهه، ولا له تذلل من بعّضه، ولا إياه أراد من توهّمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكلّ قائم في سواه معلول، بصنع الله يستدل عليه، وبالعقول يعقد معرفته، وبالفطرة تثبت حجّته، خلقة الله الخلق حجاب بينه وبينهم، ومفارقته إياهم مباينة بينه وبينهم، وابتداؤه إيّاهم دليل على أن لا ابتداء له، لعجز كل مبتدأ عن ابتداء غيره، وأدوه إيّاهم دليل على أن لا أداة له، لشهادة الأدوات بفاقة المادين، فأسماؤه تعبير، وأفعاله تفهيم، وذاته حقيقة، وكنهه تفريق بينه وبين خلقه، وغيوره تحديد لما سواه، فقد جهل الله من استوصفه، وقد تعدّاه من استمثله، وقد أخطاه من اكتنهه، ومن قال: «كيف» فقد شبهه، ومن قال: «لِمَ» فقد علّله، ومن قال: «متى» فقد وقّته، ومن قال: «فيم» فقد ضمّنه، ومن قال: «إلى مَ»

(١) بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٢٥، وعيون الأخبار: ج٢ ص١٣٦.

فقد نهّاه، ومن قال: «حتى مَ» فقد غيّاه، ومن غياه فقد جزأه، ومن جزأه فقد وصفه، ومن وصفه فقد ألحد فيه، ولا يتغيّر الله بتغيّر المخلوق، كما لا يتحدد بتحديد المحدود.

أحد لا بتأويل عدد، ظاهر لا بتأويل المباشرة، متجل لا باستهلال رؤية، باطن لا بمزايلة، مباين لا بمسافة، قريب لا بمداناة، لطيف لا بتجسّم، موجود لابعد عدم، فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بحول فكرة، مدبّر لا بحركة، مريد لابهمامة، شاء لا بهمّة، مدرك لا بمحنة، سميع لا بآلة، بصير لا بأداة.

لا تصحبه الأوقات، ولا تضمنه الأماكن، ولا تأخذه السنات، ولا تحده الصفات، لا تقيّده الأدوات، سبق الأوقات كونه، والعدم وجوده، والابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، وبتجهيزه الجواهر عرف أن لا جوهر له، وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأمور عرف أن لاقرين له.

ضاد النور بالظلمة، والجلالة بالبهمة، والجو بالبلل، والصرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها، مفرق بين متدانياتها، دالة بتفريقها على مفرقها، وبتأليفها على مؤلفها، ذلك قوله عزّ وجل: (ومن كلّ شيء خلقنا زوجين لعلّكم تذّكرون)[1]، ففرّق بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد، شاهدة بغرائزها أن لا غريزة لمغرزها، دالة بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها، مخبرة بتوقيتها أن لاوقت لموقتها، حجب بعضها عن بعض، ليعلم أن لا حجاب بينه وبينها غيرها، له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب، وحقيقة الالهية إذ لا مألوه، ومعنى العالم ولامعلوم، ومعنى الخالق ولا مخلوق، وتأويل السمع ولا مسموع، ليس منذ خلق استحق معنى اسم الخالق، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئية، كيف ولا يغيبه «مذ»، ولا تدنيه «قد»، ولا يحجبه «لعلّ»، ولا يوقته «متى»، ولايشتمله «حين»، ولا يفارقه «مع»، إنما تحدّ الأدوات أنفسها، وتشير الآلة إلى نظائرها، وفي الأشياء توجد فعالها، منعتها «منذ» القدمة، وحمتها «قد» الأزلية، وجنبتها «لولا» التكملة.

افترقت فدلّت على مفرّقها، وتباينت فأعزت على مباينها، بها تجلى صانعها للعقول، وبها احتجب عن الرؤية، وإليها تحاكم الأوهام، وفيها أثبت غيره، ومنها أنيط الدليل، وبها عرف الإقرار، وبالعقول يعتقد التصديق بالله، وبالإقرار يكمل الإيمان به.

لا ديانة إلاّ بعد معرفته، ولا معرفة إلا بالإخلاص، ولا إخلاص مع التشبيه، ولا نفي مع إثبات الصفة للتثنية.

وكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه، وكل ما يمكن فيه يمتنع في صانعه، ولايجري عليه الحركة ولا السكون، وكيف يجري عليه ما هو أجراه، أو يعود فيه ما هو ابتدأه، إذن لتفاوتت ذاته، ولتجزى كنهه، ولامتنع من الأزل

(١) سورة الذاريات: ٤٩.

معناه، ولما كان للباري معنى غير المبروء، ولو وجد له وراء وجد له أمام، ولالتمس التمام إذ لزمه النقصان، وكيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث؟.

أم كيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الأشياء، إذن لقامت عليه آية المصنوع، ولتحول دليلاً بعد ما كان مدلولاً عليه، ليس في محال القول حجّة، ولا في المسألة عنه جواب، ولا في معناه لله تعظيم، ولا في إبانته عن الحقّ ضيم، إلاّ بامتناع الأزلي أن يثني، ولما بدى له أن يبدئ، لا إله إلا الله العلي العظيم، كذب العادلون بالله وضلّوا ضلالاً بعيداً وخسروا خسراناً مبيناً، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين [1].

اعتراف المأمون بأحقيته عليه السلام بالخلافة

عن أبي الصلت الهروي، قال: إنّ المأمون قال للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله قد عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحقّ بالخلافة منّي.

فقال عليه السلام: بالعبودية لله عزّوجل أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شرّ الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عزّ وجل.

فقال المأمون: فإنّي قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة، وأجعلها لك، وأبايعك..

فقال عليه السلام: إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك.

فقال المأمون: يا بن رسول الله لابدّ لك من قبول هذا الأمر.

فقال عليه السلام: لست أفعل ذلك طائعاً أبداً؟

فما زال يجهد به أياماً حتى يئس من قبوله، فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تحبّ مبايعتي لك فكن ولي عهدي لتكونن لك الخلافة بعدي.

فقال عليه السلام: والله لقد حدّثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسّم مظلوماً... وأدفن في أرض غربة.

فبكى المأمون، ثم قال: يا بن رسول الله ومن الذي يقتلك، أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيّ؟

فقال عليه السلام: أما إني لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت.

فقال المأمون: يا بن رسول الله، إنّما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك، ودفع هذا الأمر عنك ليقول الناس: إنّك زاهد في الدنيا.

---

(١) احتجاج الطبرسي: ج٢ ص١٧٤ ط النجف الأشرف، وعيون أخبار الرضا ع: ج١ ص١٤٩.

فقال عليه السلام: والله ما كذبت منذ خلقني ربّي عزّوجل، وما زهدت في الدنيا للدنيا، وإنّي لأعلم ما تريد.

فقال المأمون: ما أريد؟

قال عليه السلام: الأمان على الصدق؟

قال: لك الأمان.

قال عليه السلام: تريد بذلك أن يقول الناس: إنّ علي بن موسى لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة.

فغضب المأمون ثم قال: إنك تتلقّاني أبداً بما أكرهه، وقد آمنت سطوتي، فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد، وإلاّ أجبرتك على ذلك، فإن فعلت، وإلاّ ضربت عنقك!!.

فقال عليه السلام: قد نهاني الله أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك على أني لا أولي أحداً، ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسماً ولا سنّة، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً، فرضي منه بذلك [1].

الإكراه على البيعة

عن عتّاب بن أسيد، قال: سمعت جماعة من أهل المدينة يقولون: ولد الرضا علي بن موسى عليه السلام بالمدينة... إلى أن قال: ثم ملك عبد الله المأمون، فأخذ البيعة في ملكه لعلي بن موسى الرضا بعهد المسلمين، من غير رضاه، وذلك بعد أن تهدده بالقتل، وألح عليه مرّة بعد أخرى، في كلها يأبى عليه حتى أشرف من تأبّيه على الهلاك.

فقال عليه السلام: اللّهم إنك نهيتني عن الإلقاء بيدي إلى التهلكة وقد أشرفت من قبل عبد الله المأمون على القتل متى لا أقبل ولاية عهده، وقد أكرهت، واضطررت، اللّهم لا عهد إلاّ عهدك ولا ولاية إلاّ من قبلك، فوّفقني لإقامة دينك وإحياء سنّة نبيّك، فإنّك أنت المولى والنصير، ونعم المولى أنت ونعم النصير.

ثم قبل عليه السلام ولاية العهد من المأمون وهو عليه السلام باك حزين، على أن لا يولّي أحداً، ولا يعزل أحداً، ولا يغيّر رسماً ولا سنّة، وأن يكون في الأمر مشيراً من بعيد..

فأخذ المأمون له البيعة على الناس الخاص منهم، والعام.

فكان متى ظهر للمأمون من الرضا عليه السلام فضل وعلم، وحسن تدبير، حسده على ذلك وحقده عليه، حتى ضاق صدره منه، فغدر به فقتله، بالسم، ومضى عليه السلام إلى رضوان الله وكرامته[2].

---

(١) علل الشرائع: ج١ ص٢٦٦، وعيون الأخبار: ج٢ ص١٣٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٣١ ط بيروت.

عدم قبوله عليه السلام للخلافة

موسى بن سلمة، قال: كنت بخراسان مع محمد بن جعفر، فسمعت أن ذا الرئاستين الفضل بن سهل خرج ذات يوم، وهو يقول: واعجباً لقد رأيت عجباً سلوني ما رأيت، فقالوا: ما رأيت أصلحك الله؟.

قال: رأيت أمير المؤمنين يقول لعلي بن موسى عليه السلام: قد رأيت أن أقلّدك أمر المسلمين، وأفسخ ما في رقبتي، وأجعله في رقبتك، ورأيت علي بن موسى عليه السلام يقول له: الله الله لا طاقة لي بذلك، ولا قوّة، فما رأيت خلافة قط أضيع منها... الخ [1].

خطبته بعد البيعة

عيون أخبار الرضا عليه السلام [2] محمد بن إسحاق عن أبيه، قال: لمّا بويع الرضا عليه السلام بالعهد، اجتمع الناس يهنئونه، فأومأ إليهم، فأنصتوا، ثم قال عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الفعّال لما يشاء، لا معقب لحكمه، ولارآد لقضائه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وصلى الله على محمد في الأولين والآخرين، وعلى آله الطيبيّن..

أقول: وأنا علي بن موسى بن جعفر: إنّ الأمير عضدّه الله بالسداد، ووفقه للرشاد، عرف حقنا ما جهله غيره.. أن جعل إليَّ عهده، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده، فمن حلّ عقدة أمر الله تعالى بشدّها، وفصم عروة أحبّ الله إيثاقها، فقد أباح حريمه وأحلّ حرامه، إذ كان بذلك زارياً على الإمام، منتهكاً حرمة الإسلام.

بذلك جرى السالف، فصبر منه على الفلتات، ولم يتعرض بعدها على العزمات، خوفاً من شتات الدين، واضطراب حمل [3] المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية، ورصد المنافقين، فرصة تنتهز، وبائقة تبتدر، وما أدري ما يفعل بي ولابكم (إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين) [4].

كلام الشيخ المفيد رحمة الله عليه

قال الشيخ المفيد في إرشاده:

ذكر جماعة من أصحاب الأخبار ورواة السير من أيّام الخلفاء: إنَّ المأمون لما أراد العقد للرضا عليه السلام أحضر الفضل بن سهل، وأعلمه بما قد عزم عليه من ذلك، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك؟ ففعل واجتمعا بحضرته، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه، ويعرفه ما في إخراج الأمر من أهله ـ العباسيّين ـ عليه.

---

(١) الإرشاد: ص٢٩٠، وعيون الأخبار: ج٢ ص١٤١.

(٢) عيون الأخبار: ج٢ ص١٤٦.

(٣) كذا ولعله: اضطرب حبل المسلمين.

(٤) الأنعام: ٥٧، ورواه المجلسي في بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٤١ ط بيروت.

فقال له المأمون: إنّي عاهدت الله أنّني إن ظفرت بالمخلوع أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل على وجه الأرض[1].

فلما رأى الفضل والحسن عزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته، فأرسلهما إلى الرضا عليه السلام فعرضا عليه ذلك، فامتنع عليه السلام منه، فلم يزالا به حتى أجاب عليه السلام فرجعا إلى المأمون، فعرفاه إجابته عليه السلام فسرّ بذلك.

وجلس المأمون للخاصة في يوم خميس، وخرج الفضل بن سهل وأعلم الناس برأي المأمون في علي بن موسى عليه السلام وأنه قد ولاّه عهده...

فركب الناس على طبقاتهم من القوّاد، والحجّاب، والقضاة، وغيرهم في الحضرة، وجلس المأمون ووضع للرضا عليه السلام وسادتين عظيمتين، وأجلس الرضا عليه السلام عليهما، وعليه عمامة، وسيف، ثم أمر المأمون ابنه العباس أن يبايع له عليه السلام أول الناس، ثم بايعه عليه السلام الناس...

ثم قال المأمون له عليه السلام: أخطب الناس.

فحمد الله وأثنى عليه، وقال عليه السلام: لنا عليكم حقّ برسول الله صلى الله عليه وآله وعلينا حق به، فإذا أنتم أدّيتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم..

ولا يذكر عنه عليه السلام غير هذا في ذلك المجلس[2].

لا تستبشر له

وذكر المدائني عن رجاله، قال:

لمّا جلس الرضا عليه السلام في الخلع بولاية العهد، فأقام بين يديه الخطباء والشعراء، وخفقت الألوية على رأسه عليه السلام .. فذكر عن بعض من حضر ممّن كان يختصّ بالرضا عليه السلام أنّه قال: كنت بين يديه في ذلك اليوم، فنظر عليه السلام إليَّ وأنا مستبشر بما جرى، فأومأ عليه السلام إليَّ أن أدن، فدنوت منه عليه السلام فقال لي من حيث لايسمعه غيري: لا تشغل قلبك بهذا الأمر، ولا تستبشر له، فإنّه شيء لايتم[3].

نص ولاية العهد

كان العهد الذي كتبه المأمون بخطّه كما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين لعلي بن موسى بن جعفر ولي عهده.

---

(١) هذا وقد سبق أن المأمون كان يتظاهر بهذه الكلمات لترسيخ ملكه.

(٢) بحار الأنوار: ج٩ ص١٤٥ ط بيروت، والارشاد: ص٢٩١.

(٣) بحار الأنوار: ج٩ ص١٤٥، والارشاد: ص٢٩١.

أما بعد، فإنّ الله عز وجل اصطفى الإسلام ديناً، واصطفى له من عباده رسلاً دالين وهادين إليه، يبشّر أوّلهم بآخرهم، ويصدّق تاليهم ماضيهم، حتى انتهت نبوة الله إلى محمد ﷺ على فترة من الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي، واقتراب من الساعة، فختم الله به النبيّين، وجعله شاهداً لهم، ومهيمناً عليهم، وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، بما أحلّ وحرّم، ووعد وأوعد، وحذّر وأنذّر وأمر به ونهى عنه، ليكون له الحجّة البالغة على خلقه، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة، وإن الله لسميع عليم.

فبلّغ عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ثم بالجهاد، والغلظة حتى قبضه الله إليه واختار له ﷺ ما عنده.

فلما انقضت النبوّة، وختم الله بمحمد ﷺ الوحي والرسالة، جعل قوّام الدين، ونظام أمر المسلمين بالخلافة، وإتمامها، وعزّها والقيام بحق الله تعالى فيها بالطاعة التي بها يقام فرائض الله، وحدوده، وشرائع الإسلام وسننه ويجاهد لها عدوّه.

فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعة خلفائهم، ومعاونتهم على إقامة حق الله، وعدله، وأمن السبيل، وحقن الدماء، وصلاح ذات البين، وجمع الألفة، وفي خلاف ذلك اضطراب حبل المسلمين واختلالهم، واختلاف ملّتهم، وقهر دينهم، واستعلاء عدوّهم، وتفرّق الكلمة، وخسران الدنيا والآخرة.

فحقّ على من استخلفه الله في أرضه، وائتمنه على خلقه أن يجهد لله نفسه، ويؤثر فيه رضى الله وطاعته، ويعتدّ لما الله موافقه عليه، ومسائله عنه، ويحكم بالحقّ، ويعمل بالعدل فيما حمّله الله وقلّده، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول للنبيّ داود ﷺ: (يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) [1].

وقال الله عزّ وجل: (فو ربّك لنسألنّهم أجمعين عما كانوا يعملون)[2]. وبالله الثقة وإليه المفزع والرغبة في التوفيق والعصمة والتسديد، والهداية إلى ما فيه ثبوت الحجّة، والفوز من الله بالرضوان والرحمة، وانظر الأمة لنفسه وأنصحها لله في دينه، وعباده من خلائقه في أرضه، من عمل بطاعة الله وكتابه، وسنّة نبيّه ﷺ في مدّ أيّامه، وبعدها، وأجهد رأيه ونظره فيمن يولّيه عهده ويختاره لإمامة المسلمين ورعايتهم بعده، وينصبه علماً لهم، ومفزعاً في جمع ألفتهم، ولم شعثهم، وحقن

---

(١) سورة ص: ٢٦.

(٢) سورة الحجر: ٩٢-٩٣.

دمائهم، والأمن بإذن الله من فرقتهم، وفساد ذات بينهم واختلافهم، ورفع نزغ الشيطان وكيده عنهم، فإنّ الله عز وجل جعل العهد بعد الخلافة من تمام أمر الإسلام وكماله وعزّه، وصلاح أهله، وألهم خلفاءه من توكيده لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة، وشملت فيه العافية ونقض الله بذلك مكر أهل الشقاق، والعداوة، والسعي في الفرقة، والتربّص للفتنة.

ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة فاختبر بشاعة مذاقها، وثقل محملها، وشدة مؤونتها، وما يجب على من تقلّدها من ارتباط طاعة الله، ومراقبته فيما حمّله منها، فأنصب بدنه، وأسهر عينه، وأطال فكره فيما فيه عزّ الدين، وقمع المشركين، وصلاح الأمة، ونشر العدل، وإقامة الكتاب والسنّة، ومنعه ذلك من الخفض والدعة، ومهنأ العيش، علماً بما الله سائله عنه، ومحبة أن يلقي الله مناصحاً له في دينه وعباده، ومختاراً لولاية عهده ورعاية الأمة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه، وورعه، وعلمه، وأرجاهم للقيام بأمر الله وحقّه، مناجياً لله بالاستخارة في ذلك، ومسألته إلهامه ما فيه رضاه، وطاعته في آناء الليل ونهاره، معملاً في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس، وعلي بن أبي طالب عليهم السلام فكره ونظره مقتصراً ممّن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغاً في المسألة عمّن خفي عليه أمر جهده وطاقته.

حتى استقصى أمورهم معرفة، وابتلى أخبارهم مشاهدة، واستبرأ أحوالهم معاينة، وكشف ما عندهم مسائلة، فكانت خيرته بعد استخارته لله، وإجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في البيتين جميعاً علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام .. لما رأى من فضله البارع، وعلمه النافع، وورعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخلّيه من الدنيا، وتسلّمه من الناس.

وقد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة، والألسن عليه متّفقة، والكلمة فيه جامعة، ولما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعاً وناشئاً، وحدثاً ومكتهلاً، فعقد له بالعقد والخلافة من بعده، واثقاً بخيرة الله في ذلك..

إذ علم الله أنّه فعله إيثاراً له وللدين، ونظراً للإسلام والمسلمين، وطلباً للسلامة، وثبات الحجّة، والنجاة في اليوم الذي يقوم الناس فيه لربّ العالمين... الخ[1].

فذلكة

قال الفالي: المقالة قريبة بمقالة الشيعة الاثني عشرية إذ تقول: إن الله تعالى اصطفى الإسلام ديناً، ورضيه للأمّة الإسلاميّة مبدءً، وانتهت النبوّة إلى محمد صلى الله عليه وآله فختم الله به الأنبياء والمرسلين، وأنزل عليه صلى الله عليه وآله كتابه العزيز

(١) كشف الغمة: ج٢ ص١٢٤ ط النجف الأشرف.

الذي (لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل حكيم حميد) [1] بما أحلّ وحرّم، ووعد وأوعد، وحذّر وأنذر... ليكون له عزّ وجل الحجة البالغة على خلقه ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة...

فبلغ ﷺ عن الله رسالته، ودعا إلى سبيله، بما أمره من الحكمة والموعظة الحسنة، وجادل بالتي هي أحسن...

ولا شكّ أن الأنبياء والمرسلين كلهم كانوا خلفاء الله في أرضه، وحججه على عباده، (لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل...) [2] و(ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بيّنة) [3]، ولا مريّة أن النبوّة انتهت وختمت بنبوّة نبيّ الإسلام محمد ﷺ، وختم الله به ﷺ الوحي والرسالة، فبعده ﷺ لانبوّة ولا رسالة ولا وحي، ودين الإسلام خاتم الأديان، ونظامه خاتم الأنظمة، وهذا الدين هو دين البشرية، وباق ببقائها إلى يوم القيامة، ولا ينقضي إلاّ بانقضائها.

والبشرية لا تحتاج بعد ذلك إلى دين ونظام، لأنّ الله عزّ وجل أكمل بالإسلام لها دينها، وأتم عليها نعمته، ورضي لها الإسلام ديناً، قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)([4]) وقال عز وجلّ: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) [5] انتهى.

نعم، انقضت النبوّة وختم الله بمحمد ﷺ الوحي والرسالة، ذلك لأنّ دين الإسلام كامل، جامع، شامل، فيه تبيان كل شيء حتى ارش الخدش، فلا احتياج إلى النبيّ والرسول للتشريع، ولكن الاحتياج إلى خليفة الله في الأرض وحجته على عباده للتطبيق ولبيان تلك الشريعة الغراء، ما دامت البشريّة تعيش على الكرة الأرضيّة، ويجب ان يختار الله خليفته في أرضه وحجته على عباده وينصبه، ويعرفه للناس بتوسط نبيّه ورسوله ﷺ، وهذا ما يحكم به العقل والشرع والعرف جميعاً.

نعم هذه هي الخلافة التي جعل الله بها قوام الدين، ونظام المسلمين، وهذه هي التي أكمل الله بها للمسلمين في يوم الغدير دينهم، وأتم بها عليهم في ذلك اليوم المبارك نعمته، وجعل الله بها اتمام الدين وعزّه، وبها رضي الإسلام للمسلمين ديناً، وبها يقام فرائض الله وحدوده، وشرائع الإسلام وسننه، فعلى خلفاء الله طاعته فيما استحفظهم واسترعاهم من دينه وعباده، وعلى المسلمين طاعة خلفائه ومعاونتهم في إقامة حق الله، وعدله، وأمن السبيل.

فحقّ على من استخلفه في أرضه، وائتمنه على خلقه أن يجهد لله نفسه ويؤثر ما فيه رضى الله وطاعته.

---

(١) سورة فصلت: ٤٢.

(٢) سورة النساء: ١٦٥.

(٣) سورة الأنفال: ٤٢.

(٤) سورة المائدة: ٣.

(٥) سورة آل عمران: ٨٥.

هنا أقول مسائل: من الذي جعل قوام الدين ونظام أمر المسلمين بالخلافة، أهو الله أم غيره، إن كان هو الله، أجعل قوام الدين بالخلافة المنصوبة من جانبه، أو بالخلافة المجعولة من طرف بعض المسلمين؟.

إن كان قوام الدين، ونظام أمر المسلمين، مجعولاً بالخلافة المنصوبة من جانبه سبحانه وتعالى فلا تمّس المأمون وآباءه والذين سبقوهم من بني أمية وتيم وعدي بشيء، ولم يدع أحد منهم أنه خليفة الله؟ ولم يقل أحد منهم أنّه منصوب بالخلافة من جانب الله ورسوله ﷺ؟ ولم يدّع لهم ذلك أحد من تابعيهم؟.

وإن كان المراد أن قوام الدين بالخلافة المجعولة السقيفية فقوله: «فعلى خلفاء الله طاعته...» ليس في محله، إذ لم يكن الذين ركبوا ناقة الخلافة السقيفية بخلفاء الله، ولم يكن بين أولئك وبين الملوك والسلاطين ورؤساء القبائل والشعوب فرق.

هل يعقل أن يستخلف الله المنافقين والفسّاق والفجّار والسّفاكين للدماء المحرّمة كملوك بني أميّة وبني العبّاس؟

وهل يعقل أن يجعل الله المنافقين والكفرة والفسقة والفجرة محافظي دينه، ورعاة عباده، ويفرض عليهم طاعتهم؟

حاشا وكلا.. ثم حاشا وكلا..

نعم، حقّ على من استخلفه الله في أرضه، واتمنه على خلقه، أن يجهد لله نفسه ويؤثر ما فيه رضى الله وطاعته، ويعتدّ لما الله موافقه ومسائله عنه، ويحكم بالحقّ ويعمل بالعدل.

ولا شك أنّ الذين استخلفهم في أرضه كلهم كانوا كذلك، إذ كانوا أنبياء الله ورسله كما في حديث أبي حازم عن أبي هريرة، قال أبو حازم: قال عدت أبا هريرة خمس سنين، فسمعته يحدّث عن النبي ﷺ قال: قال:

كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبيّ، وإنه لا نبيّ بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون.

قالوا: فما تأمرنا؟

قال ﷺ: فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإنّ الله سائلهم عما استرعاهم [1].

ومن هذا الحديث يعلم أن خليفة كل نبيّ كان نبيّاً، أما نبيّنا ﷺ لكونه خاتم النبيّين فلا نبيّ بعده ليكون خليفته أيضاً نبيّاً، ولكن يخلفه خلفاء ليسوا بالنبيين، ولكنهم خلفاء الله في أرضه، بدليل أنه ﷺ أمر المسلمين بالوفاء ببيعتهم... وأن نعطيهم حقهم، وأن الله سائلهم عما استرعاهم.

(١)صحيح البخاري: ج٤ ص٣٠٦ ط بيروت، وصحيح مسلم: ج٣ كتاب الإمارة: ص١٤٧١ ط بيروت.

فهل يعقل أن يأمر النبيّ ﷺ المسلمين بطاعة معاوية، ويزيد، والمروانيين، وملوك بني العبّاس؟

وأيّ حقّ شرعي كان لهؤلاء الفسقة الفجرة على المسلمين؟

ومن جعل لهم ذلك الحق، وأين وأنّى ومتى جعلهم الله رعاة حتى يسألهم عمّا استرعاهم؟ وما لأشياعهم وأتباعهم من علماء أهل السنّة ..فما لهم كيف يحكمون؟.

عود على ذي بدئ

ومن مجموع ما ذكرناه يتضح للّبيب أنه لماذا لم يقبل الإمام الرضا عليه السلام أن يتنازل له المأمون عن الخلافة، وكلّ ما عرض المأمون عليه أن يقلّده الإمارة والخلافة، وألح وأبلغ في الإصرار، أبى عليه السلام في ذلك فلم يقبل، وجرت في ذلك بينهما مخاطبات كثيرة، وبقوا في ذلك نحواً من شهرين، كل ذلك يأبى عليه الإمام عليه السلام أن يقبل ما يعرض عليه.

فلما كثر الكلام والخطاب في هذا قال المأمون: فولاية العهد؟

فلم يرض الإمام عليه السلام ولم يقبل بولاية العهد أيضاً، وقال عليه السلام: والله لقد حدّثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عن رسول الله ﷺ: إني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسّم مظلوماً..

فقال المأمون: فبالله أقسم لئن قبلت ولاية العهد، وإلاّ أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلاّ ضربت عنقك !.

فقال عليه السلام: نهاني الله أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك على أنّي لا أوّلي أحداً ولا أعزل أحداً، ولا أنقض رسماً ولا سنّة، وأكون في الأمر من بعيد مشيراً..

فرضي منه بذلك وجعله وليّ عهده على كراهة منه عليه السلام لذلك[1].

فعن الريان بن الصلت، قال: قلت للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله ﷺ إن الناس يقولون: إنك قبلت ولاية العهد مع إظهارك الزهد في الدنيا؟.

فقال عليه السلام: قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيّرت بين قبول ذلك، وبين القتل اخترت القبول على القتل، ودفعتني الضرورة إلى قبول ذلك على إكراه وإجبار، بعد الاشراف على الهلاك على أنّي ما دخلت في هذا الأمر دخول خارج منه، فإلى الله المشتكى وهو المستعان[2].

وعن الحسن بن الجهم عن أبيه، قال: صعد المأمون المنبر ليبايع علي بن موسى الرضا عليه السلام فقال: أيها الناس جاءتكم بيعة علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب i والله لو قرأت هذه

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٢٩ ط بيروت.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٣٠ ح٤، عن العيون: ج٢ ص١٣٩، وأمالي الصدوق: ص٧٢.

الأسماء على الصمّ والبكم، لبرؤا بإذن الله عزّ وجلّ[1].

ومهما كان غرض المأمون وهدفه من تنازله عن الخلافة، وعرضه إيّاها على الإمام الرضا عليه السلام فإنّ عدم قبوله عليه السلام منه ذلك لدى التأمل الدقيق والنظر العميق يتضح ويعلم أنّه على فرض أن المأمون كان صادقاً في تنازله عن الخلافة، وأنّه كان صادقاً في خلع نفسه عنها، وعقده البيعة للإمام الرضا عليه السلام عليها، لم يكن الإمام عليه السلام يرضى ويقبل أن يتحمل ذلك لأنّ الخلافة التي كان المأمون متقلّداً بها كانت سلطنة وملوكية، ودولة دنيويّة صرفة، متخذة بالقهر والغلبة، والظلم والاستبداد، ولم تكن هي خلافة الله في أرضه، فلم تكن خلافة النبوّة أيضاً.

وأمر هاتين الخلافتين بيد الله فقط، وهو جلّ وعلا يستخلف من رضي به في أرضه، ويجعله خليفة نبيّه صلى الله عليه وآله وحجته على عباده، وإمام خلقه، وليس لأحد من الخلق في ذلك دخل، ولم يكن هناك خليفة الله في أرضه، وحجّته على عباده، وقائم مقام نبيه، وإمام الخلق حقّاً وحقيقة وواقعاً غير الإمام الرضا عليه السلام.

والخلافة المأمونيّة لم تكن إلاّ السلطة السقيفية الحاصلة للذين سمّوا بخلفاء الرسول، وبأمير المؤمنين بالقهر والغلبة، وكانت سلطنة قاهرة وملوكية جبارة، والأئمة المعصومون عليهم السلام كانوا مجتنبين عنها، ومتبرئين منها، كما أن أبا مسلم الخراساني، وأبا سلمة الخلال الكوفي بعد غلبتهما على الأمويّين كتبا إلى الإمام الصادق عليه السلام ودعواه إلى قبول الخلافة، فكان جوابه عليه السلام لهما: أن أحرق كتابهما، وقال لمن جاء بالكتاب: لا جواب عندي سوى ما رأيت ـ من إحراق الكتاب ـ[2].

والإمام الرضا عليه السلام قال للمأمون: إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز أن تخلع لباساً ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز أن تجعل لي ما ليس لك[3].

فعلى فرض أن المأمون كان صادقاً في نيّته ولم يكن له غرض سوى الوفاء بالعهد والنذر، ولم تكن في البين سياسة لإخماد نار حركات وثورات العلويّين، وإنّما كان الأمر مشتبهاً عليه، فزعم أن له وبيده أمر الخلافة، وهو مختار أن يتصرّف فيها بما شاء، وكيفما شاء، لكن نبّهه الإمام عليه السلام أن زعمه باطل، والأمر ليس كما زعمه، والخلافة المقصودة إن كانت الهيّة وتزعم أنّ الله استخلفك فليس لك أن تخلع نفسك عنها، وتجعلها لغيرك (ولكن لم يستخلفك الله ولست بخليفة الله) وإن لم تكن الخلافة لك فليس لك أن تتصرف فيما ليس لك.

ولكن قوله للإمام عليه السلام بعد ذلك البرهان: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله لابدّ لك من قبول هذا الأمر... ومازال يجهد به عليه السلام حتى يئس من قبوله، فقال له: إن لم تقبل الخلافة فكن ولي عهدي، وقوله عليه السلام له: أنت تريد بذلك

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٣٠ ح٦، عن العيون: ج٢ ص١٤٧.

(٢) انظر بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٧٠ ـ ٣٠٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٢٩

أن يقول الناس: إن علي بن موسى لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟

كل ذلك دليل ساطع على أنه لم يكن المأمون فيما ادّعاه صادقاً، وكان له مقصود سياسي كما كشف عنه الإمام عليه السلام بقوله: أنت تريد بذلك أن يقول الناس... الخ.

وإن كان يريد بتفويضه الخلافة إلى الإمام عليه السلام رضى لله، ووفاء بالعهد والنذر، فلم ما فوّضها إلى بعض العلويّين الآخرين من أعمام الإمام الرضا عليه السلام وإخوانه، ومن أحفاد الإمام الحسن عليه السلام بعدما يئس عن قبول الإمام الرضا عليه السلام للخلافة، وكان بين أعمامه وإخوانه وأحفاد الإمام الحسن عليه السلام أشخاص لائقين وجديرين للحكم؟. وإن كان قصده التقرّب إلى الله فما معنى تهديده الإمام عليه السلام بالقتل إن لم يقبل ولاية العهد؟ ألم يكن هذا أقوى دليل على أن خلع نفسه عن الخلافة وتفويضها إلى الرضا عليه السلام وبيعته له بولاية العهد بالتهديد والإجبار كان منه لعبة سياسيّة، وعن دهاء وشيطنة؟.

ومن الأدلة القويّة على أن المأمون كان في قلبه مرض، وكان أمره سياسيّاً، وكان يتظاهر بأحقيّة الإمام عليه السلام بالخلافة، ولكنّه لم يكن مؤمناً بذلك أنّه لما حضر العيد تلو عقد بيعة ولاية العهد بعث إلى الإمام عليه السلام يسأله أن يصلي بالناس صلاة العيد... فقال الفضل بن سهل للمأمون: إن بلغ الرضا المصلى على هذا السبيل افتتن الناس به... فأوفد المأمون إليه عليه السلام فأرجعه[1].

(١) انظر بحار الأنوار: ج٤٩ ص١٣٥.

شهر
ذي الحجة

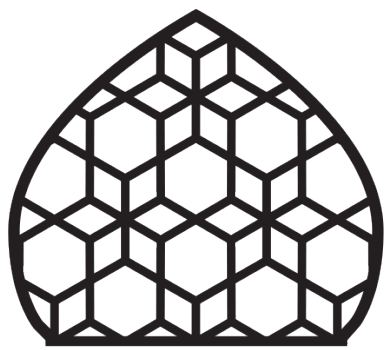

القيم التربوية والأخلاقية
من دعاء عرفة

القيم التربوية والاخلاقية من دعاء عرفة

هيفاء حسين نعمة

في هذا المطلب سأبين بعض مظاهر القيم التربوية والأخلاقية التي اتصف بها الإمام الحسين عليه السلام، أو دعا إليها، ونرى علاقتها بالقرآن الكريم، أو بما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسائر الأئمة عليهم السلام، ودورها في الحفاظ على الدين الأصيل، وقد رأينا تقسيمها بحسب ما هو متعارف إلى نوعين رئيسيين من القيم، هما:

أولاً ـ القيم المرتبطة بالسلوك الظاهري

إنّ المظاهر المشتركة عند جميع الأئمة عليهم السلام الاهتمام بالشعائر العبادية وتعظيمها، وعدّها أقرب السبل لنيل رضا الله تعالى، ولهذا نجد الإمام علي عليه السلام فيما رُويَ من موقفه أنّه كان يوماً في حرب صفين مشتغلاً بالحرب والقتال، وهو مع ذلك بين الصفين يرقب الشمس، فقال له ابن عباس: يا أمير المؤمنين، ما هذا الفعل؟ فقال الإمام علي عليه السلام: أنظر إلى الزوال حتى نصلي، فقال له ابن عباس: وهل هذا وقت صلاة؟! إنّ عندنا لشغلاً بالقتال عن الصلاة، فقال الإمام علي عليه السلام: (على ما نقاتلهم؟! إنّما نقاتلهم على الصلاة)[1].

وعلى هذا المنهج سار الإمام الحسين عليه السلام؛ فقد كان يهتم بالشعائر التعبدية، ويدعو إلى التزامها وحفظها وإقامتها بحسب ما أمر الله، ولهذا سنحاول أن نذكر هنا بعض مظاهر اهتمام الإمام الحسين عليه السلام بآداب الشعائر التعبدية، التي تؤهلها لأداء دورها في التربية الروحية، والسلوك إلى الله تعالى، وذلك من خلال كلماته في دعائه بيوم عرفة، وعلاقته بالقرآن الكريم.

بناء على هذا نحاول في هذا المبحث ـ باختصار ـ أن نذكر بعض مظاهر علاقة الإمام الحسين عليه السلام بالقرآن الكريم، وذلك من خلال التأمل في أدعيته عليه السلام بصورة عامة ودعاء عرفة بالخصوص لنلاحظ أنها جميعاً تحتوي على ثلاثة أركان مهمة جداً في التربية الاخلاقية، نحاول بيانها بإيجاز في العناوين التالية:

١ ـ الثناء على الله تعالى:

وهي تشبه بذلك ما ورد في الأدعية القرآنية من البدء بحمد الله والثناء عليه قبل الشروع في طلب الحاجات،

(١) الخصال، الصدوق، محمد بن علي، تعليق: علي أكبر الغفاري، قم، إيران، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٠٣هـ: ٢/ ٥٠٥.

كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران - ١٩١-١٩٤]

ومن الأمثلة على ذلك دعاؤه يوم الطف، وهو من الأدعية التي قالها في آخر لحظات حياته المقدسة، حيث قال في مقدمة الدعاء مثنياً على الله تعالى: (اللهم متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادر على ما أردت، ومدرك ما طلبت وشكور إذا شكرت، وذكور إذا ذكرت)[١].

ومنها ما ذكره من المعارف المرتبطة بخلق الإنسان، وذلك عندما قال في دعائه عليه السلام: (وَاَنَا اَشْهَدُ يا اِلهي بِحَقيقَةِ ايماني، وَعَقْدِ عَزَماتِ يَقيني، وَخالِصِ صَريحِ تَوْحيدي، وَباطِنِ مَكْنُونِ ضَميري، وَعَلائِقِ مَجاري نُورِ بَصَري، وَاَساريرِ صَفْحَةِ جَبيني، وَخُرْقِ مَسارِبِ نَفْسي، ... وَمَا انْتَسَجَ عَلى ذلِك اَيّامَ رِضاعي، وَما اَقَلَّتِ الأَرْضُ مِنّي، وَنَوْمي وَيَقَظَتي وَسُكُوني وَحرَكاتِ رُكُوعي وَسُجُودي)[٢].

فكل كلمة من هذه الكلمات تحمل مضامين كثيرة جداً، وفي مجالات مختلفة، تتعلق بالعلوم جميعاً، وإن كان هدفها الأكبر هو بيان التسليم المطلق لله، والشهادة له بالعبودية، والشكر له على النعمة.

فتلك التفاصيل تشير إلى الحقائق الإيمانية المرتبطة بعناية الله بعبادة ورحمته بهم، كما تشير إلى علم الله بتفاصيل كل شيء، وقدرته على كل شيء، وإحاطته بكل شيء.. وتبرهن على ذلك من خلال تلك التفاصيل، حيث إنه يمكننا أن نضع من خلالها المقدمات التي توصل إلى تلك النتائج العقدية.

وهي جميعا تشير إلى ذلك التأثر بالأسلوب القرآني في عرض الحقائق، والذي تمتزج فيه حقائق عالم الغيب، بحقائق عالم الشهادة؛ لأن المتوجه إليه بالدعاء هو عالم الغيب والشهادة، ومالك الغيب والشهادة.

٢ ـ الافتقار والاضطرار:

وهو من آداب الدعاء الكبرى، ذلك أنه بقدر ما تتمثل عبودية الداعي إلى الله، وشعوره بفقره واضطراره،

---

(١) مصباح المتهجد، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠ه)، تصحيح واشراف على الطباعة: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ه ـ ١٩٩٨م: ٨٢٧، مقتل الحسين عليه السلام، السيّد عبد الرزّاق الموسويّ المقرّم، قم، مكتبة الشريف الرضيّ: ٣٥٧.

(٢) دعاء عرفة: ١١.

يكون قربه من الله تعالى، وبقدر قربه تلبى حاجته، من الأمثلة عليه قول الإمام الحسين عليه السلام في دعاء الطف بعد الثناء على الله: (أدعوك محتاجا، وأرغب إليك فقيرا، وأفزع إليك خائفا، وأبكي إليك مكروبا، وأستعين بك ضعيفا، وأتوكل عليك كافيا)[1].

وهو يذكرنا بقول موسى عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، فهذا المقطع القصير أثنى فيه موسى عليه السلام على الله تعالى، ثم رتب على ثنائه بيان فقره وحاجته، وهما كافيان في الطلب.

ومثل ذلك قول يونس عليه السلام: ﴿لَا إله إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، والذي نزه الله تعالى فيه، في الوقت نفسه الذي ذكر فيه فقره وحاجته واضطراره، وقد أخبر الله تعالى أنه استجاب له، وأنه يستجيب لكل من يقول ذلك، ويتحقق بمعناه، كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]

وسر ذلك هو أن الله تعالى يحب عباده المتواضعين الذين يبدون فقرهم وحاجتهم، ويمدون أيديهم بها إلى الله، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢، ٤٣]

ولهذا نرى في أدعية الإمام الحسين عليه السلام الكثير من الشكوى وبيان الفقر والحاجة وكل أنواع الاضطرار، مثل قوله في دعائه عليه السلام: (يا عُدَّتي في شِدَّتي، يا صاحِبي في وَحْدَتي، يا غِياثي في كُرْبَتي، يا وَلِيّي في نِعْمَتي، يا اِلهي وَاِلهَ آبائي اِبْراهيمَ وَاِسْماعيلَ وَاِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ، وَرَبَّ جَبْرَئيلَ وَميكائيلَ وَاِسْرافيلَ، وَربَّ مُحَمَّد خاتَمِ النَّبِيّينَ وَآلِهِ الْمُنْتَجَبينَ، مُنْزِلَ التَّوراةِ وَالإِنْجيلَ، وَالزَّبُورِ وَالْفُرْقانِ، وَمُنَزِّلَ كهيعص، وَطه وَيس، وَالْقُرآنِ الْحَكيمِ، اَنْتَ كَهْفي حينَ تُعييني الْمَذاهِبُ في سَعَتِها، وَتَضيقُ بِي الأَرْضُ بِرُحْبِها، وَلَوْلا رَحْمَتُك لَكُنْتُ مِنَ الْهالِكينَ، وَاَنْتَ مُقيلُ عَثْرَتي، وَلَوْلا سَتْرُك اِيّاي لَكُنْتُ مِنَ الْمَفْضُوحِينَ، وَاَنْتَ مُؤَيِّدي بِالنَّصْرِ عَلى اَعْدائي، وَلَوْلا نَصْرُك اِيّاي لَكُنْتُ مِنَ الْمَغْلُوبينَ)[2].

وهكذا نلاحظ الإمام الحسين عليه السلام يقر بفقره وحاجته واضطراره إلى الله بكل أدب وعبودية، حتى أنه يصور نفسه بصورة الخاطئ العاصي الذي يستمطر مغفرة الله، ويطلب عفوه، بتضرع وابتهال عظيم: (فَأَسْأَلُك يا رَبِّ بِنُورِ وَجْهِك الَّذي اَشْرَقَتْ لَهُ الأَرْضُ وَالسَّماواتُ، وَكُشِفَتْ بِهِ الظُّلُماتُ، وَصَلُحَ بِهِ اَمْرُ الأَوَّلينَ وَالاْخِرينَ،

(١) البلد الأمين: ١٨٧.

(٢) دعاء عرفة: ١٧.

اَنْ لا تُميتَني عَلى غَضَبِك، وَلا تُنْزِلْ بي سَخَطَك، لَك الْعُتْبى لَك الْعُتْبى حَتّى تَرْضى قَبْلَ ذلِك)، يذكرنا بقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾** [المؤمنون: ٦٠، ٦١]

ومن الأمثلة على هذا النوع من التضرع والافتقار قول الإمام الحسين عليه السلام في دعائه يوم عرفة ايضاً: (ثُمَّ اَنَا يا اِلهي الْمُعْتَرِفُ بِذُنُوبي فَاغْفِرْها لي، اَنَا الَّذي اَسَأتُ، اَنَا الَّذي اَخْطَأتُ، اَنَا الَّذي هَمَمْتُ، اَنَا الَّذي جَهِلْتُ، اَنَا الَّذي غَفِلْتُ، اَنَا الَّذي سَهَوْتُ ....فَبِأَيِّ شَيء اَسْتَقْبِلُك يا مَوْلايَ، أبِسَمْعي اَمْ بِبَصَري، اَم بِلِساني، اَمْ بِيَدي اَمْ بِرِجْلي، اَلَيْسَ كُلُّها نِعَمَك عِندي، وَبِكُلِّها عَصَيْتُك، يا مَوْلايَ فَلَك الْحُجَّةُ وَالسَّبيلُ عَليَّ)[1].

وقوله: (يا مَنْ قَلَّ لَهُ شُكْري فَلَمْ يَحْرِمْني، وَعَظُمَتْ خَطيئَتي فَلَمْ يَفْضَحْني، وَرَآني عَلَى الْمَعاصي فَلَمْ يَشْهَرْني، يا مَنْ حَفِظَني في صِغَري، يا مَنْ رَزَقَني في كِبَري، يا مَنْ اَياديهِ عِنْدي لا تُحْصى، وَنِعَمُهُ لا تُجازى، يا مَنْ عارَضَني بِالْخَيرِ والإحْسانِ، وَعارَضْتُهُ بِالإساءَةِ وَالْعِصْيانِ، يا مَنْ هَداني لِلإيمانِ مِنْ قَبْلِ اَنْ اَعْرِفَ شُكْرَ الإمْتِنانِ)[2].

وقوله في تلك القطعة المنسوبة إليه من الدعاء: (اِلهي مِنّي ما يَليقُ بِلُؤْمي وَمِنْك ما يَليقُ بِكَرَمِك، اِلهي وَصَفْتَ نَفْسَك بِاللُّطْفِ وَالرَّأفَةِ لي قَبْلَ وُجُودِ ضَعْفي، أفَتَمْنَعُني مِنْهُما بَعْدَ وُجُودِ ضَعْفي، اِلهي اِنْ ظَهَرَتِ الْمَحاسِنُ مِنّي فَبِفَضْلِك، وَلَك الْمِنَّةُ عَليَّ، وَاِنْ ظَهَرَتِ الْمَساوئُ مِنّي فَبِعَدْلِك، وَلَك الْحُجَّةُ عَلَي، اِلهي كَيْفَ تَكِلُني وَقَدْ تَكَفَّلْتَ لي، وَكَيفَ اُضامُ وَاَنْتَ النّاصِرُ لي، اَمْ كَيْفَ اَخيبُ وَاَنْتَ الْحَفِيُّ بي، ها اَنَا اَتَوَسَّلُ اِلَيْك بِفَقْري اِلَيْك، وَكَيْفَ اَتَوَسَّلُ اِلَيْك بِما هُوَ مَحالٌ اَنْ يَصِلَ اِلَيْك، اَمْ كَيْفَ اَشْكُو اِلَيْك حالي وَهُوَ لا يَخْفى عَلَيْك، اَمْ كَيْفَ اُتَرْجِمُ بِمَقالي وَهُوَ مِنك بَرَزٌ اِلَيْك، اَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ آمالي وَهِي قَدْ وَفَدَتْ اِلَيْك، اَمْ كَيْفَ لا تُحْسِنُ اَحْوالي وَبِك قامَتْ، اِلهي ما اَلْطَفَك بي مَعَ عَظيمِ جَهْلي، وَما اَرْحَمَك بي مَعَ قَبيحِ فِعْلي. اِلهي ما اَقْرَبَك مِنّي وَاَبْعَدَني عَنْك، وَما اَرْاَفَك بي فَمَا الَّذي يَحْجُبُني عَنْك. اِلهي عَلِمْتُ بِاخْتِلافِ الآثارِ، وَتَنَقُّلاتِ الأطْوارِ، اَنَّ مُرادَك مِنّي اَنْ تَتَعَرَّفَ اِلَيَّ في كُلِّ شَيء، حَتّى لا اَجْهَلَك في شَيء. اِلهي كُلَّما اَخْرَسَني لُؤْمي اَنْطَقَني كَرَمُك، وَكُلَّما آيَسَتْني اَوْصافي أطْمَعَتْني مِنَنُك، اِلهي مَنْ كانَتْ مَحاسِنُهُ مَساوِي، فَكَيْفَ لا تَكُونُ مَساويهِ مَساوِي، وَمَنْ كانَتْ حَقائِقُهُ دَعاوِي. فَكَيْفَ لا تَكُونُ دَعاوِيَهِ دَعاوِي)[3].

---

(١) دعاء عرفة: ٢٠.

(٢) دعاء عرفة: ١٩.

(٣) دعاء عرفة: ٣٠.

وهو مشابه لقوله ﷺ في دعائه بالكعبة: (إلهي نعّمْتني فلم تجدني شاكراً، وأبليتني فلم تجدني صابراً، فلا أنت سلبت النعمة لترك الشكر، ولا أدمت الشدة لترك الصبر، إلهي ما يكون من الكريم إلاّ الكرم)[1].

وهذا وغيره كثير، يشبه تلك التضرعات الكثيرة التي يستغفر فيها الأئمة الله تعالى، مثل قول الإمام السجاد عليه السلام في دعاء أبي حمزة: (أنا يا رب الذي لم أستحيك في الخلاء ولم أراقبك في الملأ أنا صاحب الدواهي العظمى أنا الذي على سيده اجترا، أنا الذي عصيت جبار السما، أنا الذي أعطيت على معاصي الدليل الرُشى، أنا الذي حين بُشرت بها خرجت إليها أسعى، أنا الذي أمهلتني فما ارعويت وسترت عليَّ فما استحييت وعملت بالمعاصي فتعديت)[2].

وذلك إن دلَّ على شيء فهو يدلُّ على شفافية أرواحهم وعظيم أدبهم مع الله تعالى إلى الدرجة التي يشعرون فيها أنهم مقصرون في حقه غاية التقصير.

وهم يطبقون بذلك ما ورد في القرآن الكريم عن الأنبياء ﷺ، والذين اتفقت الأمة على عصمتهم، ومع ذلك نراهم يبتهلون إلى الله، ويتضرعون إليه أن يغفر لهم، فقد حكى الله تعالى عن نوح عليه السلام قوله: ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً**﴾ [نوح: ٢٨]، وحكى عن إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ**﴾ [إبراهيم: ٤١]وحكى عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: ﴿ **سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: ٢٨٥]، بالإضافة إلى هذا المعنى الذي دل عليه القرآن الكريم هناك معان أخرى ذكرها العلماء، نلخصها فيما يلي[3]:

الأول: أن ترك المستحب وفعل المكروه قد يسمى ذنباً وعصياناً، بل ارتكاب بعض المباحات أيضا بالنسبة إلى رفعة شأنهم وجلالتهم ربما عبروا عنه بالذنب لانحطاط ذلك عن سائر أحوالهم.

الثاني: أنّهم بعد انصرافهم عن بعض الطاعات التي أمروا بها من معاشرة الخلق وتكميلهم وهدايتهم ورجوعهم عنها إلى مقام القرب والوصال ومناجاة ذي الجلال ربما وجدوا أنفسهم لانحطاط تلك الأحوال عن هذه المرتبة العظمى مقصرين، فيتضرعون لذلك وإن كان بأمره تعالى.

الثالث: أن كمالاتهم وعلومهم وفضائلهم لما كانت من فضله تعالى، ولولا ذلك لأمكن أن يصدر منهم أنواع المعاصي، فإذا نظروا إلى أنفسهم وإلى تلك الحال أقروا بفضل ربهم وعجز أنفسهم.

---

(١) إحقاق الحقّ، السيّد نور الله التستريّ، قم، منشورات مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ: ١١/ ٥٩٥.

(٢) البلد الأمين: ٢٠٩.

(٣) (يُنظر) بحار الأنوار: ٢٥/ ٢١٠، فما بعدها، وقد قدم لها بقوله: (اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة صلوات الله عليهم من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منهم ذنب أصلا لاعمدا ولا نسيانا) إلى أن قال: (فأما ما يوهم خلاف ذلك من الأخبار والأدعية فهي مأولة بوجوه)، ثم ذكر الوجوه التي ذكرناها.

الرابع: أنهم لما كانوا في مقام الترقي في الكمالات، والصعود على مدارج الترقيات في كل آن من الآنات في معرفة الرب تعالى وما يتبعها من السعادات، فإذا نظروا إلى معرفتهم السابقة وعملهم معها اعترفوا بالتقصير وتابوا منه، ويمكن أن ينزل عليه قول النبي ﷺ: (وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة)[1].

الخامس: أنهم لما كانوا في غاية المعرفة لمعبودهم فكل ما أتوا به من الأعمال بغاية جهدهم، ثم نظروا إلى قصورها عن أن يليق بجناب ربهم عدوا طاعاتهم من المعاصي واستغفروا منها كما يستغفر المذنب العاصي.

٣ ـ طلب الحاجات:

وهو خاتمة الدعاء، وقد يقتصر الرواة أحياناً على ذكره، ويقدمون لذلك بكونه قال الدعاء بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

ونلاحظ أن كل الحاجات التي طلبها الإمام الحسين عليه السلام مرتبطة بالدين وبحركته الرسالية، ولا علاقة لها بأي مطلب من المطالب الدنيوية المادية الزائلة، بل إنه عليه السلام أكثر ما يقدم حاجات وتوفيق الآخرة على الدنيا، إذ إنها غايته ومبتغاه، وفي ذلك تتجسد قيمة عليا في ايثار الاخرة على الدنيا والأمل بما عند الله تعالى لأجل الغنى عما في أيدي الناس، كما في قوله عليه السلام في دعاء عرفة: (اَللّهُمَّ اجْعَلْ غِناي في نَفْسي، وَالْيَقينَ في قَلْبي، وَالإخْلاصَ في عَمَلي، وَالنُّورَ في بَصَري، وَالْبَصيرَةَ في ديني، وَمَتِّعْني بِجَوارِحي، وَاجْعَلْ سَمْعي وَبَصَري الْوارِثَيْنِ مِنّي، وَانْصُرْني عَلى مَنْ ظَلَمَني، وَاَرِني فيهِ ثَأري وَمَآرِبي، وَاَقِرَّ بِذلِك عَيْني، اَللّهُمَّ اكْشِفْ كُرْبَتي، وَاسْتُرْ عَوْرَتي، وَاغْفِرْ لي خَطيئَتي، وَاخْسَأْ شَيْطاني، وَفُكَّ رِهاني، وَاجْعَلْ لي يا اِلهي الدَّرَجَةَ الْعُلْيا فِي الاْخِرَةِ وَالأوْلى)[2].

ومثله ايضاً قوله عليه السلام: (صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَاَعِنّي عَلى بَوائِقِ الدُّهُورِ، وَصُرُوفِ اللَّيالي وَالأيّامِ، وَنَجِّني مِنْ اَهْوالِ الدُّنْيا وَكُرُباتِ الاْخِرَةِ، وَاكْفِني شَرَّ ما يَعْمَلُ الظّالِمُونَ فِي الأرْضِ، اَللّهُمَ ما اَخافُ فَاكْفِني، وَما اَحْذَرُ فَقِني، وَفي نَفْسي وَديني فَاحْرُسْني، وَفي سَفَري فَاحْفَظْني، وَفي اَهْلي وَمالي فَاخْلُفْني، وَفي ما رَزَقْتَني فَبارِك لي، وَفي نَفْسي فَذَلِّلْني، وَفي اَعْيُنِ النّاسِ فَعَظِّمْني، وَمِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالأنْسِ فَسَلِّمْني، وَبِذُنُوبي فَلا تَفْضَحْني وَبِسَريرَتي فَلا تُخْزِني، وَبِعَمَلي فَلا تَبْتَلْني، وَنِعَمَك فَلا تَسْلُبْني، وَاِلى غَيْرِك فَلا تَكِلْني)[3].

فهذه الأدعية تشابه تلك الأدعية التي وردت في القرآن الكريم عن أولي الألباب، مثل قوله تعالى عنهم: **﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا**

---

(١) مسند الامام أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١ه)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ ه ـ٢٠٠١م، ح٥٦٣٥: ٢/ ٩٠.

(٢) دعاء عرفة: ١٤.

(٣) دعاء عرفة: ١٥.

بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)﴾ [آل عمران: ١٩١ - ١٩٤]

بالإضافة إلى هذا، فإنَّ الملاحظة التي يكتشفها أي قارئ لما وصلنا من أدعية الإمام الحسين عليه السلام ارتباطها بحركته الرسالية، وشكواه من قومه، ودعوته الله أن يحكم بينهم.

ومن النواحي التربوية المهمة التي نكتشفها في هذا النوع من المطالب تنمية الشعور بخدمة الدين والاهتمام بجميع قضاياه، ومواجهة المستكبرين الظالمين المستبدين الذين راحوا يستعملون كل الوسائل لتحريفه، وتحويله من دين إلهي مقدس إلى دين بشري مدنس.

وعلى هذا المنهج كان للإمام الحسين عليه السلام أدعية على أعدائه وأعداء الدين، والتي نرى فيها الكثير من الجوانب العلمية والتربوية، فهي أدعية تعرِّف بهم، وتفضحهم للأجيال القادمة، وخاصة أولئك الذين راح النظام الأموي يشيد بهم، ويستعمل رجال الدين الذين التحقوا به لأداء ذلك، فيقول عليه السلام: (اَللّهُمَّ اجْعَلْ غِناي في نَفْسي، وَالْيَقينَ في قَلْبي، وَالإخْلاصَ في عَمَلي، وَالنُّورَ في بَصَري، وَالْبَصيرَةَ في ديني، وَمَتِّعْني بِجَوارِحي، وَاجْعَلْ سَمْعي وَبَصَري الْوارِثَيْنِ مِنّي، وَانْصُرْني عَلى مَنْ ظَلَمَني، وَاَرِني فيهِ ثَأري وَمَآرِبي، وَاَقِرَّ بِذلِك عَيْني)[1].

وهي نابعة من تلك الآيات القرآنية التي يذكر الله تعالى فيها أدعية الأنبياء عليهم السلام على أقوامهم بعد يأسهم منهم، كما قال تعالى عن نوح عليه السلام: **﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾** [نوح: ٢٦، ٢٧].

ومثله ما ذكره عن دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملئه، قال تعالى: **﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾** [يونس: ٨٨]

ثانيا ـ القيم المرتبطة بالسلوك الباطني:

ونحاول هنا ـ وباختصار ـ أن نذكر أمهات القيم المرتبطة بالسلوك الباطني الوجداني، ومدى تحققها في دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، ومدى أهميتها في تشكيل شخصية المسلم على حسب دين الله تعالى الأصيل.

---

(١) دعاء عرفة: ١٣.

١ ـ الإخلاص والتسليم:

وهي الصفة التي تجعل صاحبها متجرداً لله متوجهاً إليه، لا يطلب منه غيره؛ فالله هو مقصوده الأعلى، وغايته الأسمى، فلا يُعبَد الله إلا لله.

وقد اعتبر القرآن الكريم هذه الصفة من صفات الرسل والأئمة عليهم السلام وعباد الله المخلصين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة: ١٣٩]، وقال: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر: ١١، ١٢]

وقد روي مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، بقوله: (قال الله، عز وجل: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك)[١].

وقد أشار الإمام الحسين عليه السلام إلى هذه القيمة العظيمة في عبوديته لله تعالى، فقال في دعاءه عليه السلام: (اَللّٰهُمَّ هذا ثَنائي عَلَيْك مُمَجِّداً، وَاِخْلاصي بِذِكْرِك مُوَحِّداً، وَاِقْراري بِآلائك مَعَدِّداً، وَاِنْ كُنْتُ مُقِرّاً اَنّي لَمْ اُحْصِها لِكَثْرَتِها وَسُبوغِها، وَتَظاهُرِها وَتَقادُمِها اِلى حادِث، ما لَمْ تَزَلْ تَتَعَهَّدُني بِهِ مَعَها مُنْذُ خَلَقْتَني وَبَرَأتَني مِنْ اَوَّلِ الْعُمْرِ، مِنَ الإغْناءِ مِنَ الْفَقْرِ، وَكَشْفِ الضُّرِّ، وَتَسْبيبِ الْيُسْرِ، وَدَفْعِ الْعُسْرِ، وَتَفريجِ الْكَرْبِ، وَالْعافِيَةِ فِي الْبَدَنِ، وَالسَّلامَةِ فِي الدّينِ، وَلَو رَفَدَني عَلى قَدْرِ ذِكْرِ نِعْمَتِك جَميعُ الْعالَمينَ مِنَ الأوَّلينَ وَالاْخِرينَ، ما قَدَرْتُ وَلاهُمْ عَلى ذلِك)[٢]، وفي موضعٍ آخر من دعائه عليه السلام يقول: (اَللّٰهُمَّ اجْعَلْ غِناي في نَفْسي، وَالْيَقينَ في قَلْبي، وَالإخْلاصَ في عَمَلي، وَالنُّورَ في بَصَري، وَالْبَصيرَةَ في ديني)[٣].

وهو نفس ما ذكره جميع الأئمة عليهم السلام؛ فقد روي عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه،)[٤]، وقال عليه السلام: (ليست الصلاة قيامك وقعودك، إنما الصلاة إخلاصك، وأن تريد بها الله وحده)[٥].

وقال ابنه الإمام السجاد عليه السلام في مناجاته: (واجعل جهادنا فيك، وهمنا في طاعتك، وأخلص نياتنا في معاملتك)[٦].

---

(١) مسند احمد بن حنبل: ٢/ ٣٠١ (٧٩٨٦) وفي (٦٩٨٧).

(٢) ادعاء عرفة: ٢٣.

(٣) ادعاء عرفة: ١٣.

(٤) الكافي، كتاب الايمان، باب الإخلاص، ح٣: ٢/ ١٦.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تأليف: أحمد فاضل عجيمي، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء القدسة، الطبعة الأولى: ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م: ١ / ٣٢٥.

(٦) بحار الأنوار، المناجاة السابعة: ٩١/ ١٤٧.

وهكذا نص جميع الأئمة ﷺ على أن الإخلاص شرط لقبول الأعمال، وحصول البركة فيها، وأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه، كما عبر عن ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله: (قال الله تعالى: أنا خير شريك، من أشرك بي في عمله لن أقبله إلا ما كان لي خالصا)[1].

فهذا هو الإسلام.. فالإسلام هو أن نسلم وجوهنا إلى الله.. ولا ندبر معه.. ولا نقترح عليه.. بل نعلم أن أمره لا يكون إلا لخير أو مصلحة حتى لو جهلناها نحن، ولم تتناسب مع مزاجنا، كما لا يتناسب الذبح مع مزاج أي أب في الدنيا.. فالمزاج يتناقض مع التسليم.

وكل هذا حصل للإمام الحسين عليه السلام الذي قدم كل ما يملك في سبيل الله تعالى متجرداً عن كل شيء، ولذلك جعل الله صوته وحركته وكل مواقفه ثروة كبيرة تستمد منها كل الأجيال، وتنتفض بها كل الشعوب، وما كان ذلك ليحصل لو أنه راح يتخلى عن رسالته ومهمته التي وكلت إليه، والتي لم يفهمها من لم يقدروا الإمامة حق قدرها.

٢ ـ التفويض والتوكل:

وهي من الصفات العظيمة التي وصف الله تعالى بها أنبياءه ورسله ﷺ وأتباعهم من ورثتهم، ليستعينوا بها على مواجهة الملأ والمستبدين والمستكبرين الذين استعملوا كل وسائل العنف، ليجبروهم على ترك دينهم.

فالله تعالى يخبر أن موسى عليه السلام قال لقومه ناصحاً: ﴿ **وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِالله فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى الله تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٨٥) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [يونس: ٨٤ – ٨٦]

وأخبر عن شعيب عليه السلام أنه أجاب قومه الذين قالوا له: ﴿ **لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا** ﴾ [الأعراف: ٨٨] بقوله: ﴿ **أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨) قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى الله كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا الله مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى الله تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ** ﴾ [الأعراف: ٨٨، ٨٩]

وأخبر عن نوح عليه السلام أنه أجاب قومه الذين بالغوا في إيذائه ومحاربته بقوله: ﴿ **يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ الله فَعَلَى الله تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الله وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ [يونس: ٧١، ٧٢].

---

(١) مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، العلامة حسين النوري الطبرسي(ت١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م: ١ / ٧١.

وكل هذه الكلمات الممتلئة بالتوكل على الله وتفويض الأمر إليه، نجدها متحققة بصورة جلية واقعية في حياة الإمام الحسين عليه السلام، فقد كان قرآنها الناطق، وكان وارث جميع الرسل عليهم السلام فيها، بل أتيحت له من الفرص لتجلي التوكل فيه ما لم يتح لغيره؛ فقد خرج بكل ما يملك مهاجراً في سبيل الله، ومواجها لجميع الظلمة، ولم يرجع بشيء، بل بقي على أرض الطفوف صريعاً مذبوحاً مداساً بالخيل، وكل ذلك من غير أن يضجر أو يجزع، بل اعتبر ذلك كله قربانا لله تعالى، ولذلك راح يردد ذلك الشعار العظيم: (هون علي ما نزل بي أنه بعين الله)[1].

وقد عبر الإمام الحسين عليه السلام عن توكله على الله تعالى بصيغ كثيرة بتفويض الأمر إليه، واعتباره الملجأ والمنجا.

ومن ذلك توكله في دعاء عرفه، فكل كلمات هذا الدعاء ممتلئة بالتوكل على الله وتفويض الأمر إليه، والشعور بأن الحاجات كلها لديه، وأن من وجده تعالى فقد وجد كل شيء، ومن فقده فقد كل شيء.

(اِلهي اَخْرِجْني مِنْ ذُلِ نَفْسي، وَطَهِّرْني مِنْ شَكّي وَشِرْكي قَبْلَ حُلُولِ رَمْسي، بِكَ اَنْتَصِرُ فَانْصُرْني، وَعَلَيْكَ اَتَوَكَّلُ فَلا تَكِلْني، وَاِيّاكَ اَسْأَلُ فَلا تُخَيِّبْني، وَفي فَضْلِكَ اَرْغَبُ فَلا تَحْرِمْني، وَبِجَنابِكَ اَنْتَسِبُ فَلا تُبْعِدْني، وَبِبابِكَ اَقِفُ فَلا تَطْرُدْني)[2].

ونجد هذه المعاني السامية نفسها في قوله في دعاء الصباح والمساء المأثور عنه، والذي يقول فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله، ومن الله والى الله، وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله، وتوكلت على الله، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم. اللهم انى اسلمت نفسي اليك، ووجهت وجهي اليك، وفوضت امري اليك، اياك اسأل العافية من كل سوء في الدنيا والاخرة، اللهم انك تكفيني من كل احد ولا يكفيني احد منك، فاكفني من كل احد ما اخاف واحذر واجعل لي من امري فرجاً ومخرجاً، انك تعلم ولا اعلم، وتقدر ولا اقدر، وانت على كل شئ قدير، برحمتك يا ارحم الراحمين)[3].

وهكذا نجد كل أدعيته ممتلئة بالتجرد والإخلاص لله، وإشعار قارئها أنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، وليس ذلك غريباً على من علمه أبوه ذلك الدعاء العظيم المسمى بـ [دعاء العشرات][4]، بعد أن ذكر له فضله، وما أعدّ الله لأهله من الأجر، وقال له: (يا بني إنه لابد أن يمضى الله عز وجل مقاديره وأحكامه على ما أحب

---

(١) بحار الانوار، باب سائر ما جرى عليه بعد بيعة الناس: ٤٥/ ٤٦.

(٢) دعاء عرفة: ٣٢.

(٣) مهج الدعوات: ١٥٧، بحار الأنوار، باب الأدعية والاحراز لدفع كيد الأعداء، ح٧: ٩٢/ ٢١٥.

(٤) وهذا الدعاء مروى بطريق آخر عن الامام الحسن عليه السلام انظر: مهج الدعوات: ١٤٥..

وقضى، وسينفذ الله قضاءه وقدره وحكمه فيك)[1].

فكل هذه الحقائق الواردة في الدعاء، تثمر التوكل على الله، والتفويض إليه، ذلك أنها تسبح الله وتنزهه عن كل ما لا يليق به، وفي الوقت نفسه تثبت له كل أنواع الكمال، وذلك وحده كاف لغرس الثقة في تدبير الله، وهو ما ينبني عليه التوكل.

٣ـ الحمد والشكر:

وهي من الصفات العظيمة التي وصف الله بها عباده المقربين، وأخبر أنه لم يتحقق بها إلا القلة القليلة، كما قال تعالى: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سبأ: ١٣]، وقال: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ**﴾ [المؤمنون: ٧٨]

وقد وصفهم الإمام علي عليه السلام، فقال في بعض مواعظه: (فما أقل من قبلها، وحملها حق حملها، أولئك الأقلون عدداً، وهم أهل صفة الله سبحانه إذ يقول: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سبأ: ١٣][2].

ونرى أدعية الإمام الحسين عليه السلام ممتلئة بذكر النعم وإحصاء الدقيق منها والجليل، ثم الثناء على الله بها، والاستغفار من تقصيره في حق شكرها، ومن الأمثلة على ذلك قوله عليه السلام في دعاء عرفة: (اَللّهُمَّ لَك الْحَمْدُ كَما خَلَقْتَني فَجَعَلْتَني سَميعاً بَصيراً، وَلَك الْحَمْدُ كَما خَلَقْتَني فَجَعَلْتَني خَلْقاً سَوِياً رَحْمَةً بي، وَقَدْ كُنْتَ عَنْ خَلْقي غَنِيّاً، رَبِّ بِما بَرَأْتَني فَعَدَّلْتَ فِطْرَتي، رَبِّ بِما اَنْشَأْتَني فَأَحْسَنْتَ صُورَتي، رَبِّ بِما اَحْسَنْتَ اِلَيَّ وَفي نَفْسي عافَيْتَني، رَبِّ بِما كَلأَتَني وَوَفَّقْتَني، رَبِّ بِما اَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَهَدَيْتَني، رَبِّ بِما اَوْلَيْتَني وَمِنْ كُلِّ خَيْر اَعْطَيْتَني، رَبِ بِما اَطْعَمْتَني وَسَقَيْتَني، رَبِّ بِما اَغْنَيْتَني وَاَقْنَيْتَني، رَبِّ بِما اَعَنْتَني وَاَعْزَزْتَني، رَبِّ بِما اَلْبَسْتَني مِنْ سِتْرِك الصّافي، وَيَسَّرْتَ لي مِنْ صُنْعِك الْكافي)[3].

وقوله في نفس الدعاء: (يا مَوْلايَ اَنْتَ الَّذي مَنَنْتَ، اَنْتَ الَّذي اَنْعَمْتَ، اَنْتَ الَّذي اَحْسَنْتَ، اَنْتَ الَّذي اَجْمَلْتَ، اَنْتَ الَّذي اَفْضَلْتَ، اَنْتَ الَّذي اَكْمَلْتَ، اَنْتَ الَّذي رَزَقْتَ، اَنْتَ الَّذي وَفَّقْتَ، اَنْتَ الَّذي اَعْطَيْتَ، اَنْتَ الَّذي اَغْنَيْتَ، اَنْتَ الَّذي اَقْنَيْتَ، اَنْتَ الَّذي آوَيْتَ، اَنْتَ الَّذي كَفَيْتَ، اَنْتَ الَّذي هَدَيْتَ، اَنْتَ الَّذي عَصَمْتَ، اَنْتَ الَّذي سَتَرْتَ، اَنْتَ الَّذي غَفَرْتَ، اَنْتَ الَّذي اَقَلْتَ، اَنْتَ الَّذي مَكَّنْتَ، اَنْتَ الَّذي اَعْزَزْتَ، اَنْتَ الَّذي اَعَنْتَ، اَنْتَ الَّذي عَضَدْتَ، اَنْتَ الَّذي اَيَّدْتَ، اَنْتَ الَّذي نَصَرْتَ، اَنْتَ الَّذي شَفَيْتَ، اَنْتَ الَّذي عافَيْتَ، اَنْتَ

---

(١) مهج الدعوات: ١٤٩.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩١: ٢/ ٢٥١.

(٣) دعاء عرفة: ١٤.

الَّذي اَكْرَمْتَ، تَبارَكْتَ وَتَعالَيْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ دائِماً، وَلَكَ الشُّكْرُ واصِباً اَبَداً)[1].

وهكذا نرى جميع أدعيته مضمخة بعطر الشكر لله على الرغم من كل المحن التي عاشها وأهل بيته سلام الله عليهم أجمعين.

٤ ـ الأنس والمحبة:

وهي من المقامات العالية، بل من أعلى من مقامات المؤمنين الصادقين المخلصين، وقد وصف الله تعالى أهلها، فقال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لله**﴾ [البقرة: ١٦٥]

وعندما ذكر البديل للذين يقصرون في طاعة رسول الله ﷺ اعتبر محبة الله أول صفاتهم، فقال: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة: ٥٤]، وفي ذلك إشارة إلى أن الارتداد ونقض العهود وعدم الالتزام بها ناشئ من التقصير في محبة الله، ولهذا عقب الله الآية الكريمة بأوصاف الذين يحبون الله، فذكر أنهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]

فهذه الصفات ـ كما ينص القرآن الكريم ـ علامة على محبة المؤمن لله تعالى، وكلها تنطبق على الإمام الحسين عليه السلام، وحركته العظيمة، بل أنه جعله أمله في عبوديته لله تعالى، قال عليه السلام في دعائه: (خَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْد لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّك نَصيباً، اِلهي اَمَرْتَ بِالرُّجُوعِ اِلَى الاْثارِ فَارْجِعْني اِلَيْك بِكِسْوَةِ الأنْوارِ، وَهِدايَةِ الاسْتِبصارِ، حَتّى اَرْجَعَ اِلَيْك مِنْها كَما دَخَلْتُ اِلَيْك مِنْها، مَصُونَ السِّرِّ عَنِ النَّظَرِ اِلَيْها، وَمَرْفُوعَ الْهِمَّةِ عَنِ الاعْتِمادِ عَلَيْها، اِنَّك عَلى كُلِّ شَيء قَديرٌ)[2].

ولهذا نلاحظ في أدعية الإمام الحسين عليه السلام تلك الأشواق العظيمة لله، فهو يخاطبه ويكرر اسمه كل حين، وقد ورد في القطعة المنسوبة إليه من دعاء عرفة قوله: (وَاَغْنِني بِفَضْلِك حَتّى اَسْتَغْنِيَ بِك عَنْ طَلَبي، اَنْتَ الَّذي اَشْرَقْتَ الانْوارَ في قُلُوبِ أوْلِيائِك حَتّى عَرَفُوك وَوَحَّدوك، وَاَنْتَ الَّذي اَزَلْتَ الأغْيارَ عَنْ قُلُوبِ اَحِبّائِك حَتّى لَمْ يُحِبُّوا سِواك وَلَمْ يَلْجَأوا اِلى غَيْرِك، اَنْتَ الْمُؤْنِسُ لَهُمْ حَيْثُ اَوْحَشَتْهُمُ الْعَوالِمُ، وَاَنْتَ الَّذي هَدَيْتَهُمْ حَيْثُ اسْتَبانَتْ لَهُمُ الْمَعالِمُ، ماذا وَجَدَ مَنْ فَقَدَك، وَمَا الَّذي فَقَدَ مَنْ وَجَدَك. لَقَدْ خابَ مَنْ رَضِيَ دُونَك بَدَلاً، وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغى عَنْك مُتَحَوِّلاً. كَيْفَ يُرْجى سِواك وَاَنْتَ ما قَطَعْتَ الاْحْسانَ، وَكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِك وَاَنْتَ ما

---

(١) دعاء عرفة: ٢٠.

(٢) دعاء عرفة: ٣٢.

بَدَّلْتَ عادَةَ الِامْتِنانِ، يا مَنْ اَذاقَ أحِبّاءَهُ حَلاوَةَ المُؤانَسَةِ، فَقامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقينَ)[1].

وهكذا نرى سائر أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام ممتلئة بكل معاني الشوق والمحبة لله تعالى، بل إن الإمام السجاد عليه السلام خص المحبة لله تعالى بمناجاة خاصة، هي المناجاة التاسعة المسماة [مناجاة المحبين]، والتي يبدؤها بقوله: (إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك، فرام منك بدلا؟ ومن ذا الذي أنس بقربك، فابتغى عنك حولا؟ إلهي فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك وولايتك، ... وأوزعته شكرك، وشغلته بطاعتك، وصيرته من صالحي بريتك، واخترته لمناجاتك، وقطعت عنه كل شيء يقطعه عنك)[2].

وفيها يقول: (اللهم اجعلنا ممن دأبهم الارتياح إليك والحنين، ودهرهم الزفرة والانين، جباههم ساجدة لعظمتك، وعيونهم ساهرة في خدمتك، ودموعهم سائلة من خشيتك، وقلوبهم متعلقة بمحبتك، وأفئدتهم منخلعة من مهابتك، يامن أنوار قدسه لأبصار محبيه رآئقة، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة، يا منى قلوب المشتاقين، ويا غاية آمال المحبين أسألك حبك وحب من يحبك، وحب كل عمل يوصلني إلى قربك، وأن تجعلك أحب إلي مما سواك وأن تجعل حبي)[3].

وهذه المعاني السامية هي التي أعطت للدين بعده الحقيقي الممتلئ بالقيم النبيلة، ذلك أن الإسلام ـ عند جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ هو دين المحبة، ولا يتحقق به إلا من امتلأت قلوبهم بالمحبة، ومن أكبر ثمار المحبة الأنس بالله تعالى كما قال الإمام علي عليه السلام: (ما ضرّك إن أحببت الله ورسوله وأحبّك الله ورسوله، من أبغضك، فإنّه ليس أحد من أولياء الله يبغض أحبّاء الله ولا أحد من غيره يحبّك فينفعك حبّه، ثمّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يستوحش من كان الله أنيسه، ولا يذلّ من كان الله أعزّه، ولا يفتقر من كان بالله غناؤه، فمن استأنس بالله آنسه الله بغير أنيس، ومن اعتزّ بالله أعزّه الله بغير عدد ولا عشيرة، ومن يستغني بالله أغناه الله بغير دنياه)[4]

وقد كان في ذلك كله مصداقا لقول الإمام الصادق عليه السلام: (إذا تخلّى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حبّ الله، وكان عند أهل الدنيا كأنّه قد خولط، وإنّما خالط القوم حلاوة حبّ الله، فلم يشتغلوا بغيره)[5].

وفي مقابل ذلك؛ كانت محبة الصالحين وموالاتهم ونصرتهم من أكبر علامات محبة الله، وفي ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام مخاطبا حفص بن غياث: (إنّي لأرجو النجاة لمن عرف حقّنا من هذه الأمّة، إلّا لأحد ثلاثة

(١) دعاء عرفة: ٣٣، ٣٤.

(٢) الصحيفة السجادية الكاملة، الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، تحقيق وتنسيق: علي انصاريان، المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية في دمشق: ٢٩٤.

(٣) الصحيفة السجادية: ٢٩٤..

(٤) مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الشيخ علي بن حسن الطبرسي، تحقيق: مهدي هوشمند، قم، دار الحديث، الطبعة الاولى، د.ت: ١٢٥.

(٥) الكافي، كتاب الايمان، باب ذم الدنيا والزهد فيها، ح ١٠: ٢/ ١٣٠.

صاحب سلطان جائر، وصاحب هوى، والفاسق المعلن، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١]، ثمّ قال: (يا حفص، الحبّ أفضل من الخوف)، ثمّ قال: (والله ما أحبّ الله من أحبّ الدنيا ووالى غيرنا، ومن عرف حقّنا وأحبّنا فقد أحبّ الله تبارك وتعالى)([1])..

هذه نماذج عن بعض القيم الروحية الكبرى التي مثلها الإمام الحسين عليه السلام خير تمثيل، ودعا إليها أعظم دعوة، وهي كافية وحدها لتشكيل شخصية المسلم الروحية، بعيدا عن كل القيم الدخيلة التي التصقت بالجانب الروحي في الإسلام، وأبعدته عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وهدي العترة الطاهرة عليهم السلام.

المصادر والمراجع

القران الكريم

1. الإحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق: محمد باقر الموسوي ـ نشر مطبعة ذوي القربى، مطبعة كيميا ـ قم، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.
2. إحقاق الحقّ، السيّد نور الله التستريّ، قم، منشورات مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ.
3. اعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)،تحقيق واخراج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
4. إقبال الأعمال، السيد العالم رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسني الحسيني (ت٦٦٤ه)، تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى المصححة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.
5. الأمثل في تفسير كتاب الله المُنَزَل، العلَّامة ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة سليمان زادة، قم، الطبعة الاولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م
6. بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، العلامة محمد باقر المجلسي (ت١١١١ه)، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م
7. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم بن سليمان البحراني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

(١) بحار الانوار: ٧٥/ ٢٢٦.

8. البلد الأمين، الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي الكفعمي (ت٩٠٠هـ)، تقديم وتعليق: علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ه ـ ١٩٩٧م.
9. تحف العقول عن آل الرسول، الشيخ العلَّامة أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين شعبة الحراني (من أعلام القرن الرابع)، تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلميللمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة السابعة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
10. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، العلَّامة الأستاذ المصطفوي، مطبعة اعتماد، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي ـ طهران، الطبعة الأولى ١٣٨٥.
11. تفسير نور الثقلين، الحويزي، عبد علي بن جمعة، قم، إيران، مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة ١٤١٢ هـ
12. التوحيد، العالم أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، (ب . ط) .
13. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.
14. الحقائق والدقائق في المعارف الإلهية، الشيخ فاضل الصفار، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م
15. الحكمة المتعالية في الاسفار العقلية الأربعة، الملا صدرا صدر الدين محمد بن ابراهيم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الرابعة ١٩٩٠م.
16. الخصال، الصدوق، محمد بن علي، تعليق: علي أكبر الغفاري، قم، إيران، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤٠٣هـ.
17. دعاء عرفة للإمام الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، الخطاط الأستاذ جواد سبتي، إعداد وتحقيق: لجنة الدراسات والبحوث، المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، قم ـ ايران، الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
18. الدعوات، سعيد بن هبة الله (قطب الدين) الراونديّ، قم، مدرسة الإمام المهديّ عليه السلام،

١٤٠٧هـ .

19. زاد المعاد، العلامة الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت ١١١هـ)، تعريب وتعليق: علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

20. سنن الترمذي، الجامع الكبير ـ الإمام أبو عيسى بن سَورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، دراسة وتحقيق: مركز البحوث وتقنية المعلومات – دار التأصيل، الطبعة الأُولى ١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م .

21. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تأليف: أحمد فاضل عجيمي، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء القدسة، الطبعة الأولى: ١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م.

22. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت٨٣٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

23. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة ـ بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

24. صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

25. الصحيفة الحسينية ـ أدعية الإمام الحسين عليه السلام، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

26. الصحيفة السجادية الكاملة، الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، تحقيق وتنسيق: علي انصاريان، المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية الايرانية في دمشق.

27. علل الشرائع، الشيخ الصدوق ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط ١٣٨٦، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف.

28. العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، ترتيب وتحقيق: د. عبد الحميد هنداوي – منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت – لبنان، الطبعة الاولى ١٤٢٤هـ– ٢٠٠٣م .

29. الفقه المنسوب للإمام الرضا عليه السلام، المحقق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم، المؤتمر العالمي للامام الرضا عليه السلام.

30. الكافي ـ ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، تحقيق وتعليق: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان ١٤١١هـ– ١٩٩٠م .
31. كنز الفوائد، الشيخ القاضي أبي الفتح محمد بن علي الكراجكي، المحقق: عبد الله نعمة، دار الذخائر، ١٤١٠ه.
32. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، العلامة حسين النوري الطبرسي(ت١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.
33. مسند الإمام أحمد ـ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان،الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١م .
34. مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، الطبرسي، علي بن حسن، تحقيق: مهدي هوشمند، قم، دار الحديث، ط ١، د.ت.
35. مصباح المتهجد، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي(ت٤٦٠هـ)، تصحيح واشراف على الطباعة: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
36. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – احمد بن محمد بن علي الفيومي (ت٧٧٠هـ)، مكتبة لبنان – بيروت، ١٩٧٨ .
37. مفردات ألفاظ القران الكريم ـ للحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم، المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق ـ سوريا، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م .
38. مقتل الحسين ﷺ، السيّد عبد الرزّاق الموسويّ المقرّم، قم، مكتبة الشريف الرضيّ.
39. من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تعليق: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، الناشر: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الاولى ١٩٦٨ .
40. مهج الدعوات، السيد علي بن موسى بن طاووس، دار الذخائر ـ قم، ١٤١١هـ.
41. نهج البلاغة للإمام علي بن ابي طالب ﷺ ـ شرح الشيخ محمد عبده (ت١٣٢٣هـ)، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣ م .

القصيدة

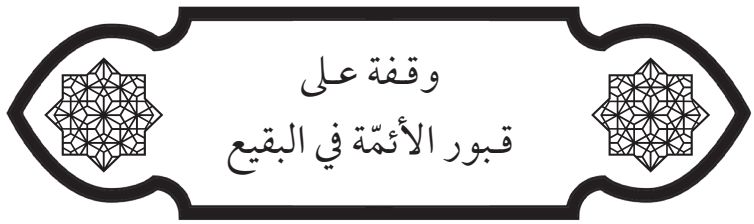

وقفة على
قبور الأئمّة في البقيع

الشاعر السيد رضا الهندي

أَعَزَّ اصطباري وأجرى دموعي ... وقوفي ضحى في بقاع البقيع
على عترة المصطفى الأقربين ... وأمهمُ بنت طه الشفيع
همُ آمنوا الناس من كل خوفٍ ... وهم أطعموا الناس من كل جوع
وهم روَّعوا الكفر في بأسهم ... على أن فيهم أمان المروع
وقفت على رسمهم والدمو ... عُ تسيل ونار الجوى في ضلوعي
وكان من الحزم حبس البكاء ... لو أن هنالك صبري مطيعي
وهل يملك الصبر مَن مقلتاه ... ترى مهبط الوحي عافي الربوع
وقَيِّمَهُ يمنع الزائرين ... من لثم ذاك المقام المنيع
إذا همَّ زوَّاره بالدنوِّ ... يذودونهم عنه ذود القطيع
وهذا مقام يذم الصبور ... عليه ويحمد حال الجزوع
ويا ليت شعري ولا تبرح ال ... ليالي تجيء بخطب فظيع
أكان إليهم أساء النبيُّ ... فيجزونه بالفعال الشنيع
لئن كان في مكة صنعهم ... بحجاجها نحو هذا الصنيع
فلست أرى الحج بالمستطا ... عِ ولا واجد المال بالمستطيع